



كياوا

عبد العزيز الرفاعي

(شاعر الأغصان)

(١٣٤٢ - ١٤١٤ هـ)



جميعه ورتبه وحققه

الدكتور عائض الرفاعي

دار الرفاعي
للنشر والطباعة والتوزيع

ديوان

عبد العزيز الرفاعي

(شاعر الأغصان)

١٣٤٢ - ١٤١٤ هـ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

جميع حقوق الطبع محفوظة ، غير مسموح بطبع أي جزء من أجزاء هذا الكتاب ، أو اختزانه في أي نظام لاختزان المعلومات واسترجاعها ، أو نقله على أي هيئة أو بأي وسيلة سواء كانت إلكترونية أم شرائط ممغنطة أم ميكانيكية ، أم استنساخاً ، أم تسجيلاً ، أم غيرها إلا في حالات الاقتباس المحدودة بغرض الدراسة مع وجوب ذكر المصدر.



دار الرفاعي

للنشر والتوزيع

ص.ب: ١٥٩٠ - الرياض ١١٤٤١

هاتف : ٤٧٨٨٨٣٣ - ٤٧٧٢٧٦٦ - ناسوخ (فاكسميلي) : ٤٧٩٤٣٢١

المملكة العربية السعودية

ديوان

عبد العزيز الرفاعي

(شاعر الأغصان)

(١٣٤٢ - ١٤١٤ هـ)

جمعه ورتبه وحققه

الدكتور عائض الرواي

دار الرفاعي
للنشر والتوزيع

ج) دار الرفاعي للنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الرفاعي، عبدالعزيز أحمد

ديوان عبدالعزيز الرفاعي: شاعر الأغصان

؛ عائض الراددي. - الرياض، ١٤٢٨

٣٩٨ ص؛ ٢٤×١٧ سم. - (السلسلة الشعرية ١١)

ردمك: ٩٩٦-٦٦٢-١٥-٢

١ - الشعر العربي - السعودي - الراددي، عائض (محقق)

ب- العنوان ج- السلسلة

١٤٢٨/٢٢٤٤

ديوي ٨١١.٩٥٣١

رقم الإيداع : ١٤٢٨/٢٢٤٤

ردمك : ٩٩٦-٦٦٢-١٥-٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

- * إلى محبي عبدالعزيز الرفاعي وأدبه.
 - * إلى كل من يحنّ إلى نبله، وسجاياه الكريمة.
 - * إلى رواد الندوة الرفاعية في الرياض وجدة والطائف والأندلس.
 - * إلى الشيخ (الوفي) أحمد بن محمد باجنيد الذي أحيا ذكر الرفاعي باستمرار الندوة الرفاعية في منزله.
 - * إلى عشاق الشعر ومؤرخي الأدب.
- نهدي ديوان الرفاعي (الظلال والأغصان)



صورة الشيخ عبد العزيز الرفاعي (يرحمه الله)



صورة تذكارية التقطت عام ١٤١٢هـ للأستاذ عبد العزيز الرفاعي
مع بعض رواد ندوته الخميسية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله الصادق الأمين، وآله الطاهرين، وصحابته الأكرمين، ومن استنار بهديه إلى يوم الدين، وبعد: عندما أصدرتُ كتيبَ (ندوة الرفاعي) عام ١٤١٤هـ/١٩٩٤م وخصصته لتوثيق هذه الندوة التي استمرت أكثر من ثلاثين عاماً، وحضرها فضلاء الرجال، تحدثت بإيجاز عن شعر الرفاعي، وأشارت إلى ما صدر منه، وهما ديون (ظلال ولا أغصان) وقصيدة (السلام عليك)، وكتبت ص ٢٩ عما تبقى من شعره ما نصّه (وفي دار الرفاعي ملفات تضم ذلك، فلعلها ترى النور بإصدارها، في ديوان واحد يحمل اسم «الظلال والأغصان»، أخذاً بالاسم الذي اختاره الشاعر).

وفي شهر المحرم عام ١٤١٨هـ دفع الدكتور محمد أبو بكر حميد إليّ ببعض قصائد للأستاذ الرفاعي لضبطها ومراجعتها، وشكا إليّ أنه عهد بها إلى أحد المصححين، فوقع في أخطاء كثيرة، وبالفعل وجدت في القصائد أخطاء كثيرة في الوزن والضبط، حيث حرّف بعض الكلمات مما أفسد الشعر وزناً ومعنى، وضبط كلمات ضبطاً خاطئاً، وأسرف في ضبط ما لا يحتاج إلى ضبط، مما جعل الحركات تتداخل عند الطباعة، والأسوأ من ذلك أنه أجرى تعديلات أحياناً على الأصول، مما زاد من صعوبة الوصول إلى الصواب، ووجدت بعض القصائد قد قسمت إلى قصيدتين لكتابة أصلها على صفحتين، فوقع الوهم أن كل واحدة قصيدة، وبعض المقدمات النثرية التي كتبها الشاعر تقديماً للقصيدة دمجت فيها مما يوهم أنها شعر، وهي ليست كذلك، ثم شرح في الهوامش كلمات واضحة لا تحتاج إلى شرح، وحذف مقدمات نثرية للقصائد وجودها مهم لأنها تصوّر الجو العام للقصيدة، ولذا عدت في

التصحيح للأصول وترك ما سواه، ومع ذلك لم أتمكن من التصحيح الدقيق للقوائد التي كانت مبعثرة، ولم ترتب ترتيباً معيناً.

وقد أعدت تلك المجموعة في ١٤١٨/٢/٢هـ للدكتور محمد أبو بكر حميد ورجوته أن تعاد لي بعد تصحيح ما صححته مع الأصول التي لم يجرِ عليها أي تعديل أو ضبط.

ثم أرسل إليّ الدكتور مجموعة أخرى ، فكانت كالسابقة ، فعملت معها كسابقتها ، ثم أعدتها في ١٤١٨/١٠/٢٢هـ، وطلبت أن يُعاد لي كل الشعر لأستكمل ما لم أصل إلى الصواب في تصحيحه ، مرفقاً بها أصول القوائد قبل أي تدخل، ثم لأرتب الديوان الترتيب المناسب.

وفيما بعد هاتفني الأخ الكريم علاء بن عبدالعزيز الرفاعي وطلب إليّ أن أتولى إخراج الديوان بالشكل الذي أراه، فأخبرته أن ما أرسل إليّ قصائد لم تُرتب في ديوان، وفيها الكثير من الأخطاء الشعرية والطباعية واللغوية، فضلاً عن أنها تحتاج إلي توثيق وترتيب، فرجاني أن أبذل كل ما أستطيع، وفوضني أن أعمل ما أراه لإخراج الديوان بالشكل المناسب.

هذه بداية قصتي مع ديوان الأستاذ عبد العزيز الرفاعي، شاعر الأغصان، ولذا عدت للملفات ملفاً ملفاً، وجمعت الشعر كله، ما نُشر منه وما لم ينشر، ولم أستفد مما سبقني من جمع سوى في الحفاظ على صف القوائد على الحاسب الآلي، ثم صنعت ما سأحدث عنه فيما بعد عند الكلام عن جمع الشعر وترتيبه وتحقيقه ومصادره التي عدت إليها، ووجدت فيها قصائد كثيرة لم تجمع من قبل. ثم تحققت بنفسني من تلك المصادر من نسبة كل قصيدة للشاعر، لأن في الملفات شعراً ليس للشاعر مما وُجّه إليه أو أعجب به من شعر غيره.

وبعد:

فهذا هو ما وجدته من شعر عبدالعزيز الرفاعي، ولا أدعي أنه كل شعره،
ولكن ما تحققت منه فقط، أقدمه لكل محب لعبدالعزيز الرفاعي، ليرى فيه ذلك
الرجل النبيل الذي عرفه، وعسى أن أكون قد وفيت له ببعض ما له عليّ من حقوق،
ولولا ماله بين الضلوع من حب لما أقدمت على هذا العمل المضني، ولكن حسبي أني
قد فعلت ما فيه بعض الوفاء، ولا أنسى في الختام أن أشكر الدكتور أحمد الخاني
على مراجعته للتجربة الطباعية الأخيرة وأن أذكر بالشكر الجهد الطيب الذي بذله
الأخ علي محمد مصطفى في صف هذا الديوان على الحاسب الآلي، رحم الله
الرفاعي، وأسكنه فسيح جناته.

عائض الرادادي

الرياض ١٥/١٠/١٤٢٠هـ

لمحة عن حياة الرفاعي^(١):

ولد أبو عمار عبدالعزيز بن أحمد الرفاعي في رمضان سنة ١٣٤٢هـ (١٩٢٣هـ) في مدينة أمّ لُجّ على ساحل البحر الأحمر، حيث كان والده يعمل موظفاً في جمرکها، متنقلاً بين مدن ساحل البحر الأحمر في ضبّا، وينبع واللّيث والعقبة وجدة، ثم استقرّ به المقام في مكة المكرمة وكان في سن السابعة تقريباً، حيث دخل مدارسها ونشأ فيها.

درس دراسته التحضيرية في مدرسة الصّفا ثمّ في المدرسة العزيزية الابتدائية بمكة المكرمة عام ١٣٥٨هـ، وحضر في صباه حلقات الدروس التي كانت تقام في المسجد الحرام وبخاصة حلقة النحو في كتاب (مغني اللبيب) لابن هشام التي كان يعقدها السيد محمد أمين كتيب.

واصل دراسته في المعهد العلمي السعودي في مكة المكرمة، وكانت الدراسة فيه ثلاث سنوات، وتخرج فيه سنة ١٣٦١هـ (١٩٤١م)، ومنه انطلق إلى معترك الحياة العامة، ولم يتمكن من مواصلة الدراسة.

ومما وجدته بخط يده «نشأت منذ طفولتي بمكة المكرمة، وتعلمت بمدارسها، في أسرة افتقرت بعد عز، وأنا وحيدها من الذكور، وقضيت أيام دراستي في شظف من العيش حتى تخرجت من المعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة، وبدأت حياتي العملية، فتحسنت أحوالي وأحوال أسرتي، ولله الحمد»^(٢).

وهذا يظهر ما عُرِف عنه من زهد في الحديث عن نفسه وعن أسرته، وهو لا يرجع إلا إلى سبب واحد هو ما عرف عنه من تواضع، ولين جانب وإلا فهو من هو في عراقة أسرته، وحسبنا في ذلك قوله في قصيدته «السلام عليك» التي

(١) نقلت هذه اللوحة مما سبق أن نشرته تقدماً لكتيب (ندوة الرفاعي) الذي أصدرته عام ١٤١٤هـ.

(٢) من أجوبته على أسئلة موجهة إليه في ١٤٠٧/٢/٢٧هـ ومحفوظة في ملفات ندوة الرفاعي في دار الرفاعي للنشر.

أنشأها ما بين يومي ١٢-٢٩ من ربيع الأول من عام ١٤١٢هـ يمدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم، وختمها بقوله مخاطباً الرسول صلى الله عليه وسلم^(١) :

لك في كياني ذرة أدنوبها إن لم أفدّ طبعاً رجوتُ تطبّعاً
أبتي، إذا ابتلتُ بها شفتي ارتوتُ وشعرتُ أنّي لن أكون مضيّعاً
ردّ السلام، فإن وهبتَ زيادةً فلأنتَ أهل أن تزيد وتشفعاً

اشتغل بالتدريس لمدة عام تقريباً ثم عمل في عدة وظائف كان معظمها في ديوان رئاسة مجلس الوزراء، وكان آخرها مستشاراً بالديوان الملكي، وفي غرة المحرم عام ١٤٠٠هـ تقاعد وتفرغ للعلم والأدب، وفي ٣/٣/١٤١٣هـ عين عضواً في مجلس الشورى.

وفي مساء الأحد ١٢/١٠/١٤١٣هـ أقام نادي جدة الأدبي حفلاً تكريمياً للأستاذ عبد العزيز الرفاعي، وكانت المفاجأة في نهايته حيث ألقى قصيدته «سبعون» التي أصبحت من عيون الشعر، إذ نعى فيها نفسه، ومطلعها^(٢) :

سبعون يا صغي، وجلّ مصابُ ولدى الشدائد تُعرف الأصحابُ
سبعون، يا للهول! أية حقبة طالت، ورانَ على الرحيق الصّابُ
لا تعجبوا إن ندّ خاطرُ متّعِبٍ بعد السُرى وشكا إليه ركابُ
سبعون في درب الطفولة شوكةُ أمّا الشباب فليس ثمّ شبابُ
الجِدُّ أغراني برغم جفافه فظمئتُ حتى لو أتيح شرابُ

ولكم بلغ تأثر محبيه من حاضري الحفل ومن قرأ القصيدة فيما بعد عندما قرأ هذين البيتين:

(١) صدرت في ديوان بعنوان «السلام عليك» وقد شرحها الشاعر نفسه، وطبع الشرح معها، وصححها

أيضاً، غير أن الديوان لم يصدر إلا بعد وفاته، وهي أول قصائد ديوان الرفاعي هذا.

(٢) ستأتي في آخر الديوان.

سبعون قد وفد الشتاء يزورني والنار قد خمدت وليس ثقاب
حُتَّتْ إلى عبق التراب جوانحي لا غَرَوُ ، يشتاقي الترابَ ترابُ
ومن لطفه الذي لا يكاد يفارقه ختامها بقوله مخاطباً سامعيه في الحفل:

سبعون عشتُم مثلها بل ضعفها والحاديان: سلامة وصوابُ
وفي يوم الخميس ٢٣ ربيع الأول ١٤١٤ هـ الموافق ٩ سبتمبر ١٩٩٣ م أفل
النجم في مدينة جدة، وحُمِلَ إلى المسجد الحرام حيث صلى عليه المسلمون بعد
صلاة الظهر، وأكرمه الله بعبق تراب مكة المكرمة، وغاب جسماً ولكنه بقي
علماً وأدباً وذكرأً حسناً.

وإذا ما انتقلنا إلى الجانب الإنساني لديه فهو نسيج وحده، ونادرة
زمانه، وقلُّ أن وجود الزمان بمثله، وليس منطلقي فيما أقول العاطفة الشخصية
والوفاء الذي أحمله له؛ بل هي الحقيقة التي يشهد بها من عرفه، بل إنني قد
سمعت من يتأسف - بعد وفاته - على أنه لم يتصل به لِمَا قرأ وسمع من إجماع
على الثناء عليه بعد رحيله.

وهذا الجانب لو استرسلت في الكتابة عنه لأخذ الكثير مما لا تتسع له هذه
السطور المحدودة، ويكاد يكون ذلك قاسماً مشتركاً بين كل من كتب عنه شعراً
أو نثرًا^(١) إثر مبارحته هذه الحياة الفانية، حتى قال قائل: الموت لا يخطف إلا
الرجال، فقلت: الموت يأكل الأخضر واليابس ولكن الإحساس بالفقد لا يكون إلا
للرجال والمعادن الثمينة.

لقد كان إنساناً في خلقه، فهو ذو خلق صادق، لا يعرف التلون، وكلمما
قرب منه الشخص ازداد معرفة به في حياته وجد فيه الخلق المثالي الذي يتكلم
عنه الفلاسفة والمثاليون.

(١) أصدرت مؤسسة تهامة ملفاً عمّاً نشر عنه في الصحف إثر وفاته، وقد برز فيه التقاء الآراء
حول ذلك.

كان يتحمل الألم، ويكظم الغيظ، ويحرص حرصاً شديداً على إدخال السرور على من يعرف ومن لا يعرف، وله في التعامل بلطف ورقة وحسن تصرف ما كان مدرسة تحتذى في عدم إغضاب أحد واستلال السخيمة.

كان يُنزل الناس منازلهم، ويحرص على أن يخاطب كل شخص بما يحب، ويشعره بأهميته دون أن يكون في ذلك إسفاف أو مداينة.

وهو إنسان في حُرقة، وفي كتبه ومقالاته وشعره، فلم يكن غير طريق البناء لها طريقاً، ولم يكن غير سبيل الخير لها سبيلاً.

ولا تجد حوله في حله وسفره إلا أهل الخير وفضلاء الناس، وهو يشعر -بصفة خاصة- أن بينه وبين المثقفين أينما وجدوا وشيجة أقوى من صلات النسب، ولهذا فهو على صلات جيدة بأعلام المثقفين في العالم العربي ولو لم يلتق بهم.

إن جانب دماثة الخلق جانب يقصر التعبير عنه، وهو جدير بأن يتناول في حديث خاص وكذا أعمال الخير التي لا يعرف بها أقرب الناس إليه، فهو يحبطها بالكتمان ولا يكاد يعرف عنها إلا من يباشر تصريفها، لقد كان الرفاعي نموذجاً عالياً في دماثة الخلق، أو لنقل كان يمتلك خلق المسلم وصفات الرجال، وشهامة النبلاء، وعفة الفضلاء.

ثقافته:

أولع عبدالعزيز الرفاعي بالثقافة منذ حداثة سنّه، ولم يتوقف نهمة بالكتاب والقراءة على ما حصله في الحلقات أو الفصول الدراسية؛ بل ثقف نفسه عبر القراءة الحرة، فهو من جيل كان في صباه يبحث عما يقرأ، فلم يكن في أيام صباه مجلات مطروحة، ولا كتب متوافرة؛ ولذا كانت المجلة الثقافية إذا

وصل عدد منها تداوله شباب ذلك الزمان الواحد بعد الآخر، وإذا اشترى أحدهم كتاباً وقرأه باعه على صاحب المكتبة مرة أخرى ليشتري كتاباً آخر يقرؤه، فلم يكن الناس في سعة من العيش، ولكن شباب ذلك الجيل العصامي كان يدخر القليل من مصروفه اليومي ليشتري به كتاباً، فقد كان غذاء الفكر عنده كغذاء البطن، ومن هنا وُجد في المملكة العربية السعودية جيل من رواد الثقافة الذين رضعوا لبنائها، وعشقوا سطورها في وقت كان الناس يبحثون فيه عن لقمة العيش بكل كدٍ وعناء، فلا غرابة إن استحقَّ ذلك الجيل الريادة، ولا غرابة -أيضاً- إن برزوا وبزّوا جيل الجامعات، فقد كانوا يبحثون عن العلم ولا يبحث العلم عنهم، ولا يقدمون ملء الكف على ملء الرأس^(١).

وبدأت قراءته بالقصص الشعبية ثم الروايات العربية والغربية المترجمة، ثم بالمجلات الثقافية وبخاصة مجلة الرسالة التي كان يصدرها أحمد حسن الزيات، وكان معجباً ببعض الكتاب كالدكتور زكي مبارك، وبقي معجباً به مدى حياته، ثم تدرج إلى قراءة الكتب ذات الوزن الثقافي العميق، وبقي إلفاً للكتاب لم يفارقه حتى في غرفة مرضه الأخير الذي فارق فيه الحياة.

بدأ الكتابة في الصحف من أوائل الستينيات الهجرية، وبدأت علاقته بها بكتابة خواطر في البلاد السعودية عندما كان رئيس تحريرها عبد الله عريف، وكان بينهما صداقة، وكتب للإذاعة في بدء نشأتها، وكان يذهب من مكة إلى جدة حيث تأخذه سيارة إلى هناك ليقرأ أحاديثه على الهواء، فلم يكن إذ ذاك تسجيل للمواد الإذاعية كما هو الحال الآن.

(١) لمعرفة التفصيلات عن ذلك انظر كتيب رحلتي مع المكتبات لعبد العزيز الرفاعي، صدر عن دار الرفاعي عام ١٤١٣هـ (١٩٩٢م) ومجلة أهلاً وسهلاً (الصادرة عن الخطوط السعودية). العدد الخامس، السنة السادسة، ذي القعدة وذو الحجة ١٤٠٢هـ (سبتمبر وأكتوبر ١٩٨٢م).

تلك كانت البدايات الثقافية لعبد العزيز الرفاعي، وما زال نجمه في صعود في سماء الثقافة حتى أصبح واحداً من أبرز المثقفين ليس في بلاده فحسب؛ بل على مستوى العالم العربي، وارتبط بصلات مع المثقفين في العالم العربي، وفي المهجر الأمريكي وبقية المهاجر، وكان محباً للمثقفين يواصلهم ويواصلونه، وإن لم يلتق بعضهم ببعض، وكان ممن يشجعون دعوة المثقفين لزيارة المملكة، وكثيراً ما تبنى الدعوات لهم حتى أصبح وجهاً إعلامياً لبلاده في الأوساط الثقافية، ولذا لا يجد المرء غربة عندما بكاه المثقفون في كل أنحاء العالم العربي وفي المهاجر العربية.

تكرمه:

- وقد حصل على الأوسمة من داخل بلاده ومن خارجها، ومنها :
- وسام الاستحقاق الثقافي من تونس عام ١٩٧٠م.
 - درع جامعة الملك سعود بالرياض عام ١٤٠١هـ.
 - براءة تكريم الأدياء السعوديين مع ميدالية الاستحقاق عام ١٣٩٤هـ.
 - وثيقة التقدير الذهبية من رابطة الأدب الحديث بمصر سنة ١٩٨٢م.
 - شهادة تقدير عام ١٤٠٦هـ بمناسبة مرور ٤٠ عاماً على صدور مجلة التضامن الإسلامي (الحج حالياً).
 - درع النادي الأدبي بأبها عام ١٤١١هـ.
 - منح الزمالة الفخرية لرابطة الأدب الحديث بمصر.
 - عضوية الشرف في رابطة الأدب الإسلامي العالمية.
 - وسام التكريم في مؤتمر القمة لدول مجلس التعاون الخليجي الذي انعقد في مسقط عام ١٤١٠هـ من قبل قادة دول مجلس التعاون الخليجي.

وقد أقام نادي جدة الأدبي حفلاً تكريمياً له مساء الأحد ١٢/١٠/١٤١٣هـ حضره كثير من الأدباء والمثقفين والأعيان، وكان هذا آخر تكريم له حيث غادر بعد أيام للعلاج، ولم يعد إلا لينقل للصلاة عليه في بيت الله الحرام، ثم احتضنه تراب مكة المكرمة في ٢٣/٣/١٤١٤هـ (٩ سبتمبر ١٩٩٣م)، وكان يحظى بتكريم رفيع لدى محبيه -وما أكثرهم- وقد تمثل ذلك فيما كُتب عنه إثر وفاته مما امتلأت به الصحف والمجلات في الداخل والخارج^(١).

المؤتمرات الأدبية:

وقد حضر الرفاعي كثيراً من المؤتمرات الأدبية في الداخل أو الخارج ممثلاً لبلاده وأهم المؤتمرات التي حضرها:

- مؤتمرات الأدباء العرب: الخامس في لبنان عام ١٩٥٦م، والسادس في الكويت عام ١٩٥٨م، والسابع في العراق عام ١٩٦٩م، والثامن في تونس عام ١٩٧٠م، والتاسع في الجزائر عام ١٩٧١م.
- مؤتمر الأدب الإسلامي الأول في الهند عام ١٤٠٠هـ.
- افتتاح معهد الدراسات العربية والإسلامية في فرانكفورت بألمانيا عام ١٤٠٢هـ.
- الملتقى الثقافي الإسلامي عام ١٤٠٦هـ في تطوان في المغرب.
- وشارك في مؤتمرات السيرة النبوية التي عقدت في باكستان وغيرها.

(١) جمعت مؤسسة تهامة للإعلان ذلك في ملف خاص صدر عنها بعنوان «عبدالعزیز الرفاعي وداعاً».

عضوية اللجان والهيئات:

وقد عمل عضواً في كثير من الهيئات والمؤسسات واللجان ومنها

عضوية:

- المجلس الأعلى للإعلام.
- مجلس إدارة دار الملك عبدالعزيز .
- لجنة الإشراف على المجلة العربية التي تصدر في الرياض.
- لجنة الإشراف على مجلة التضامن الإسلامي (الحج حالياً).
- لجنة تحرير جريدة عرفات الأسبوعية.
- اللجنة التأسيسية لرابطة العالم الإسلامي.
- مجمع اللغة العربية بمصر.
- مجمع اللغة العربية بدمشق.
- اللجنة الشعبية لمجاهدي فلسطين.
- مجلس إدارة مؤسسة اليمامة الصحفية (وهو أول مدير عام لها عام ١٣٨٣هـ)^(١).
- عضو مجلس إدارة تهامة.

النتاج الثقافي:

كتب عبدالعزيز الرفاعي على امتداد حياته في الصحف والمجلات في الداخل والخارج، ولإذاعة المملكة العربية السعودية، وقد نشر كثيراً من مقالاته في الصحف والمجلات، وله إنتاج كثير في هذا المجال لو جمع لصدر في عدة مجلدات.

(١) انظر ما كتبه عن ذلك فهد العريفي في جريدة الرياض في عددها ٩٢١٢ الصادر في

١٤١٤/٣/٢٧هـ.

ومن أهم المجلات التي كتب فيها، مجلة المنهل، ومجلة الفيصل، والمجلة العربية، وقد كتب فيها في آخر حياته عدة مسلسلات منها «كُنْاشة الشهر» و«أيام حزينة» وفي هذه كتب عن أمه مقالاً بعد مرور عام على وفاتها يدخل في مجال الإبداع الأدبي، وبحسٍّ من يقرؤه أنه كتب عن كل أم، ومنها مقالات عن ذكرياته في مكة المكرمة.

وفي مجال الصحافة كتب في أكثر الصحف السعودية ومن أهمها صحف البلاد والجزيرة، والرياض، وقد كتب المقالة الأدبية الذاتية والنقدية والاجتماعية.

وفي مجال التأليف كانت له محاولات قبل تخرجه من المعهد العلمي السعودي، وفور تخرجه، وبعضها لم يرَ النور، وقد تحدّث عنها في كتابه (رحلتي مع التأليف)^(١)، وشارك في تأليف الكتب المدرسية في بداية حياته، وله محاولات مسرحية^(٢).

وقد أنشأ الرفاعي مع مجموعة من الشباب سنة ١٣٦٦هـ لجنة التأليف والنشر، وقد نشرت هذه اللجنة عدة كتب منها نشر كتاب (إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام) لعبد الكريم القطبي، وقد اشترك في تحقيقه مع أحمد جمال، وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات^(٣).

يقول الرفاعي: «لقد مرّت هذه المرحلة من عمري وهي مرحلة الشباب دون أن أستقل بعمل أدبي خاص، فلم أنشر باسمي -منفرداً- أي كتاب، حتى جاوزت حدّ الأربعين وإن كنت قد بذلتُ بعض النشاط في الصحف والمجلات والمؤتمرات الأدبية والإذاعية، ولكن كل ما كتبت في هذه الوسائل ظلّ أوراقاً لا

(١) ص ٦ وقد صدر الكتاب عن دار الرفاعي عام ١٤١٣هـ (١٩٩٢م).

(٢) انظر: رحلتي مع التأليف / ١٥ و ١٧.

(٣) انظر: الكتاب السابق / ١٩، ومجلة قافلة الزيت عدد رجب ١٤٠١هـ (مايو/ يونيو ١٩٨١م).

يجمعها كتاب حتى كان عام ١٣٨٩هـ، في عام ١٣٨٩هـ اشتركت في مؤتمر الأدباء السابع الذي انعقد في بغداد وألقيت فيه محاضرة مختصرة بعنوان (توثيق الارتباط بالتراث العربي) وهذا أحد الموضوعات المقترحة من قبل مؤتمر الأدباء ذاته.

وعقب عودتي عقدت العزم على أن أبدأ في نشر بعض كتاباتي التي يصح أن تصدر في كتيبات صغيرة يضم كل كتاب موضوعاً معيناً أي أنني لم أفكر في جمع مقالاتي من ذوات الموضوعات المتباينة، ورأيت أن أبدأ بهذه المحاضرة، وبدا لي أن أسمي هذه الإصدارات (المكتبة الصغيرة) مشيراً إلى صغر حجم هذه الكتيبات، ولا أعني طبعاً أن أخصصها للصغار^(١).

أصدر الرفاعي الأعداد الأربعة الأولى من هذه السلسلة، ثم فتح المجال غيره فضمت إصدارات كثيرة لأقلام سعودية وعربية وإسلامية، وبلغ عدد إصداراتها (٥٥) كتاباً.

وبعد أن فتح المجال لغيره في سلسلة المكتبة الصغيرة أصدر سلسلة أخرى تشبهها من حيث الحجم هي سلسلة (من دفاتري)، وقد خصصها لما كتب من موضوعات تتميز بوحدة الموضوع^(٢).

على أن للرفاعي كتباً أخرى صدرت خارج سلسلتي (المكتبة الصغيرة) من دفاتري منها (يوميّات مئذنة مكية)، و(زيد الخير) وطبع بعض محاضراته في كتيبات^(٣)، إلا أن حبه للسلاسل جعله يعود إلى إصدار سلسلة شعراء مغمورون وهي عن شعراء عُرفوا بجودة الشعر ولم يُعنَ أحد باللقاء لأضواء عليهم، وقد أصدر منها (عبدالله بن أبي صبح المزني)، و(خارجة بن صبح المللي).

رحلتي مع التأليف / ٢٣، ومجلة قافلة الزيت السابقة.

نظر: رحلتي مع التأليف / ٤٠.

نظر: المصدر السابق ٤١، ٤٣.

وقد صدر للرفاعي الكتب التالية ضمن السلاسل السابقة أو خارجها:

- ١ - توثيق الارتباط بالتراث.
- ٢ - جبل طارق والعرب.
- ٣ - خمسة أيام في ماليزيا.
- ٤ - كعب بن مالك.
- ٥ - أم عمارة.
- ٦ - من عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب والموظفين.
- ٧ - الحج في الأدب العربي.
- ٨ - ضرار بن الأزور.
- ٩ - خولة بنت الأزور.
- ١٠ - أرطاة بن سُهَيْة.
- ١١ - الرسول كأنك تراه (حديث أم معبد).
- ١٢ - يوميات مثذنة مكية (قصيدة).
- ١٣ - ظلال ولا أغصان (ديوان).
- ١٤ - زيد الخير.
- ١٥ - رحلتي مع المكتبات (مكتبات مكة المكرمة).
- ١٦ - رحلتي مع التأليف.
- ١٧ - عبدالله بن أبي صبح المزني.
- ١٨ - خارقة بن فليح المللي.
- ١٩ - تلميحات شواهد ابن زيدون، وهي محاضرة أعدت للذكرى الألفية لميلاد ابن زيدون عام ١٩٧٥م في الرباط، وهي عن شواهد ابن زيدون في رسالته الجديدة، وقد طبعها المشرفون على المؤتمر المذكور في المغرب.
- ٢٠ - عناية الملك عبدالعزيز بنشر الكتب، محاضرة نشرتها مكتبة الملك فهد بالرياض في كتاب.

٢١- ابن جبير في الحرمين الشريفين، محاضرة طبعها بنك الرياض في كتاب.
٢٢- نوارد المخطوطات في خزانة البغدادي، أعطاها لمؤسسة الفرقان في لندن لنشرها.

٢٣- كناشة الرفاعي، طبع سنة ١٤١٦هـ (١٩٩٥م) عن دار الرفاعي، وشملت مقالاته التي نشرها في المجلة العربية على هذا العنوان.

وقد قال الرفاعي عما لم ينشر من إنتاجه: «على أن هناك ركاماً من كتاباتي المتفرقة، فيها ما ينتظمه موضوع واحد، وهذه مازلت أمني النفس بين حين وآخر أن أفرغ إليها لأستخرج منها الموضوعات المتجانسة، ولكنني أرى الأيام تبتلع الأمنيات، والعمر أقصر من أن يتسع لها»^(١) وقد كتب ذلك في جدة في ١٣/٧/١٤١١هـ.

النشر :

١ - دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع:

أنشأها في مستهل عام ١٤٠١هـ، بعد أن تقاعد وتفرغ للثقافة «وهدف منها إلى تقديم ثقافة أصيلة مركزة، وإيجاد سلاسل ثقافية متنوعة، مع التركيز على خدمة التراث الإسلامي لتوثيق الارتباط به»^(٢)، وتنوعت هذه السلاسل لتلبي شتى الاحتياجات الثقافية الجادة الهادفة، وهذا سرد لأسمائها:

١ - المكتبة الصغيرة، وقد تنوعت موضوعاتها، وأسهم فيها كبار الكتاب.

٢ - السلسلة الشعرية.

٣ - المصاييح.

٤ - دراسات في الصحافة الأدبية.

(١) رحلتي مع التأليف / ٥٠، وتعمل دار الرفاعي على نشره.

(٢) من منشور «عشر سنوات من العطاء الثقافي» الصادر عن الدار نفسها.

- ٥ - المكتبة التراثية.
- ٦ - في رحاب الحرمين (أشهر رحلات الحج).
- ٧ - مذاهب وتيارات.
- ٨ - مدن ومعالم.
- ٩ - تواريخ مكة.
- ١٠ - في السيرة النبوية.
- ١١ - أمهات الكتب.
- ١٢ - دنيا القصص.
- ١٣ - سلسلة الطبقات.
- ١٤ - مكتبة الدراسات.
- ١٥ - دراسات أدبية.
- ١٦ - كتب في الإعلام.
- ١٧ - الصحة والحياة.
- ١٨ - سلسلة المعاجم.
- ١٩ - في الاقتصاد الإسلامي.
- ٢٠ - آفاق إسلامية.
- ٢١ - من دفاتري.
- ٢٢ - شعراء مغمورون.

وقد تضمنت هذه السلاسل كتباً قيمة، منها ما هو في مجلد، ومنها ما هو في مجلدات، ومؤلفات من مختلف البلدان.

هي مجلة فصلية متخصصة تهتم بالكتاب وقضاياها، صدر عددها الأول في رجب عام ١٤٠٠هـ (مايو ١٩٨٠م)، وقد أسسها عبدالعزيز الرفاعي وعبدالرحمن ابن فيصل المعمر ورأس تحريرها (وما يزال) د. يحيى محمود بن جنيد (ساعاتي) وهي مجلة محكمة أي لا ينشر فيها إلا ما هو محكم، ووجدت بخط الرفاعي في صورة إجابة على أسئلة صحفية لم يُذكر فيها الموجهة إليه «الهدف من مجلة عالم الكتب هي خدمة الكتاب وخاصة الكتاب العربي، والتعريف به في أرجاء العالم العربي؛ بل في أرجاء العالم بأسره كلما كان ذلك ممكناً».

ندوة الرفاعي^(١):

من أشهر ما تميز به الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي ندوته الأسبوعية التي كانت تعقد في منزله مساء كل خميس، وقد استمرت أكثر من ثلاثين عاماً، وحضرها فضلاء الرجال من كل أنحاء العالم العربي والإسلامي.

كانت بدايتها في مكة المكرمة حيث كان يجتمع مجموعة من هواة الأدب والأدباء من الشباب في لقاء أسبوعي منتظم يتم كل أسبوع في دار أحدهم، وكانت تتم فيه قراءات أدبية، ولكن التاريخ الفعلي لندوة الرفاعي بدأ عام ١٣٨٢هـ في داره، فقد كان يرى أن «الجلسات الفكرية تعد مدارس علم وأدب، وأن الاستماع في الأساس كان هو وسيلة العلم الأولى، وكان التلقي هو ركيزته، وذلك قبل أن يعرف الإنسان القلم والكتابة والكتب» ويمتد وقت الندوة من صلاة المغرب إلى الساعة الثانية عشرة ليلاً، وتبدأ حواراتها بعد صلاة العشاء،

(١) هذا ملخص من كتابي «ندوة الرفاعي» الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٤١٤هـ/١٩٩٤م في ١٤٢ صفحة محتوية على معلومات عنها، وما قيل فيها شعراً ونثراً وبعض الصور.

وقد تنقلت معه؛ فكانت تعقد شتاءً بالرياض وصيفاً بالطائف، وعند تقاعده صارت تعقد في الرياض أو في جدة أو في الأندلس حيثما وجد، فهي مستمرة على مدار العام.

كانت موضوعات الندوة تأتي عفوية دون تنسيق مسبق، وإذا طرح موضوع استأثر بجل الوقت ودار حوله الحوار والتعليق، ويعطى للضيف الزائر الحديث عن الاتجاه المبرز فيه، بيد أن صاحبها قد درج على جعل الثلث الأخير منها لإلقاء الشعر من الشعراء الحاضرين، وهو الشيء الوحيد الثابت في برامجها، ويندر أن يأتي مثقف أو شخصية ذات وزن بارز في مجال معين دون أن تحضر مساء الخميس ندوة الرفاعي.

ولقد كان الرفاعي رباناً ماهراً في إدارة حوارها بالرغم من أنه يكرر أنه واحد من روادها ويطلب من غيره إدارة الحوار، لكنه يبقى هو المدير الفعلي للحوار؛ ولذا يندر أن يحصل فيها شد أو احتداد بالرغم من الاختلاف في الآراء المطروحة؛ لأنه يحسن نقل الحوار لموضوع آخر بكل هدوء ولطف.

وإذا ما انفضَّ الجمع تعلو وجوههم البسمات لقيهم أبو عمار عند بوابة الخروج وفي يده قارورة العطر ليضمخ أيديهم بالعود، ولهذا سمى الشاعر عصام الغزالي قصيدته الوداعية عندما غادر الرياض «العطر في الوداع» وقال فيها عن المنتدى:

على ربّه بسمه أورقت وقالت لسماّره: أورقوا
وصافحتُ والعطر في كفّه فألفيت للعطر ما يلصق

وفي منتصف شعبان عام ١٤١٣هـ حان وقت انتقاله إلى جدة ووعد باستئناف الجلسات بعد عيد الفطر، ولكن إرادة الله شاءت أن تكون تلك الجلسة آخر جلسات الندوة الرفاعية، فقد سافر إلى أمريكا فإسبانيا فألمانيا

للعلاج، وعاد ليحمل على الأكتاف إلى مقابر مكة، وبذلك غابت شمس ندوة أدبية دامت أكثر من ثلاثين عاماً، وكانت زينة المجالس في رقي حوارها الذي يدور على مستوى رفيع، يتعرف من يحضره على حوارات الرجال المثقفين وآدابها، وحسن الكلام، وحسن الصمت، ويرى بعينه أن مجالس ذوي الفضل مدارس آداب، ومعاهد ثقافة، وأنها راحة للنفس، وواحة للوجدان، وسلوى للحزين الحيران بما يتخللها من طرائف تليق بمجالس الفضل.

وقد يسر الله لهذه الندوة أن تستمر في موعدها من بداية العام الدراسي إلى نهايته في منزل أحد رؤاها، وهو الشيخ أحمد بن محمد باجنيد، الذي فتح منزله للندوة في الموعد نفسه وسماها «ندوة الوفاء» وفاء لصاحبها، وبقيت رائدة للندوات الأدبية.

النتاج الأدبي:

يتميز الرفاعي بالنفس الأدبي في كل ما يكتب حتى في التراجم وغيرها مما لا صلة له بالأدب، وقد برز في الأنواع الأدبية الآتي:

١ - الرحلات:

وقد كتب عن رحلته إلى الشرق الأقصى مقالات نُشر معظمها في جريدة البلاد، ولكنها لم تُجمع في كتاب ما عدا الجزء الخاص بماليزيا فقد نشره في كتيب (خمسة أيام في ماليزيا) وقد قال عن هذه الرحلات: «إن هذه الانطباعات التي أنشرها اليوم عن ماليزيا إنما تشكل جزءاً من رحلة إلى الشرق الأقصى، أعني بعض أقطاره، إذ كانت ماليزيا منطلقاً إلى سنغافورة فهونج كونج، فالصين الوطنية، فاليابان، فتايلاند، فاندونيسيا، وفي كل كانت لي مشاهد وطرائف وقصص، وقد نشرتُ في صحيفة البلاد الغراء معظم فصول هذه

الرحلة التي دامت شهراً بعنوان ثلاثون يوماً في الشرق الأقصى»^(١)، ولعل هذه المقالات تجمع في كتاب واحد يكون في متناول الدارسين، وبخاصة أن الرفاعي يملك مقدرة بارعة في دقة الوصف، وحسن التصوير، إلى جانب ما حوته من معلومات نفيسة.

٢ - المقالة:

وقد كتب المقالة الأدبية الذاتية والنقدية والاجتماعية، وقد وهب براعة في الوصف، فهو من المبدعين في المقالة الوصفية، ويتميز أسلوبه باللغة البيانية والسهولة، وقصر العبارة، وهو أديب في عبارته حتى في مؤلفاته دون أن يخل جمال الصياغة وحسن العبارة بالمادة العلمية، وليس المجال مجال دراسة فنية لكتابات الرفاعي، وقد سبق التطرق إلى الصحف والمجلات التي نشر فيها مقالاته^(٢).

٣ - الشعر:

وهو ما حواه هذا الديوان، وسنتكلم عنه تحت عنوان ديوان الرفاعي.

(١) خمسة أيام في ماليزيا / ٥.

(٢) صدر عن نادي جدة الأدبي في ١٤١٤/٣/١ هـ (١٩٩٣/٨/١٨ م) كتاب عبدالعزيز الرفاعي أديباً للدكتور محمد بن مريسي الحارثي أي قبيل الوفاة بأيام، وانظر: محمد العوين: المقالة في الأدب السعودي الحديث، وأثناء طباعة هذا الديوان صدر عن دار الرفاعي كتاب (أدب عبدالعزيز الرفاعي، دراسة موضوعية وفنية) لإبراهيم بن محمد الشتوي، ط ١، ١٤١٩ هـ/١٩٩٩ م، وهو في أصله رسالة ماجستير وهي دراسة نفيسة تقع في ٥١٧ صفحة.

ديوان الرفاعي

ما نشره الشاعر

وجدت بخط يده فيما كتبه لأحد اللقاءات الصحفية أنه حاول النظم بعد العاشرة بقليل، وأنه في سنوات دراسته في المعهد العلمي السعودي أخذ يقول شيئاً تصح قراءته^(١)، وأنه حاول نظم مسرحية شعرية عن الزبأ مقلداً مسرحيات شوقي ثم انصرف عنها^(٢)، وأنه نشر بعض النفثات، وقال ما كرره في كثير من اللقاءات الصحفية وفي لقاءات المجالس من أنه ليس بينها ما يصح أن يسمى شعراً، وقد كتب ذلك في ١٤٠٧/٢/٢٧ هـ.

وهو حين يقول ذلك إنما يقوله من باب التواضع الذي عُرف به، فهو يقلل من قيمة أعماله كلها ليس قولاً فحسب؛ بل كتابة في كتبه ومقالاته، يقول عبدالله القرعاوي عن هذه الظاهرة: «فقيد الأدب الراحل عبدالعزيز الرفاعي تتميز شخصيته بمميزات يندر وجودها في كثير من الأدباء أو الشعراء، فالراحل الغالي كان شخصية شاملة، يتمتع بالخلق الرفيع، والأدب الجم، حتى يصل به هذا الأدب إلى إنكار كل أعماله، مع ما تتمتع به من إنجازات، ولكنه تواضع العلماء»^(٣).

وقد أشار القرعاوي في مقاله السابق إلى أنه كان ينشر شعره تحت اسم مستعار فقد قال: كان يخفي شاعريته وراء اسم مستعار، استمر في إخفائه منذ أكثر من أربعين عاماً^(٤).

(١) انظر: قصيدة «تحية المعهد العلمي» الآتية/ ص ١٥٧.

(٢) انظر: أيضاً رحلتي مع التأليف/ ٦ وما بعدها، وديوانه ظلال ولا أغصان/ وسيأتي ذلك ص ٧٥.

(٣) الرفاعي وتواضع العلماء، الأربعاء الأسبوعي الصادر في ٢٩ ربيع الأول ١٤١٤ هـ/ ١٧ (ملحق يصدر عن جريدة المدينة).

(٤) ذلك الاسم المستعار هو شاعر الأغصان.

وهذا التردد في نشر شعره وإلقائه استمر مرافقاً له طوال حياته، وفي آخر أيامه أقدم على إصدار بعض شعره في ديوانه «ظلال ولا أغصان» وما قاله في مقدمة الديوان: «لن أتواضع فأقول إنه ليس شعراً، ولن أدعي أيضاً أنه شعر، ولكنه عمري»^(١)، ويمضي في الاعتذار عن إصدار الديوان وكأنه ارتكب خطأ بإصداره فيقول: «وما جمعت من هذه الكلمات فقدمته لقرائي اليوم بعد تردد لم يطل أكثر من ثلاثين عاماً، إنما هو شطر من ذلك العمر التهومي الذي عشته»^(٢).

قد أصدر الديوان المذكور في (١٥٧) صفحة من الحجم الصغير، عام ١٤١٣ هـ (١٩٩٢ م)، «أما لم حمل هذا الديوان عنوان «ظلال ولا أغصان» فذلك راجع إلى أن هذا الشيء الذي رأى النور بعد ثلاثين عاماً هو جزء من شعر الشاعر أو بتعبير آخر هو الظلال أما الأغصان (وهي الجزء المتبقي) فقد آثر الشاعر أن يزويها، وألا ترى النور، وهو يعطي بصيصاً عن مضمونها في المقدمة حين قال: «إن ذلك الشطر الذي أستدلت عليه الستار لا يعدو أن يكون مما ألف الناس من العواطف والأحاسيس بل هو مما أحبوا من عهد امرئ القيس إلى عهد علي محمود طه»^(٣).

ولابد من الإشارة إلى أن تلك الأغصان التي أعرض الشاعر عن نشرها ليست كلها مما أشار إليه، فهناك ما لا يدخل فيما ذكره، كما سيتضح من هذا المجموع الذي ننشره، ومنه قصيدة (السلام عليك) في المديح النبوي التي صدرنا بها هذا الديوان لشرف موضوعها، وقد أعدّها للطباعة وشرحها وصححها ولكنها لم تصدر إلا بعد وفاته، وقد كتب عليها (من ديواني ٢).

(١) ظلال ولا أغصان/٣(ط/١)، وص ٧٣ من هذه الطبعة.

(٢) المصدر نفسه/٤.

(٣) من مقال لي نشر عند صدور الديوان في صحيفة الجزيرة يوم السبت ٨ شعبان ١٤١٣ هـ (٣٠ يناير ١٩٩٣ م) العدد ٧٤٢٩ (زاوية دقات الثواني).

الظلال والأغصان

قسمنا هذا الديوان الذي ضم ما وجدناه من شعره إلى قسمين:

القسم الأول:

ما نشره الشاعر وهو قصيدة (السلام عليك) وديوان (ظلال ولا أغصان) وكان قد أصدر قبل ذلك قصيدة (من يوميات مئذنة مكيّة) عام ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م ولكنه ضمنها ديوان (ظلال ولا أغصان) عندما نشره عام ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، وقد أعدنا طباعة هذا القسم - مصوراً - كما نشره الشاعر، ليضم هذا المجموع كل ما عثرنا عليه من شعره.

القسم الثاني:

الأغصان، وهو ما جمعناه من شعر الشاعر الذي لم ينشره في ديوان، وإن كان بعضه قد نشر في الصحف والمجلات (وأشرنا لذلك في الهامش عند التعليق على القصائد)، واستوحينا هذا الاسم مما كتبه الشاعر في تقديمه لديوان (ظلال ولا أغصان)^(١)، ومن اسمه المستعار الذي كان ينشر تحته شعره وهو شاعر الأغصان، وسنتحدث في السطور التالية عن عملنا في جمع هذا الشعر وترتيبه وتحقيقه.

جمع الشعر

عندما أرادت دار الرفاعي إصدار ديوان الشاعر استعانت بالدكتور محمد أبريكر حميد الذي شكّا إليّ أنه استعان بأحد الإخوة فأعطاه الملفات ليجمع الشعر ويصححه، ولكنه أي المصحح ليست لديه خبرة بالشعر، فحذف أو غير أو ضبط القصائد من غير دراية مما شوّه الشعر، ولم يرتبه أو يتخذ منهجاً في

(١) انظر: ص ٧٣ الآتية.

ذلك؛ بل طبع كل قصيدة منفردة، وأحياناً قسم القصيدة إلى قصيدتين، والأهم من كل ذلك أنه في بعض الأحيان عدّل على الأصول مما أضاف عبثاً وصعوبة في جمع الديوان وتصحيحه.

ثم أعطت دار الرفاعي ذلك الصنيع للأخ علي بن إدريس بن علي بن عثمان، فبذل جهداً مشكوراً في تعديل أخطاء ذلك المصحح وصحح ما أمكنه تصحيحه، ولكن تلك القصائد لم تكن شاملة لكل الشعر من جهة، ومن جهة أخرى شوّهها المصحح الأول تشويهاً كثيراً، يحتاج إلى جهد كبير لإزالة ذلك التشويه.

ولهذا بدأت بداية جديدة فعدت لجميع المصادر التي سأذكرها فيما بعد، وجمعت منها كل الشعر، سواء ما سبق طباعته مما شوّه المصحح الأول، وما لم يسبق جمعه وهو كثير، وبعد أن تأكدت بنفسني من نسبة الشعر للشاعر، عملت الآتي:

١ - استبعدت أصول القصائد التي نشرها الشاعر في حياته اكتفاء بنشره لها في ديوان (السلام عليك) وديوان (ظلال ولا أغصان) الذي أبقيته كما رتبها الشاعر، وبالاسم الذي وضعه له وجعلته القسم الأول من هذا الديوان الذي بين يدي القارئ.

٢ - وجدت له بعض قصائد عامية وأزجال هي أقرب للتندر والفكاهة، لم أضمنها هذا الديوان، وهي موجودة مصنفة في أصول الديوان التي رتبها بعد تصنيفها إليّ: ما نشره في حياته، وما قاله بالعامية، وما وجه إليه، وما لم ينشر في ديوان من قبل، وسلمتها لدار الرفاعي للنشر.

٣ - أما الشعر الموجه إليه فما ردّ عليه أو عارضه نشرته ونشرت ردّ الشاعر عليه، وما سوى ذلك جمعته ووضعت مع أصول الديوان ليستفيد منه من رغب نشر ذلك النوع من الشعر.

٤ - رتبت شعر الشاعر ترتيباً تاريخياً، حسب ما سيفصل في ترتيب الديوان فيما بعد.

مصادر الشعر

اعتمدت في جمع شعر الرفاعي على عدة مصادر؛ توثيقاً له، وقد توجد القصيدة في أكثر من مصدر، وهي:

أولاً: كراسة قديمة: في أولها معلومات عن الهندسة وقمارين هندسية، مما يدل على أنها من كراريسه عندما كان طالباً في الثانوية، ولم أجد بها ما يدل على تاريخ نسخ القصائد الموجودة بها، ولكنه ذيل كل قصيدة بتاريخها ويمكن إنشائها، وقد صنف فيه القصائد، ووضع كل مجموعة منها تحت عنوان على النحو التالي:

١ - الغصن:

ووضع فيه قصيدة: إلى الغصن الأسمر.

٢ - سمر وبيض:

ووضع فيه قصائد: ما كان ضرر، وكبد ضائعة، ودنيا شاعر، ولمن؟، ومركب الحسن، وفاتن المسيال، ثم طمس ذلك وكتبها (فاتن الأغصان)، ومذعورة.

٣ - شجون:

وشمل قصائد: تائه، وأغنية تتمنّع، وغضبة، وتساؤل، وصبارة، ودعاء، وعودة، وبعد الصمت.

٤ - أغاريد الرياض:

وشمل قصائد جلنار، والياسمين، ومع البلابل، ومع الأغصان، وبين الرمل وشوشة، وفراشة، وموعد العيد، ورجاء، وشفة غليظة، ووداع، وشوشة،

وصورة ملونة، وانتظار، وعهد، وسراء، ومن فينا.

٥ - مع التيار:

واحتوى على قصائد: لا تأس، ونشيد الجامعة، وحريق دار العرب، وتحية.
وذلك يدل على أنه كان ينوي تصنيف الديوان على هذا الشكل، فمثلاً
قصيدة «موعد العيد» كتب في أعلى الصفحة (سمر وبيض)، وقصيدة
(عهد) كتب في أعلاها (من الغصن الأسمر) مما يشير إلى أنه كان ينوي
نقلها إلى هناك، وجميع القصائد تنحصر ما بين عامي ١٣٦٣هـ
و١٣٧٣هـ.

ثانياً: مذكرة متوسطة الحجم كتب عليها (الدفترا الأزرق) ويبدو أن
صغر حجمها ليتأتى له حملها في أسفاره، وقد كتب في أولها (أغصان جافة
أو الأغصان التي كانت) وكتب فيها القصائد الآتية، مديلاً كل قصيدة
بالمكان والتاريخ:

مع الأغصان، والمرفا الأخير، ودنيا شاعر، لمن، وموكب الحسن، وفاتن
الأغصان، ومذعورة، وأسمر، وتائه، وعودة، ومن فينا، وانتظار، وتساؤل،
وحكاية حب، وبين الربى والسهول (جداول)، وحب وحذب، وغامضة، والموسيقى
المتجول، ويا عيد، وبائعة الشذى، وإرما، وشاعر وغصنان، وغصنان، وموكب،
وموكب وشاعر، وأبا تراب، وصدى عتاب، وبعد الصمت.

وينحصر تاريخ القصائد ما بين عامي ١٣٦٦هـ و١٣٨١هـ ما عدا قصيدة
(المرفا الأخير) فتاريخها عام ١٣٩٣هـ.

ثالثاً: كراسة ثالثة، ويظهر أنها متأخرة، وقد كتب في أولها (أغصان)
وخلت كل القصائد من التاريخ ومن المكان، وقد نسخ فيها الشاعر القصائد
الآتية:

مع الأغصان، ومذعورة، والهوى الأسمر، وعودة، وانتظار، ومن فينا،
وغضبة، ومن وحي مسيل وج، وموعد العيد، وشفة، ووداع، ووشوشة، وبائعة
الشذى، وحكاية حب، وبين الربي والسهول، وحب وحذب، وغامضة، وذات
الرداء الأزرق، وحزنى، ولغة.

ويلاحظ تكراره للقصائد في الدفاتر الثلاثة وتعديله عناوين بعضها،
وظهر لي أن هذه الكراسة هي آخر تنقيح منه للقصائد.

رابعاً: ملفات في دار الرقاعي للنشر: منها (ملف أشعاري) وهو ملف
كان الشاعر يحفظ فيه أصول قصائده أو صوراً منها، وما يوجه إليه من شعر من
غيره سواء ردّ عليه أو لم يرد، ومنها (ملف شعر) و(ملف التكريم) و(ملف
رحلة إلى الشرق) وبعض مذكراته حيث ضمنها حيناً بعض شعره.

خامساً: الصحف والمجلات التي نشرت بعض قصائده، منها ما
احتفظت بصور منها دار الرقاعي، ومنها ما وجدته عندي، ومنها ما عدت إليها
في المكتبات.

سادساً: ما وجدته عند بعض أصدقائه.

ترتيب الديوان

ضم القسم الأول من الديوان ما نشره الشاعر في حياته، وقد طُبِعَ مصوراً
عما طبعه الشاعر وصدرناه بقصيدة (السلام عليك) لشرف موضوعها. أما
القسم الثاني الذي سميناه «الأغصان» فقد رتبته بعد أن تم جمعه (بالشكل
الذي سبق بيانه في جمع الديوان) كالآتي:

١ - قمت بترتيبه ترتيباً تاريخياً حسب التاريخ الذي ذيل به الشاعر القصيدة
أو المقطوعة، وقد كان الشاعر يذيل شعره باسمه أو توقيعه ويمكن إنشاء

الشعر وتاريخه، وما لم يكتب عليه تاريخ اجتهدتُ في تحديد تاريخه حسب ما هو موضح في هامش كل قصيدة، وإذا طبع التاريخ في آخر القصيدة فهو يعني أن الشاعر هو الذي كتبه. أما ما اجتهدت في تحديد تاريخه فقد وضعته حسب ما أراه وأشرت لذلك في الهامش.

٢ - ما لم أجد أصوله ووجدته منشوراً اعتمدت تاريخ نشره في الصحف والمجلات.

٣ - ما لم أجد له تاريخاً، ولم يهديني اجتهادي لشيء حوله وضعته في آخر الديوان.

أما لماذا انتهجت هذا النهج في ترتيب الشعر ترتيباً تاريخياً؟ فلأنني رأيت ذلك هو الأنسب، فهو يعطي تصوراً لحياة الشاعر ولسنه التي قال فيها الشعر، فالارتباط بين الشعر وعمر الشاعر مهم، ألم يقل عن شعره في مقدمة ديوانه ظلال ولا أغصان «لن أتواضع فأقول: إنه ليس شعراً، ولن أدعي - أيضاً- أنه شعر، ولكنه عمري، يكفي أن أقول هذا بإيجاز حاسم».

تحقيق الشعر

لم يكن الشاعر يعني بشعره كما سبقت الإشارة إلى ذلك، ومن ذلك - وهو كثير - أنه كان يكتبه على الورقة الموجودة لديه عند إنشاء الشعر، فأحياناً يكتب على ورقة تقويم، وأحياناً على ظرف رسالة وصلته، وأحياناً على ورقة فندق أقام فيه، وأحياناً على ورقة طائرة امتطاها، وقد كتب بعض شعره بخط واضح في بعض الكراريس التي سبق وصفها في مصادر الشعر، وكان ذا خط جميل، ولكنه كان إذا جاءه الشعر كتبه على الورقة التي أمامه فيعدل حيناً، ويطمس حيناً، وقد يكتب كلمتين إحداها فوق الأخرى حيناً ليختار إحداها فيما بعد، فإذا انصرف عن الشعر تركه على حاله، ولم ينقله بخط واضح، فهو

كتب الشعر لنفسه لا ليطلع عليه غيره، ولم يعنَ بجمع شعره وإعداده للنشر كما بين ذلك في مقدمة (ظلال ولا أغصان).

وقد عملت في تحقيق الشعر الآتي:

١ - ضمنت الأصول أو الصور أو ما نشر في الصحف لكل قصيدة أو مقطوعة، واعتمدت آخر نسخة نقحها الشاعر، فإن وجدتُ خلافاً عدتُ للأخريات، وهذا يكثر في شعره الذي لم ينقحه وتركه على حاله التي كتبها لأول مرة كما سبق تفصيله، وكذلك في شعر الصبا.

٢ - تحريت الدقة في نسبة الشعر إليه، واستبعدت ما لم ينسب إليه صراحة، لأنه أحياناً يكتب شعراً أعجب به أو وجه إليه ولا يشير إلى شاعره، ويطلب حفظه في ملفات الشعر.

٣ - أثبت في المتن المقدمات النثرية التي كتبها لقصائده، فكل ما في المتن كتبه الشاعر أما التعليقات في الهوامش فهي من عملي، وقد أنقل فيها نصاً له يتعلق بالقصيدة وأشير إلى ذلك.

٤ - أشرت في الهامش إلى الصحيفة أو المجلة إن كانت نشرت الشعر، فإن كانت الصحيفة أو المجلة هي المصدر، ولم أعثر على أصل بخط الشاعر وضحت ذلك.

٥ - ضبطت من الكلمات ما رأيته محتاجاً إلى ضبط، وذلك في أضيق الحدود، ولكن بعض القصائد التي عهد بها إلى المصحح (الذي سبقت الإشارة إليه) قد أسرف في ضبطها (وفيه أخطاء)، وقد حذفتُ أو صححتُ، ولكن قد يكون بقي للأخطاء بقية، لأنني حاولت الاستفادة من الصف الآلي السابق لتلك القصائد.

القسم الأول من الديوان

١ - قصيدة السلام عليك

٢ - ديوان ظلال ولا أغصان

١ - قصيدة "السلام عليك"

قصيدة مديحية

مع شرحها للناظم نفسه

مقدمة

هذه القصيدة أعتز بها حقاً.. لا لأنها جاءت على ما أحب من المستوى الرفيع معنىً ومبنىً .. فذلك ما لا أدعيه؛ بل هو ما أنفيه .. ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه، وشاعراً (أو ناظماً) عرف قدر نظمه.

إنما أعتز بها لهذا الموضوع الذي دارت حوله، وهو موضوع طالما تآقت إليه نفسي، وتطلعت إليه روحي، واشتاق إليه وجداني..

حقاً لقد أخذت أعالج النظم، ولا أقول الشعر، منذ وقت مبكر من عمري.. ودرت معه في أكثر من فلك، وذهبت نوازع الشباب وأحلامه بأكثر محاوره، وكان للإخوانيات نصيب يذكر.

ولكن التطلع إلى امتداح الرسول العظيم عليه أفضل الصلاة والتسليم، ظل حلمًا من أحلامي الحبيبة، اشتد إليه تشوفي بعد أن مالت شمسي إلى الغروب، وأدركت مدى تقصيري في هذا الجانب، وبخاصة أنا الذي تعلقت أشواقي بسيد المرسلين ، منذ شبابي الباكر، حتى لكان أول تطلعي إلى التأليف، توقاً شديداً إلى أن أضع كتيباً في السيرة الشريفة، لطلّبتني في الابتدائية حينما عملت في مطلع حياتي العملية مدرساً في المدرسة العزيزية الابتدائية بمكة المكرمة .. وهو كتيب لم يُقدّر له أن يتم، لمغادرتي دنيا التدريس إلى عالم الوظائف الإدارية .. فطويت الفكرة بعد أن تغيّر المناخ !

ومنذ سنوات قليلة خلت .. أخذت فكرة محاولة نظم قصيدة مديح نبوية تلح عليّ إلحاحاً كبيراً.. وما كان يحول بيني وبين الإقدام على تحقيق هذا الحلم العزيز.. إلا ما أحسّه في نفسي من قلة بضاعتي في عالم

النظم؛ بل ضعف قدرتي على اقتحام هذا الجانب بالذات، الذي دار حوله شعراء عظماء، بلغوا فيه أمداء بعيدة من الجودة والإبداع والتحليق!

حقاً لقد نظمت على مدى العمر، أو على مساحة منه بلغت خمسين سنة، نظماً ربما بلغ مقدار مقطوعاته خمسين أيضاً.. ولكنني كنت أنظر دائماً لهذا النظم نظرة استخفاف، ربما كان مصدر ذلك أنني دائماً أحاول في تقويمه أن أنظر إلى أولئك العظماء من الشعراء المبدعين الذين أتذوق إبداعاتهم تذوقاً خاصاً.. تماماً كمن يحسن تذوق الطعام اللذيذ المتقن، ليعلم أين مكان إتيقانه.. ولكنه لا يستطيع أن يصنع مثله، ولا ما يقترب من مثله، أي من يمكن أن نسّميه (الذواقة).

وإذا كان هذا شأني مع نظمي بصفة عامة.. فماذا تكون نظرتي إلى محاولة اقتحام ميدان المديح النبوي.. وهو فن جود فيه المجددون وحلّقوا وأبدعوا.. وبهروا؟

وبالرغم من هذه الخواطر المثبطة.. كان الإلحاح أعظم وأكبر، يملأ أقطار نفسي، حتى ليصبح شغلها الشاغل.

وبلغ الإلحاح مداه في صيف عام ١٤١٢هـ، وبلغ أوج المدى في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول.. ذكرى مولده عليه أفضل الصلوات.

ولما كان العهد بالشعراء الكبار فيما عرفه جيلي، والأجيال التي سبقتة على مدى أربعة عشر قرناً، هو التماس المطلع الجميل الذي يهز الوجدان، أو يشد انتباه السامع أو القارئ، ليحمله على متابعة الشاعر في أبيات قصيدته، وليجتذب الإصغاء والإنصات.. فقد أخذت أسأل نفسي: ترى ما المطلع الذي أدخل به إلى قصيدتي؟ وخيل إلي أن الشعراء المبدعين الذين سبقوني بروائع مدائحهم، لم يتركوا لي شيئاً ألتسمه.. وأنهم ذهبوا بالمطالع

المبدعة جميعها.. ثم قلت لنفسي لماذا لا يكون مطلعي هو التعبير عن هذه
الفكرة.. أي (البحث عن مطلع)..؟ وهكذا كان مطلعي:

المبدعون، وكيف لي أن أبدعاً؟

قطفوا الروائع لم أجد لي مطالعا

ثم مضيت ألتمس البيت تلو البيت.. أو الزمرة من الأبيات تلو الزمرة
منها.. وكنت أملك فراغاً من الوقت.. وإن كانت شراغل الحياة تملأ القلب
والنفس.. فلا تترك فيهما فراغاً.

وكنْتُ أصطاف في مدينة "فينخوريلا" بالأندلس.. وهي مدينة
(سهيل) التي كان يسكنها الإمام السهيلي.. والسهيلي هو شارح سيرة الرسول
العظيم عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم، في كتابه الشهير (الروض الأنف)،
ولم يكن هذا الشرح المستفيض الذي اضطلع به السهيلي يرحمه الله لسيرة ابن
هشام ليكون، لو لم يكن محباً للسيرة النبوية العطرة.. وكان السهيلي إلى ذلك
شاعراً مجوداً، لم يبق من شعره إلا القليل.

في هذه المدينة الأندلسية الجميلة، على شاطئ البحر الأبيض
توسط.. أخذت أهمس بأبياتي.. معبراً بطريقة عفوية جداً، عن الخواطر
التي كانت تتابني.. حتى استقام لي من أبياتها اثنان وأربعون بيتاً، هو
مجموع أبياتها.

وعجبت عندما تلقفها بعض أصدقائي.. وأحسنوا بها الظن.. ولم يضمن
علي بعضهم، بما عن من ملاحظاتهم، فأخضعت القصيدة لبعض التغييرات
نظيفة، حتى انتهت إلى ما هي عليه الآن، حسبما يراها القارئ ماثلة
مامه.. وإني لأعلم أنها رغم حرارة الإخلاص والصدق فيها فإنها بالمقارنة مع
روائع شعر المديح، لا تبلغ شيئاً يؤهلها لشرف المقارنة، ولكن بحسبها أن تحوز

شرف الانتماء إلى أولئك الذين دلفوا إلى هذا الميدان .. وهم فيه طبقات،
منهم المحلق، ومنهم من أتى في المؤخرة . ومنهم بين بين .. فليكن لي بينهم
مكان مهما كانت درجته ..

هذه قصة القصيدة ..

أما قصة نشرها .. فقد كنت في البدء .. عزوفاً عن نشرها .. كما كنت
وما زلت عزوفاً عن نشر شيء من هذا النظم الذي قد يعنّ لي بين الحين والحين ..
إلا أن تدفعني إلى ذلك أسباب لا أملك لها دفعاً .

أما وقد رأى بعض أصدقائي أن تنشر .. ولم أملك لرغبته صداً .. فقد
رأيت أن أشرح منها بعض ما قد يكون غامضاً من ألفاظها أو إشاراتها ..
لثلا تخضع لتأويل لم أقصده، ولا خطر لي ببال .. ولعلي بهذا الشرح أن
أقدم بعض الفائدة .. لمن يتطلع إلى شيء من ذلك . ولعلي أستطيع أن أجعل
من القصيدة وشرحها شيئاً يصلح أن يكون في حجم كتيب صغير .
ومن الله أستمد التوفيق والعون والسداد .

الرياض غرة جمادى الآخرة ١٤١٢هـ

عبدالعزیز الرفاعي

السلام عليك ٠٠(*)

- ١ المبدعون- وكيف لي أن أبدعا-
- ٢ ضفروا لسُدَّتْكَ النجوم وزاحموا
قطفوا الروائع ، لم أجد لي مطلقا
- ٣ ذهبوا بمدحك حيثما ذهب الهوى
فيها ، فما تركوا هنالك موضعا
- ٤ ولقد ظننتُ بأنهم بلغوا الذرى
فحسبتهم أهدوا إليك روائعا
- ٥ وإذا همُ في السفح منك جميعهم
فإذا بمجـدك لا يزال ممنوعا
- ٦ أنتَ الثريا ، بل مجرات المدى
وأنا المهيض أتى لصرحك ظالعا
- ٧ قد فقتهنَ جميعهنَ مطالعا
جاءوك في الزمن البطيء فأسرعوا
- ٨ الحب يشفع إن حبوتُ مقصرا
وبرغم عصري ما أتيتك مسرعا
- ٩ عيِّي - وإن عَظُمَتْ به البلوى - وعي
من فيض حبك - ملهما - ما قد وعي

نظمت هذه القصيدة بدءاً من يوم ١٢ ربيع الأول المبارك ١٤١٢هـ، وختمت في ٢٩ منه.

١. ولقد مَدَحْتُكَ صادقاً لا سابقاً
والعاشقون لكل قلب ما ادعى
- ١١ ولقد زعمتُ بأنني لك عاشق
والعشق يستهدي القلوب مسامعا
- ١٢ فإذا تدفَّقَ خاطري فبفضله
وإذا تحجَّرَ ، لن أكفُ تطلعا
- ١٣ والقلب شفاف إذا صدق الهوى
يجتاز بالنور المشع الأضلعا
- ١٤ يا خير خلق الله ما لي حيلة
إن لم أصغُ معنىً فريداً بارعا
- ١٥ أعطيتُ من جَدْبِي وخصبك يانع
أتى يجاري الجذبُ خصباً يانعا
- * * * *
- ١٦ ماذا يقول المادحون وإن يكن
بلغوا الذرى ، فلأنت أسمى مهيعا
- ١٧ أثنى العظيم عليك في آياته
بعظيم خُلقك ما أجلّ وأروعاً!
- ١٨ الناس إن مُدحوا استطاروا فرحةً
والمادح المصنوع ليس الصانعا
- ١٩ ومديح ربك وهو أنفس مدحة
قد زاد فيك تعبداً وتواضعا
٢. الشكر فيك منارة قدسية
تهدي من اتبع السراج الساطعا

* * * *

- ٢١ هل نالت الرسل الهداة جميعها
قمماً ، لغيرك قد أبت أن تخضعاً ؟
- ٢٢ من كل صاحب آية ، لك آية
حبّات تاجك يأتلقن لوامعا
- ٢٣ والكوكب الدرّي سرّ سنائه
من كوكبين على جبينك شعشعا
- ٢٤ نهران من نور : فنهر رسالة
كمُلت ، فلم تترك لشكّ منزعاً
- ٢٥ أشرعتها للظامئين على الدنى
فسقيتهم رياً زلاًلاً مُشبعاً
- ٢٦ والحوض في الأخرى شريعة شافع
في الهول للعطشى ، حناناً مُترعاً
- * * * *
- ٢٧ جزت الطباق السبعَ بل ما فوقها
من حيث قد وقف الأمين مروّعاً !
- ٢٨ ولقد صعدت من المعالي سبعةً
من قبلها ، واجتزت حتى السابعا
- * * * *
- ٢٩ بنّت الملائكُ في ذراها كعبهً
ظلّوا لديها الطائفين الرُكعا
- ٣٠ وبنى أبوك كمثّلها معمورةً
في ظلّها ، صلّة ورمزاً رائعاً
- ٣١ والرمز توحيد الإله بقبلةٍ
جاء الخليل ، يعدها لك رافعاً

- ٣٢ الكعبتان وشيخة أبدية
تدني من الأرض السماءً مرابعا
- ٣٣ وَحَجَّجْتَ لِلْقُدْسِ الشَّرِيفِ تَوْمَهُ
بل أنت كنتَ به الإمام الجامعا
- ٣٤ هذي القداسات الثلاث جمعتها
وامتزت حين أضفتَ قدساً رابعا
- ٣٥ المسجد النبويُّ مذكركته
حرماً ، له الإيمان يَأرُز طائعا
- ٣٦ حَرَمَانِ : في مهد ولحد جُمُعا
ولغير أرضك قط لم يتجمُعا
- ٣٧ كان الختام بدايةً مرسومة
جبريلُ أداها ، وعاد مودعا
- ٣٨ ما بعده تهدي السماءُ رسالةً
ما كان أسعده بها فيما سعى
- ٣٩ بكتاب ربك قد تتابع سعيه
فغدا مفرقه لديك مجمعا
- * * * *
- ٤٠ لك في كياني ذرة أدنو بها
إن لم أجد طبعاً رجوت تطبُّعا :
- ٤١ أبتى - إذا ابتلتُ بها شفتي ارتوت
وشعرت أني لن أكون مُضيِّعا -
- ٤٢ رد السلام .. فإن وهبتَ زيادةً
فلأنت أهل أن تزيد وتُشفعا
- * * * *

الشرح

١ - الذين مدحوا الرسول الكريم ﷺ كَثُرَ، أكثر من أن يتم لهم إحصاء، والذين أبدعوا منهم في مدائحهم ليسوا قليلاً.. وقد ألفت كتب ومجاميع في المدائح النبوية في القديم والحديث، وألفت كتب أخرى في تقويم المدائح النبوية ونقدها، وكلها مما لا يخفى أمره على القارئ المتابع، من ذلك ما وضعه الشريف الرضي في القديم، وزكي مبارك في الحديث، ولعل (المجموعة النبهانية) من أشمل ما ضم كتاب عن المدائح.. ومن قصائد المديح النبوي ما سارت به الركبان، وذاع أمره وشاع في بقاع الأرض، وأول ما يذكره الذاكرون من ذلك، قصيدة كعب بن زهير- رضي الله عنه - المشهورة :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

متيم إثرها لم يُفد، مكبول..

وقد حظيت هذه القصيدة بعدد كبير من المتابعات المقابلة لها وزناً وقافية.. وبشرح كثيرة ، وهذه القصيدة هي التي خلع الرسول ﷺ على شاعرها برده الشريفة .. فكانت هي البردة الأولى .

ومن المبدعين المشهورين البوصيري في قصيدته :

أمن تذكر جيران بذي سلم

مزجت دمعاً جرى من مقلّة بدم..؟

وقد نالت هي الأخرى شهرة مستفيضة في الآفاق، وكانت هي البردة الثانية، وقوبلت بمتابعات من أشهرها قصيدة أحمد شوقي التي مطلعها:

رسمٌ على القاع بين البانِ والعلمِ
أحلّ سفك دمي في الأشهر الحرمِ

وقد اشتهر البوصيري بمذائح نبوية متعددة، وكذلك شوقي.

ومن الشعراء من خص الرسول ﷺ بدواوين مفردة في مديحه، وتفنن بعضهم في نظمه، والتزموا التزامات شتى.. مما ساق بعضهم إلى التكلف.

ومن اشتهر بشعر المديح.. البوصيري (محمد بن سعيد، ت ٦٩٦هـ) والبرعي (عبدالرحيم بن أحمد، ت ٨٠٣هـ)، والصرصري (يحيى بن يوسف ت ٦٥٦هـ)، وابن نباته المصري (محمد بن محمد، ت ٧٦٨هـ) وآخرون كثير، بين قدامى ومحدثين (تنظر المجموعة النبهانية ١٥/١ طبع دار الفكر).

وقد ذهب أولئك المبدعون بمطالع جذابة أخاذة، حتى لتخيلت أنني لن أجد بعدهم مطلعاً استهله به مدحتي. وحتى لترددت في الخوض معهم فأتى لي أن أبداع إبداعهم!

٢ - ضفروا من: ضفّر يصفّر؛ بكسر الفاء في المضارع، أي: جعلوا من النجوم صغيرة، يلتف بعضها على بعض كما تضفر قلائد الورود، يأخذ بعضها بأعناق بعض.

والسُدة: بضم السين، الباب، أو العتبة.

والمعنى أن الشعراء المبدعين في مدائحهم للرسول الكريم ﷺ، كانوا يصفرون معانيهم نجوماً يقدمونها لسدته العالية، قد ازدحموا بباب مديحه حتى ما تركوا مكاناً لصاحب هذه المدحة.

٣ - وقد تابع هؤلاء المبدعون، خطوات حبهم الشديد لك أيها الرسول الكريم ﷺ، لكي يعبروا ما وسعهم التعبير عن عشقهم، حتى لحسبتهم من أثر الانبهار بهذا الحب، ومعانيهم الشائعة فيه، أنهم أهدوا اليك فعلاً روائع

منقطعة النظير من مدائحهم.. ولكن ..؟

٤ - ولكن .. مع إعجابي الشديد بما وُفقوا إليه من روائع المعنى والمبنى والسبك، وحرارة الصدق، حتى لظننت أنهم بلغوا الشأو البعيد، والذرى - جمع ذروة - أعني قمم الإبداع.. لكن مع كل ذلك، ظل مجدك العظيم فوق مدائحهم، فما استطاعوا على إبداعاتهم، أن يصفوا ما بلغت من مكانة عليا، رفعك الله جل شأنه إلى ذراها.

٥ - لذلك ظلوا هم كلهم في السفح من طودك أو من صرحك الشامخ.. ليس منهم من اقترب من عليائك .. ولكني لا أزعم أنني المرشح لمثل هذه المكانة، بل على النقيض تماماً.. فأتى لي أن أصل إلى درجة أقلهم شأنًا، فقد أتيت إلى صرحك، وقصدت مدحك، وأنا مهيبض كالطائر الذي كسر جناحه، فلا يقوى على الطيران بله التحليق، والظلع: ضعف في السير أو عرج.

٦ - الثريا: مجموعة من الكواكب، تبدو متألقة، جميلة التنسيق. يقول الفلكيون: إنها على بعد أربعمئة سنة ضوئية، تبلغ عدة مئات ولكن لا يرى منها بالعين المجردة إلا سبع، (المورد).

أما المجرات، أو المجرة؛ فعبارة عن حزام عريض من مليارات النجوم، يرى ليلاً من الأرض على شكل دائرة نورانية، خاصة في شهور الصيف في نصف الكرة الشمالي (المورد).

والمقصود بالمدى هو الأبعاد السماوية.

والمراد : أنك بما شرفك الله من رسالة هادية، قد فقت الكواكب تألقاً. وقد عبر القرآن الكريم عن مثل ذلك في قوله تعالى عن السماء: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً﴾ ٦١ الفرقان، ولفظ السراج ورد أيضاً بهذا المعنى فى ١٦ نوح، و١٣ النبأ. وقال تعالى فى حق رسوله: ﴿وَدَاعِباً إِلَى اللَّهِ بِآذِنِهِ وَسِرَاجاً

مُنيراً» ٤٦ الأحزاب، فجمع له بين السراج الذى يضيء في ذاته، وبين الإنارة للغير وهداية النجوم حسيّة، وهداية الرسول ﷺ هداية معنوية، وهي ولا شك أعظم . وهذا معنى قد فقتهن جميعهن مطالعاً.

٧- في هذا البيت محاولة اعتذار عن التقصير في عدم المبادرة في زمن الشباب، للنظم في امتداحه ﷺ فقد جاء وفد الشعراء القدامى، الذين ازدحموا عند سدته، متسارعين إلى مديحه، بالرغم من أن زمنهم كان زمناً بطيئاً، أي لم يعرف وسائل النقل السريعة، فقد كانت وسائل نقلهم الدواب، بينما هذا العصر -عصر النازم- هو عصر السيارة والطيارة والصواريخ، وكان واجبه أن يتأثر بهذه الروح، فيبادر بالتعبير عن حبه العظيم للرسول الكريم، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

٨- أما وقد خالف منطق عصره العجل، وحباً بطيئاً معترفاً بتقصيره، فإنه يأمل أن يشفع له حبه للرسول الكريم ﷺ وأن يكون هذا الحب شافعاً له في الدارين، أما في الدنيا، بالاعتداء بسنته ﷺ، والسير على نهجه، واقتفاء أثره وشريعته الغراء، وأن يؤهله ذلك لاستحقاق شفاعته ﷺ، في يوم المعاد. قال عليه الصلاة والسلام: (.. فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) صحيح البخاري: باب: حب الرسول ﷺ من الإيمان . وفيه في باب حلاوة الإيمان: (ثلاثة من كُن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما..) إلخ، والإيمان في الدنيا يؤهل لشفاعته ﷺ يوم القيامة.. اللهم اجعله لنا شافعاً مشفعاً. وجاء في الحديث الذي رواه البيهقي وصححه الحاكم عن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- قال: قلت: يا رسول الله، ماذا ورد عليك في الشفاعة؟ فقال: (شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله، مخلصاً يصدق لسانه قلبه) وهذا موطن الرجاء في الدارين .

حبوت: في (السان العرب): «حبا حبوا: مشى على يديه وبطنه، وحباً الصبي حبوا.. قال الجوهري: هو إذا زحف..» إلخ.

٩ - أما سبب ذلك البطء والتقصير، فهو عيبي: عجزني عن التعبير تعبيراً يليق بمكانة الرسول الكريم ﷺ خاصة بعد أن قال المبدعون فأكثروا وأبدعوا وسابقوا، وقد عظمت بلواي بهذا العيبي.. وكفى به بلوى أن يعجزني عن أداء هذا الواجب أو ما أعده واجبا، ولكن، وهذا سياق الاعتذار، فإن هذا العيبي وعى من فيض حبك الشيء الكثير، فكانت معاني الإلهام الشعري تجول في النفس ولا تنطلق.

١٠ - أما وقد اعتذرت بالحب مع العيبي، فقد أملى عليّ هذا الحب، أن أحاول مدحك صادقا، إن لم يتيسر لي أن أكون سابقاً في العصر، أو سابقاً في المبادرة، والسبق الأول ليس في يدي أمره، والسبق الثاني هو ما أعتذر عنه، مؤكداً حبي، ولكل محب أن يدعي ما يدعيه، والله وحده هو الذي يعلم السرائر وما تخفي الصدور.

١١ - ومع أن الحب، مما تنطوي عليه القلوب، فيخفي أمره، إلا لمن أعرب عنه، أو ظهرت عليه أماراته.. فقد حاولت بهذا النظم أن أعبر عن هذا الحب، أما مدى الصدق فيه، فلعله بحرارة صدقه يستهدي القلوب الإصغاء، أو يجتذب المسامع إلى أن تتلمس همس الأفتدة . وإنما جعل اللسان على القلوب دليلاً .. سائلاً الله تبارك اسمه أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه.. وأن يكتب لنا القبول والرضوان.

والزعم: مثلثة الزاي أي بالضم والفتح والكسر. والمقصود هنا: ادعيت. واقترن تفسيرها بكلمة صادقاً في البيت السابق.. أي: ادعيت حقاً.

١٢ - ولا يزال السياق متصلاً بالاعتذار.. وهذا البيت يقول: إذا تدفق خاطري، فأحسنْتُ التعبير عما يجول في النفس، فذلك من أثر الحب الصادق،

أما إذا تحجر الخاطر وتجمد، أو لم يستطع أن يعبر تعبيراً جيداً عما تكنه أحاسيس الوجدان، فهذا لن يحول دون التطلع إلى محاولة أخرى.. وأحر بمن يطرق الباب أن يلج.

تدفق: انصبَّ بشدة . تحجّر : انحبس . يكفّ: يمتنع. والتطلع هنا بمعنى الانتظار والمراقبة وتجديد المحاولة.

١٣- أما معيار صدق الحب، وصدق الاعتذار، فإن القلب الذي يصدق في الحب يشف عما وراءه، فلا تخفى آثار حبه؛ بل هو يرسل أشعته، فتخترق الأضلع لتدل على مكنونه. وقد دار حول هذا المعنى كثير من التعبيرات النثرية والشعرية.. التي تدل على أن القلوب تملك قدرةً فائقة في التعبير عن ذخائرها. وفي الكلام الدارج نقول: القلوب عند بعضها. ومن القلب للقلب دليل. وشف الشيء يشف: بكسر الشين؛ بمعنى كان من الرقة بحيث يظهر ما بداخله. كما هو في الزجاج.

١٤- وخلاصة الاعتذار، عن العي، وعن اللحاق بالمبدعين، هو الإخبار بأن لا حيلة لي في التحليق الشعري لصياغة المعاني البارة الفريدة، فهذا اعتراف بالعجز، ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه.

وبرع: يبرّع. بفتح الراء في المضارع، وضمها وكسرهما. أي مثلثة. والمعنى تفوق، والبارع أيضاً الجميل.

١٥- أما وأناي لم أستطع أن أصل إلى حد البراعة والإبداع والتفوق، فليكن إذن الرضا بالواقع، هو هذا المديح المتواضع، بما استطعته من جهد، فإنما أعطيت من جذبي وفقري، بينما مكانك رفيع؛ بل أنت خصب كالربيع، وخصبك يانع مثمر، فكيف يستطيع الجذب أن يلحق بمكان الخصب.. وأن يدرك تصويره.. ذلك ما لا يكون.

والأرض المجدة التي لا زرع فيها، ولا تنبت، أما الخصب فهو العكس.

١٦- في بداية هذه الفقرة عودة لتأكيد أن المبدعين من الشعراء مهما أبدعوا وأكثروا، ومهما بلغوا المدى والذرى، فإنك فوق أماديجهم، وفوق المعاني والألفاظ والتعابير التي يأتون بها.. أما لماذا؟ فهذا ما سيأتي تعليقه في الأبيات التالية.. وما هذا البيت إلا مدخل للمعاني التي تدور عليها هذه الفقرة.

و(المهيح): هو الطريق البين الواسع، والمقصود أسمى مكانة، وأرفع موضعاً. وفي (لسان العرب):

إن الصنعة لا تكون صنعة

حتى يصاب بها طريق مهيع

تراجع مادة هيع ، وفي مادة ترع أورد قول العجاج الراجز:

وافترش الأرض بسيل أترعا

يملاً أجواف البلاد المهيعا

١٧ - أما لماذا لم يستطع مادحوك أن يبلغوا شأوك؟ فهذا أوان الإجابة على هذا التساؤل. ذلك أنك حظيت بمدح الله العظيم تبارك تعالى في قرآنه الكريم، حينما أثنى عليك بعظيم خُلقك، في قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ٤ القلم. وفي هذه الآية ثناء جليل عليه ﷺ في عبارة موجزة، جمعت له خصال الخير كلها. فكفى أن يكون عظيماً في خلقه كله. وقد تفرد عليه الصلاة والسلام بهذا الوصف القرآني، الذي لم يوصف به أي رسول آخر، عن كثرة ما أثنى عز وجل على رسله في قرآنه الكريم، كما انفرد بقسمه تعالى بحياته ﷺ ، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَعَمْرِكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ٧٢ الحجر. قال القاضي أبو بكر ابن العربي: قال المفسرون

بأجمعهم: أقسم الله تعالى ها هنا بحياة محمد ﷺ تشريفاً له، أن قومه من قريش في سكرتهم يعمهون وفي حيرتهم يترددون. وهكذا قال القاضي عياض: أجمع أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد ﷺ، وهذا نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف. قال أبو الجوزاء: ما أقسم الله بحياة أحد غير محمد ﷺ، لأنه أكرم البرية عنده. تفسير القرطبي: ٣٩/١٠. وتنظر مقدمة (روضة المحبين) لابن القيم. والآيات في الثناء عليه كثيرة، ومفصلة في كتب السيرة والشمائيل.

ما أجل.. ما أعظم، وأروع هنا بمعنى الإعجاب والإكبار، تقول: رائع، وراعني الشيء بمعنى أعجبني، والرائع من الجمال: الذي يعجبك حسنه، يعجب رُوع من رآه فيسره. ينظر لسان العرب. وفيه: «في حديث صفة الجنة، فيروعه ما عليه من اللباس، أي يعجبه حسنه، ومنه حديث عطاء: يكره للمحرم كل زينة رائعة أي حسنة» اهـ.

١٨ - وإن هناك لفرقاً عظيماً بين الثناء من الله جل جلاله، وبين المديح يحاول أن يصوغه الناس شعراً أو نثراً.. ذلك أن الله تبارك وتعالى هو الحق، وهو يقول الحق ويهدي السبيل. ولكن من دأب الناس الفرح بالمديح يأتي على السنة المادحين؛ بل هم إذا مدحوا من الشعراء المجودين استطاروا من الفرح، وبلغت بهم النشوة بالإطراء مبلغها، فكيف إذا جاء المديح من الحق، فصدر عن خالق الخلق وصانعه، ولم يصدر عن البشر المخلوقين، الذين من صفتهم العجز مهما بلغت بلاغتهم؟ إن مدح الله هو:

١٩ - هو أعظم المديح وأجله وأصدق وأصفاه، وأشفاه، هو أنفس المديح.. الذي لا يرقى إليه شيء.. ولا تدانيه معانٍ ولا ألفاظ.

ولكن هذا المديح الصادر من رب العزة والجلال، الذي أضفاه على رسوله الكريم ﷺ، لم يدعُهُ إلى التواكل في العبادة، أو الكسل عن العمل في

مرضاته، ولم يدخل إلى نفسه شيئاً من الكبر أو الغرور؛ بل دعاه إلى الاجتهاد في العبادة والتهجد والتوجه إلى الله عز وجل بالحمد وزاد من تواضعه ليكون عبداً شكوراً. كما جاء في الحديث الشريف: «أن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً؟».

وفي رواية أخرى عن المغيرة بن شعبه أنه قال: (... أفلا أكون عبداً شكوراً؟) . صحيح البخاري ، كتاب: التفسير، سورة الفتح.

٢٠- وبذلك الشكر منه ﷺ وبذلك التواضع، أعطى القدوة الحسنة للمسلمين: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» ٢١ الأحزاب، وهذا الخلق في تواضعه وشكره، كان المنارة القدسية التي أرادها الله عز شأنه، لتهدي العباد إلى طريق الرشd والهداية والصراط المستقيم، منارة تشع بالسراج الوهاج الذي ينير السبيل إلى يوم الدين، بما أعطى من قواعد التشريع في كتاب الله المنزل، وفي حكمته وتشريعه وإرشاده.

قال تعالى: «وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً» ٤٦ الأحزاب. وقال: «ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون» ٣٢ التوبة. اللهم اجعلنا من أتباع ذلك السراج المنير، هداة مهتدين يارب العالمين.

٢١- في هذا البيت والأبيات التالية له، ما عدا الأبيات الثلاثة الختامية، محاولة لبيان بعض نقاط الامتياز التي وهبها الله -جل وعلا- لرسوله الكريم محمد عليه الصلاة والسلام، فقد أعطاه من المميزات قمماً عالية، لم تخضع لغيره من الرسل الهداة، أي لم يصل إليها أحد منهم، فقد أعطاه الله القرآن العظيم الذي أحكمه، فلم ينله تغيير ولا تبديل، ولن يناله شيء من ذلك إلى يوم الدين، وجعله خاتم رسله، ووعد به أن يجعل دين الإسلام ظاهراً على

الدين كله، واختصه بالإسراء والمعراج، وفي الأبيات التالية إعطاء نماذج من هذه المميزات لا محاولة حصر.

٢٢- من ذلك أنه وهبه من معجزات الرسل لآلئ يهتمن، ينتظمن تاج مجده، وميزه بميزات عظيمة هي أبلغ وأسمى.. وقد أشار إلى ذلك القاضي عياض في (الشفاء ١/٧٥٦ طبعة دار الكتب العلمية في بيروت) حيث قال: «ومعجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين: أحدهما كثرتها، وأنه لم يؤت نبي معجزة إلا وعند نبينا مثلها أو ما هو أبلغ منها..» إلخ، وقد فصل ذلك في كتابه، كما فعل الكثير غيره ممن عني بالحديث عن مناقبه ومعجزاته ﷺ .

٢٣ - أما وأن هذه المعجزات لآلئ لامعة في تاج مجده النبوي، فإن لكل تاج لؤلؤته العظمى، أما الألماسة الكبرى، أو الكوكب الدرّي الوهاج .. فإن لتاجه المعنوي كوكباً درياً ساطعاً، سر سنائه وضيائه وتوهجه تابع من كوكبين شعشعا، أو سطعا من جبينه الشريف ﷺ .. وهما:

٢٤ - نهران من النور الدافق، أولهما نور أو نهر رسالته ﷺ، وهي رسالة تتفرد بأنها الرسالة الكاملة التي لا تحتاج إلى إتمام، ولذلك كانت خاتمة الرسالات السماوية، فليس لشاك بعدها أن يشك في عناية الله تعالى بخلقه، وإرشادهم إلى الصراط المستقيم، فأصبحت الحجة قائمة على العباد، ومعنى (منزع) أي محل للنزاع والمجادلة..

٢٥ - والرسالة أشرعها رسول الله ﷺ للظالمين، المتعطين إلى الهداية والدين الحق، ويسر شريعته للعباد بلا واسطة، فالدين الإسلامي دين التوحيد الخالص، هو الصراط المستقيم الذي ليس به مآتردي فيه المغضوب عليهم، أو تخبط فيه الضالون. قال تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ ١٨ الجاثية؛ بل جاءت هذه الشريعة الصافية

من الأكدار ربّاً، يروي عطش قلوبهم وعقولهم، وهو ري زلال.. لا يروي الظمأ فقط وإنما هو شبع أيضاً، فيه الكفاية للروح والعقل..

وأشعرتها: بمعنى أفتحها: وفي القاموس: شرع لهم، كمنع، سنّ، والمنزل: صار على طريق نافذ.

والدُّئى: جمع دنيا؛ أي أن هذه الشريعة للحياة الدنيا، لأن الحديث سيأتي عن شريعة الآخرة، أو النهر الآخر، أو الكوكب الثاني. والري: بكسر الراء من روي يروي: بمعنى سد حاجته من الشرب. الزلال: بضم الزاي: البارد العذب الصافي. واستعمال الشبع هنا للماء وارد في الحديث: قال ﷺ : (ماء زمزم لما شرب له، إن شربته تستشفى به شفاك الله، وإن شربته لشبعك أشبعك الله به، وإن شربته ليقطع ظمأك قطعه الله). سنن الدار قطني ٢/٢٨٩ آخر كتاب الحج، وفي الحديث أيضاً: «إن زمزم كان يقال لها في الجاهلية شباعة لأن ماءها يروي العطشان، ويشبع الغرثان»، ينظر (لسان العرب) مادة شبع، وفيه: الشبع من الطعام وغيره.

٢٦ - وفي هذا البيت، ذكر للنهر الآخر، أو الكوكب الثاني، وهو الحوض المورود الذي خُص به نبينا ﷺ في الأخرى، فهو شريعة ثانية، تقابل الشريعة الأولى، والأولى شريعة معنوية، تروي الظماء للحقيقة، أما شريعته الأخرى، وهي حوضه، فهو مخصص ليوم الهول العظيم، يوم لا شفيع إلا سيد الرسل عليه الصلاة والسلام، حيث يقوم فيسقي أمته ذلك الحنان المترع.. (المترع المملوء).

٢٧ - أما وقد تمت المقابلة بين حوضي الدنيا، والآخرة، فإن البيتين التاليين يتحدثان عن مقابلة أخرى، في سياق الحديث عما ميزه الله جل وعلا به، من صفات ومعجزات، بينها ما هو حسي، وبينها ما هو معنوي، أما الحسي، الذي يتحدث عنه البيت الأول، فهو الإسراء والمعراج، حيث أتاح

الله له سبحانه وتعالى، أن يجتاز السموات السبع؛ بل أن يصل إلى ما فوقها، حيث سدرة المنتهى كما هو في سورة النجم، وكما هو في حديث الإسراء والمعراج مما هو معروف مستفيض، وفي صحيح البخاري: «ثم صعد بي إلى السماء السابعة.. ثم رفعت إلى سدرة المنتهى.. ثم رفع لي البيت المعمور.» والتعبير بثُمَّ يقتضي الترتيب، أي شيئاً بعد شيء.. وعندما وصل ﷺ إلى نقطة معينة من معراجه لم يتقدم جبريل الأمين، مرافقه في هذه الرحلة المعجزة؛ بل وقف مروعاً وهو يقول: كما جاء في بعض الآثار: لو دنوت أنملة لاحتقرت. إشارة إلى قوله تعالى: «وإمامنا إلا له مقام معلوم» ١٦٤ الصافات، يراجع (الشفاء) للقاضي عياض ١/٤٣٣. والمروع هنا: بمعنى المفزع الخائف.

٢٨ - ولما كان الصعود إلى السماوات العلا في البيت السابق، إشارة إلى الارتفاع الحسي الذي اختصه الله تعالى به دون الأنبياء جميعاً، فالمقابلة هنا تقتضي الإشارة إلى ارتفاعه المعنوي، بما وهبه الله سبحانه له من قبل، من الأخلاق والصفات العظيمة التي تفرد بها، وتخيل الناظم أن أخلاقه وشمائله ﷺ كانت سبعة، وهو العدد الذي يعبر به عن الكمال، واقتضت المقابلة أيضاً أن يكون ﷺ قد اجتازها حتى المحل السابع من التكريم، فذلك قوله تعالى: «وإنك لعلی خلق عظیم» ٦٨ القلم و«لقد آتيناك سبعة من المثاني والقرآن العظيم» ١٥ الحجر، ولا يخفى أن الكمال هنا هو الكمال البشري.. وهو أقصى ما يستطيع أن يصله إنسان، ويكفيه ﷺ أن يقترن اسمه في الشهادتين باسم الله العلي العظيم.

٢٩ - جاء في أحاديث الإسراء والمعراج إشارة إلى البيت المعمور، على اختلاف في مكانه من السموات، كما هو الاختلاف في مكان سدرة المنتهى، وإن كان قد ذكر أن في كل سماء بيتاً معموراً، مسامتا للكعبة المشرفة. وقد سبق أن أشرت إلى مسألة الترتيب في ذكر سدرة المنتهى.. فضلاً عما يشير إليه اسمها

من الانتهاء بالنسبة للملائكة، وفي هذا البيت ذكر لبناء الملائكة لكعبتهم أو البيت المعمور، وقد سميت في البيت كعبة للربط بينه وبين الكعبة المشرفة، أو البيت المعمور في الأرض، وسيرى القارىء أن هذه الفقرة من البيت التاسع والعشرين إلى التاسع والثلاثين، كلها تدور حول ربط البقاع المقدسة في الحجاز بوشائج سماوية، تؤكد دين التوحيد، وأنه الدين المختار للبقاء على الأرض.. مما سيأتي مفصلاً في الأبيات التالية، ويشير البيت إلى عمار البيت المعمور عماراً متصلاً بالملائكة الطائفين الركع، الذاكرين الله تعالى ليل نهار.

الذرى: جمع ذروة، والذرى القمم، والمراد هنا السموات. وظلوا: بمعنى الاستمرارية أي داوموا إلى ما شاء الله تعالى. في (لسان العرب): (وذروة كل شيء وذروته أعلاه، والجمع الذرى بالضم...).

٣٠ - وفي سياق الحديث عن روابط الأرض بالسماء، والبيت الحرام بمكة المكرمة بالبيت المعمور في السموات، وروابط إبراهيم الخليل أبي الأنبياء عليه السلام بحفيده المصطفى الحبيب، خاتم الأنبياء ﷺ، وارتباط الدين الإسلامي الحنيف، بحنيفية إبراهيم، لبيان كل ذلك تحدث هذا البيت عن قيام إبراهيم عليه السلام برفع القواعد من البيت العتيق إحياءً لمعمورة الأرض؛ وهي الكعبة المشرفة، وقد جاءت في ظل معمورة السماء، تعبيراً عن تلك الصلة السماوية، ورمزاً رائعاً للتوحيد وبقاء تلك الروابط وثيقة حية، إلى يوم الدين.

٣١ - وشرح هذا البيت المراد بالرمز، وهو توحيد الله عز وجل، باتجاه أمة التوحيد إلى قبلة واحدة تجمعهم يتجهون إليها يومياً أينما كانوا من بقاع الأرض، ويقصدونها في حجهم، جاء الخليل عليه السلام من بيت المقدس إلى صحراء الحجاز ليرفع الكعبة، إعداداً وتمهيداً لظهور الدين الإسلامي على يد حفيده ﷺ، وذلك قوله تعالى في سورة البقرة، الآيات ١٢٧ و١٢٨ و١٢٩: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ

العليم* ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمةً مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم* ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم». وقد تحققت دعوة إبراهيم، فجاءت من ذرية إسماعيل الأمة المسلمة، وبعث الله محمداً ﷺ بالرسالة الخاتمة، واتخذ البيت الحرام قبلة مرتضاه. ففي صحيح البخاري، باب: الصلاة من الإيمان، (أنه ﷺ صلى قِبَلَ بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَلَ البيت).

٣٢ - وهذا البيت تأكيد لتلك الوشيحة (الرابطة) التي أدنت مرابع الأرض (أقاليمها) من السماء بالتوجه إلى الله بالعبادة، حيث قامت الكعبة، والبيت المعمور، ليظلا معمرين بالذكر والصلاة والدعاء، وليظل رباط التوحيد قائماً بين الأرض والسماء.

٣٣ - أما وقد اتضحت الصورة في ربط كعبة الأرض، بكعبة السماء، وتواصل العبادة المستمرة في الكعبتين.. فقد التفت هذا البيت إلى وشيحة أخرى تتعلق بالرسول الكريم ﷺ، وهي ارتباطه أيضاً بقداصة ثالثة هي بيت المقدس، ليجتمع له شرف هذه الروابط الثلاثة، فكان أن حج (قصد) المسجد الأقصى في حادثة الإسراء؛ بل من الله سبحانه وتعالى عليه بأن جعله الإمام الجامع لأنبيائه حيث صلى بهم كما هو في أحاديث الإسراء والمعراج. وكما جعله الله عز وجل إماماً جامعاً للأنبياء، وهو ﷺ خاتمهم، فقد جمع بين قداسة البيت الحرام، وقداسة المسجد الأقصى، وقداسة البيت المعمور الذي يأتي ترتيبه في الصعود قبل سدره المنتهى التي ينتهي إليها علم كل نبي مرسل، وكل ملك مقرب، ولم يجاوزها أحد إلا نبينا عليه الصلاة والسلام. (السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة) ٤٠٧/١ وما بعدها.

حج = قصد . تؤمه = تقصده .

٣٤ - بعد الإشارة إلى البيوت المقدسة الثلاثة.. وهي الكعبة المشرفة، التي نشأ الرسول الكريم ﷺ في جوارها، وبيت المقدس الذي قصده في إسرائه، والبيت المعمور الذي شاهده في معراجهِ إلى السموات، التي جمع الله تعالى لرسولنا بركاتها، جاء هذا البيت للحديث عن نعمة إضافية، فقد أنعم الله عليه بأن حرم هو عليه الصلاة والسلام حرمه، مدينته المنورة فجاء هذا الحرم الجديد قدساً رابعاً ميزه الله تعالى به، وذلك في حديثه الشريف في صحيح البخاري، باب: فضائل المدينة: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، والمسجد الأقصى) وفيه قوله ﷺ: « المدينة حرمٌ من كذا إلى كذا لا يقطع شجرها، ولا يحدث فيها حدث، من أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين »، وفيه قوله ﷺ: (حُرْم ما بين لا بتي المدينة على لسانی). وفي صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم: (إني حرمت ما بين لا بتي المدينة كما حرم إبراهيم مكة) واللابة: الحرة. والمدينة ما بين حرتين عظيمتين. لسان العرب (مادة لوب).

٣٥ - وفي هذا البيت مزيد إيضاح عن الحرم الرابع، الذي أضافه النبي ﷺ، وهو المسجد النبوي الشريف الذي باركه وما حوله، وقد عقد البخاري في صحيحه بابين في هذا الموضوع باباً عن حرم المدينة، وآخر عن فضلها. وقد أوردت شيئاً مما ورد في الأول، أما عن فضلها، فقد أورد حديث: (أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون: يشرب، وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكيرُ حَبَّ الحديد)، وحديث: (أقبلنا مع النبي ﷺ من تبوك حتى أشرفنا على المدينة، فقال: هذه طابة).

وفي الشطر الثاني من هذا البيت إشارة إلى حديثه ﷺ في باب عقده البخاري أيضاً في صحيحه عنوانه (الإيمان يأرز إلى المدينة) أورد فيه عن أبي هريرة قوله ﷺ (إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها).

ويأرز بكسر الراء، في رواية الحديث، بمعنى: يتجمع ويثبت ويلوذ، فالحية تأرز إلى جحرها: أي تلوذ به وتلجأ إليه، وتحتمي به.

٣٦ - وحينما جعل الرسول ﷺ مدينته حرماً كحرم مكة المكرمة، صار في موطنه حرمان شريفان، حرم حرّمه جده إبراهيم الخليل عليه السلام، كان به مولده، وحرم حرّمه هو ﷺ وكان به مثواه. وليس هناك حرمان في وطن واحد إلا هذان الحرمان، اللذان قاما في الحجاز. أما الحرم الثالث وهو بيت المقدس فهو في أرض الشام كما هو معلوم.

٣٧ - وليس بعد هذه المقدسات الثلاثة، حرم يصح أن يقوم في المستقبل، لأن رسولنا ﷺ هو ختام الرسالة السماوية، وكان هذا الختام كما يشير البيت، مرسوماً منذ البداية، ليكون شرفه للرسول العربي عليه أفضل الصلاة والسلام، فالرسالات السابقة راعت فيها القدرة الإلهية سنة تدرج البشرية، لتأتي مكمله بعضها البعض، وليستقر كمال الشريعة على يدي الرسول الخاتم ﷺ، ولذلك فإن الروح القدس (جبريل) ودع بعد انقطاع الرسالة المحمدية عهده بالرسالات.

٣٨ - الصلة بين السماء والأرض هو الوحي، الذي كان ينزل على لسان الروح الأمين جبريل عليه السلام، إلى الأنبياء والمرسلين، وهو ذو قوة عند ذي العرش مكين، كما جاء في سورة التكوين آية (٢٠).

ولما كان سيدنا محمد هو خاتم المرسلين، فقد انتهت برسالاته ورسالة السماء على لسان الروح الأمين، فليس بعد محمد ﷺ رسالة ولا رسول. ولا شك أن سعي جبريل بين الأرض والسماء لهداية البشرية، وأن يكون هو المكلف وحده بها، منذ عرفت البشرية رسالات السماء حتى انتقل محمد ﷺ إلى الرفيق الأعلى لا شك أن هذه المهمة الجليلة مصدر سعادة لهذا الملك الأثير الذي خصه الله تعالى بهذا الشرف العظيم.

في هذ البيت إشارة إلى جبريل عليه السلام، الذي أدى رسالة السماء، وحمل الكتاب إلى سيدنا محمد ﷺ بقوة وأمانة، حيث كان يؤديه متفرقاً حسب الحاجة.. متتابعاً يتبع بعضه بعضاً حتى اكتمل.

وقد نص القرآن الكريم على القوة في قوله تعالى في سورة التكوير الآية: ٢٠: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾، وفي قوله عز وجل في الآيتين ٤، ٥ من سورة النجم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾.

كما نص على الأمانة في قوله تعالى في الآية ١٩٣ من سورة الشعراء: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾.

ويتتابع نزول القرآن الكريم منجماً حسب مناسباته، تجمع ما تفرق منه بين يدي رسول الله ﷺ، كما جمع الله تبارك وتعالى له في رسالته الخاتمة المتممة كل ما تفرق من الهدى السماوي على أيدي الرسل قبله، وفي الكتب الصحيحة المنزلة، ففرق الله بين الحق والباطل، فكان الفرقان فرقاناً بكل المعاني الخيرة. قال جل ثناؤه في الآية ١١١ من سورة يوسف: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

٤ - لما كان موضوع هذه القصيدة هو محاولة امتداحه ﷺ وتحيته، فإن هذه الأبيات الثلاثة الختامية، تدور حول استدرار رد التحية، وهذا البيت تمهيد لذلك، بالحديث عن رابطة النسب، فإني من أسرة حسينية من ناحية الأب والأم، وذلك فضل من الله عظيم، أسأله تعالى أن يقرنه بالعمل ناصح، والختام الجميل، وهذا هو الذخر الحقيقي.

يقول البيت إن لك يا رسول الله في دمائي ذرة مهما تكن يسيرة،

تنتمي إلى شجرتك الوارفة، فتدنيني منها، آملاً إن لم أجد لها في طبعي وتصرفاتي صدى، فلا أقل من أن تحثني على طلب التطبع، والاقتداء بسنتك الشريفة، والتزام شريعتك الغراء، ودراسة سيرتك العطرة.

٤١ - وفي هذا البيت تأكيد للصلة، وتوجهه إليه ﷺ لرد التحية.. فإن من أدب زيارته، النداء: (السلام عليك يا رسول الله) كما هو معروف مشهور.. فمن هذا قلوي : أبتي ؛ أي يا أبي.. والجد أب، ففي القرآن الكريم في الآية ٧٨ من سورة الحج ﴿ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل﴾، وفي سورة يوسف الآية ٦: ﴿كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحق﴾ وقد جاءت إشارة سابقة مثيلة في البيت ٣٠: (وبنى أبوك كمثلها معمورة).

وإذا ابتلت شفتي بهذا النداء الرطب (أبتي) فإنها ترتوي، وتشعربي بالصلة والوشيجة، وإنني في محاولتي بتقديم هذه المدحة المتواضعة، لن أكون مضيقاً، وبدون جائزة، وإن جائزتي هي رد التحية، كما في البيت التالي وهو الختام.

٤٢ - وفي هذا البيت الختامي، طلب رد التحية ، بمثلها على الأقل، كما في القرآن الكريم في سورة النساء الآية ٨٦، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها﴾، فإن وهبت، وتفضلت بالزيادة التي هي أحسن، فأنت يا رسول الله بما وهبك الله عز وجل من خلقٍ عظيم، هو الخلق القدوة، أهلاً أن تزيد بما تحب من زيادة، وأن تشفع رد التحية، بخير منها، والشفع في اللغة، خلاف الوتر: شَفَعَ: يَشْفَعُ الشيء. أي يصيره شفعا أي زوجا.

٢ - ديوان ظلال ولا أغصان

مقدمة

حينما أزمعت أن أكتب هذا التعريف بهذه الإضمامة الشعرية.. سألت نفسي هل هذا (الشيء) الذي كتبتة عبر عمري.. منذ صباي الباكر حتى الآن، هل هذا (الشيء) يصح أن أسميه شعراً حقاً ؟ ..

لن أتواضع فأقول إنه ليس شعراً..

ولن أدعي - أيضاً- أنه شعر ..

ولكنه عمري..! يكفي أن أقول هذا بإيجاز حاسم.. إنه تلك اللحظات التهويمية التي حاولت فيها أن أخلو مع مشاعري.. وأن أنطلق من ريقة أيامي نغليظة إلى شيء من شفافية غامضة.. لا أزعم أنها من شفافية الروح.. ولا أزعم أنها من عالم مبهم. أو أنها على صلة ما بالجن والشياطين كما زعم غرب القدامى، ولكنها إذا ضمنت أشدائها، بعضها إلى بعض، كانت تلك خياة التي حاولت أن أحيها هينمات أقرب ما تكون إلى العمر الحقيقي.. منها نى أي شيء آخر، ذلك أنني وجدت نفسي في بعض هذه (القطعات) كأنما نتحدث عن عالم غريب عني ما تعودته، فيما تعودت من جد، أخذت به نفسي، حتى لأحسب أحياناً أن هذا الذي أقرأه إنما هو صنع روح أخرى، غير هذه الروح شتلة بهموم شتى من أعباء الحياة وجدّها المحض.. هذه الروح التي أحملها.

وما جمعت من هذه (الكلمات)، فقدّمته لقرائي اليوم بعد تردد لم يطل كثير من ثلاثين عاماً.. إنما هو شطر من ذلك العمر التهويمي الذي عشتة.. راحب أن هذا التردد كان حرياً به أن يطول ويطول، لولا أن حسمته بوعده جازم فتعنته جمعية الثقافة والفنون في جدة بأن أقدم إليها هذه الإضمامة لنشرها، أو من كان مقررأ بادئ الأمر..

أما الشطر الآخر فقد زويته وطويته، مؤثراً أن يظل حيث هو من مخبئه.. وإن كان قد تسرّب أو تسلل منه شيء إلى الصحف أو الأصدقاء عمداً أو كرهاً، فقد أثرت اليوم أن لا أقدمه.. أو هذا على الأقل قراري حتى هذه اللحظة.

بل لقد كنت أحمل إلى قريب عزماء صلداً، أن لا أنشر من هذه الكلمات -على شطريها- شيئاً، وكنت أقول: إنني في اليوم الذي أفعل فيه ذلك، أو شيئاً من ذلك، أكون قد فقدت السيطرة على زمام نفسي، أو ما أخذتها به من صرامة وحزم.

ولئلا أكون قد وقعت فيما منه خشيت، فقد اخترت أن أسلك درياً وسطاً، لا يذهب إلى حد تلك الجفوة المطلقة مع كلماتي التي أحنو عليها.. ولا أكون من جهة ثانية قد شاركت الغير في ذات نفسي، حيث تندس كلمات أخرى أنا بها ضنين.

على أن ذلك الشطر الذي أسدلت عليه الستار، لا يعدو أن يكون مما ألف الناس من العواطف والأحاسيس؛ بل هو مما أحبوا منذ عهد امرئ القيس إلى عهد علي محمود طه، ولكنني نظرت إلى الأمر نظرة أخرى تقول: إن معظم هذه الأشعار -إن صحّ أن أسميها أشعاراً- هو من زهو الصبا، ونضارة الشباب، وأن فيها شيئاً من نفحات ذلك العمر الغض الجديد، وهي نفحات تحمل مع الجدة أشياء من وثبات الشباب.. حملتها اليوم بعد الستين وقر وقاري، فقلت لها: قري حيث أنت.

وكان الترتيب الطبيعي أن يأتي شعر العاطفة قبل، فهو نفس من الوجدان.. أي كان من الطبيعي أن تأتي الأغصان أولاً، ثم تزحف الظلال.. ولكن أبت صرامة في الطبع إلا أن تحجب الأغصان، وتسمح للظلال، ويوشك أن يكون في الأمر شيء كالمستحيل. ولكن هكذا كان..! وليس في هذه السطور شيء مما يسمى (التجربة الشعرية)، بحيث أعطيها التفاصيل التي تكفل صحة هذه التسمية، ذلك أنها تنتفي ما دامت تنتفي صفة الشعر والشاعر عن هذه

المجموعة القليلة من النظم.. وأنا عندما أسميها نظماً لا أعدو الحقيقة.. وإن كنت أحسّ أن في بعضها نبضاً من الوجدان ربما خرج بهذا البعض عن دائرة النظم شيئاً ما، ولكنه خروج المشفق الوجل.

هل أبدو غامضاً حقاً..؟ ربما.. ولكنني على أية حال لن أقسر كلماتي على تعبيرات لا يسلس قيادها.. وإن فقدت بذلك حلاوة البلاغة حسب معايير البلاغيين.

ومع ذلك يسعني أن أقول: إنني حاولت النظم حوالي العاشرة من عمري.. ثم واصلت التجارب على فترات متباعدة، وأعترف أنها ظلت في معظمها مجرد تجارب لم يحالف النجاح الكثير منها، وإن ظلت محسوبة عليّ سواء أردت أم لم أرد، ورأيت من باب التسجيل فحسب أن أجمع شتات ما تيسر لي جمعه منها، وليكن للنقاد نحوها ما يكون من الرأي، فهي ظاهرة من ظواهر حياتي.. لا سبيل إلى جحدها.

وقد يبدو من الطريف حقاً.. أن أذكر لقرّاء هذه المجموعة -لو وجدت قرّاء- شيئاً عمّن تأثرت بهم من الشعراء أو المدارس الشعرية، أو المناخات الشعرية.. على الأقل من أجل ذلك النبض الوجداني الذي ألمحت إليه.. أعني ذلك البعض من النبض!.

في البدء كانت صلتي بالشعر عن طريق تلك الأناشيد المدرسية، والأشعار التي ضمّها كتاب (القراءة الرشيدة) ثم (سلم القراءة) من بعده.. فكنت أعنى بحفظ هذه الأناشيد والمختارات.. حقاً إن صبية المدارس يفعلون ذلك كلهم.. ولكنني كنت ألقى هذه المقطوعات والأناشيد متذوّقاً معجباً مردداً.. وكان بعض أساتذتي يشجعني على هذا الترداد والتذوق.

ثم أخذت أتذوّق الأشعار التي تأتي في ملامح الأدب الشعبي كعنترة، ونزير سالم، وأبي زيد الهلالي والأميرة ذات الهمّة.. وأشعار ألف ليلة وليلة.

وفي هذه الفترة المبكرة من العمر ومنذ السنوات الأولى من الابتدائية أخذت أقرأ شعراً أبي نواس.. لم أتعمد اختياره، فقد اقتنيت كتاباً ضخماً يضم نوادر أبي نواس، ومعها ديوانه، ربما (إتماماً للفائدة).. وكنت مهتماً بالدرجة الأولى بالنوادر، ثم قرأت الشعر من باب الفضول.. فقد وجدت في شعره أيضاً ما يغري بالاطلاع.

وقبل تخرجي من الابتدائية قرأت (شوقي)، و(الشريف الرضي)، ثم أخذت خلال دراستي في المعهد العلمي السعودي أتصل بمناهج من تاريخ الأدب العربي، وفيها نماذج مختارة من الشعر، وفي هذه المدة قرأت شعراء الرسالة الزياتية، واتصلت بالشعر المهجري وبفحول شعراء العراق كالرصافي، والبصير، وفحول شعراء الشام، كأثور العطار، وأمجد الطرابلسي، وأعجبت إعجاباً خاصاً بعلي محمود طه، وعمر أبو ريشة، ثم انداحت الدائرة بقدر ما شاء الله لها أن تنداح.

وكان ما نظمت في معظمه ناجماً عن حادثة أو فكرة، أو مساجلة، أو شرارة قديمة اندست في النفس، وظلّت تختمر فيها على مهل، غير عابئة بالزمن يمر، والعمر يرحل، والجديد يخلق، والنضرة تذوي.. يكفي أنها تملك كل ذخائر حياتها ونموها ونضرتها ووهجها.

إذن.. فقد كانت هناك في الغابة أغصان.. وكان لي فيها أشجان.. أما الأغصان فذوت.. وأما الأشجان فانطوت.. وقد رأيت أن أحجبها.. فما عاد لها اليوم مكان.. إلا في الأعماق، وما كان في الأعماق قلماً يطفو.. وقد كان للأغصان ظلال.. ولا ضير أن تطفو الظلال.. فهي أيضاً جزء من النفس وحديثها، وهو حديث قد يعجب القراء وقد لا يعجبهم؛ بل إنني على يقين أنها ستترك مجالاً رحباً للناقدين.

عبدالعزیز الرفاعي

الرياض ١٤٠٧هـ

١ - في ظلال الدعاء

دعاء(*)

سألت القلب عن دنياه
ما دنياك يا قلبي ؟!
فهذي ضجة الحرمان
تلذغ نارها جنبي
وهذا موكب السعداء
يزحم ركبه ركبي
لكم أزرع آمالي
فما أجني سوي جذبي

* * * *

أحسن دبيب أيامي
تسارعني إلى النحب
وشمس شبابي المحروم
قد مالت إلى الغرب
أحسن بقسوة الهجران
تذرو ناضر الحب
أحسن بأن أغللاً
يضيق قيدها رحبي

× مكة المكرمة ، وهذه نشرت في الستينات الهجرية .

تمر مواكب النعمى
واشهد فرحة الركب
وما حظي سوى ما شا
هدت عيناى عن كئب
وأسأل نفسي الحبرى
ترى يا نفس ما ذنبى؟
لقد أشفق محروم
بأن يلقياك يا ربى
فتبدو لهفة الحرمان
فى جناتك الغلب
فهبته إلى نعماك
وامسح لهفة السغب
إذا مسّت يدا رءمك
إجدابى فذا حسبى

* * * *

ضراعة

أنا..

ما التفت إليك..

يا أمسي..

غذا الشُّراع..

وراح..

لم يَرُسْ ..

أحدو الصباح

وأرفو من أشعته عمري..

وأعرف أنه يُمسي

الليل مركبة عندي

يواكبها

حِلْم الصباح

وظلعة الشمس

والليل..

مزرعة للورد

موسمها

في مهرجان الهوى

أو زفة العُرسِ

* * * *

لا تقنطروا..
إن كأسى في قرارِها
بعض الصُّبابة
كانت ملاًها كاسى..
خلُّوا الصُّبابة
أحسوها مروقَةً
هذي الصُّبابة
قد طابت بها نفسي

* * * *

يا رافع البأسِ
عن أيوب معجزةً
هلاً رفعتَ
بفضلٍ منك
عن بأسى؟
ولستُ أيوب..
لكن من ضراعتِهِ
عندي أفانينَ
من جهرٍ
ومن همسٍ
وليس لي صبرُهُ

أولي مكانته
لكنني مثله
ما ملت لليأس
إذا سرت دعواتي
في معارجها
وجدت عندك
ينبوعاً من القدس
واس الجراح
فما للبائسين سوى يديك
أرجوهمـا..
كي يرفعا بؤسي

اشفايلز - ألمانيا الغربية - المحرم ١٤٠٨ هـ

* * * *

٢ - في ظلال الوجدان

(بقية)

وظفت أستهدي النجو
م ولا نجوم على سمائي
غارت وغرت وغار ما
قد كنت أحسبه رجائي
وظللت لانفسي معي..
كلأ.. ولا قلبي وعائي
يا عمر ما صنعت بك الأيـ
سام والأيام واسعة الفضاء
ضاقت على رحباتها
وانفض سامرها إزائي
أو كيف يخذلني الريبـ
ع ؟ وكيف يعن في التنائي؟
وتظلني شمس الخربـ
ف .. ويرده ، جم البلاء
رفقاً فما أنا حمل أكـ
ثر من عدو.. في لقاء

يا ساعة لليأس يشـ
رق في دياجيهـا مضائي
لا.. لا.. لن أذل وأستكـ
ين ولن تنالي من بنائي
أنا صامد بالله تر
تعد العواصف من إبائي
ستظل تربطني بإيماني حبا
ئل في بقيتـها بقائي

مدينة سهيل الأندلسية
١٤٠٩/٨/١٧ هـ

* * * *

جراح (*)

جراحِي نازفاتُ ما تطيب
فماذا في جراحِي يا طبيب؟
أُجرحِي غير جرح النَّاسِ أعمى
أصمٌ فلا يرى أو يستجيب؟
بنانك ماهرٌ .. أدري .. ولكن
بنان الدهر أمهرُ إذ يصيب!
ولا عُتَبِي فما قد كنتُ يوماً
على إعنات دهرِي أستريب
ولا عجب .. فما مرَّت ليال
عليّ فلم يصاحبها العجب؟
جراحُ الجسمِ تضمُّدُ في هدوء
فكيف يضمُّدُ الكبدُ الوجيب؟
تركت الصبر يسكن فوق كبدي
فبعد مرارتي هام الغريب!

* * * *

(*) نشرت في مجلة الشعر المصرية - العدد السادس - أبريل ١٩٧٧م، والقصيدة نظمت سنة ١٣٩٦هـ،
على أثر إجراء عملية استئصال المראה في لندن.

بعد ما بعد المرارة ^(١)

أبا عمار سعيك لا يخيب
فأنت لكل ذي جرح طبيب
وللملهوف أنت وللمعنى
فإنك منهما أبداً قريب
تنيلهما من الحسّ المجلى
وبالإحسان ما تهوى القلوب
عرفتك إذ عرفت بك المعالي
يزين حسنهما أرج وطيب
لئن أخذوا المرارة ذاك فآل
وكل المرء عنك بها يغيب
أنس عثمان

* * * *

(١) بعد اطلاع الأستاذ أنس عثمان على قصيدتي السابقة (جراح) رد عليها بهذه الأبيات وأطلعني عليها.. وقد نشر قصيدتي في ديوانه (الموانىء التي أبحرت) تحت عنوان (ما بعد المرارة) ، وقصيدته بعنوان (بعد ما بعد المرارة) .

تأثله (١)

مهدة للصديق العزيز الأستاذ عبدالرزاق بليلة الذي أعجب بقصيدة عنوانها "السرى
طال" للأستاذ فائد العمروسي..

رام جوب البید من غیر رفیق
رائد ضیع أعلام الطريق
كلما طال به إسراؤه
ظنَّ لیل البید من غیر شروق
فإذا ما طلعت من خدرها
ردّت الريح كيحموم الحريق
فإذا الرائد ظمآن الحشا
لاهث الأنفاس كالشلو الغريق
كلما مرّت على أحلامه
صور الماء على نبع رقيق
ورأى في الأفق أطراف المنى
يستحثّ السير في خطو طليق
فإذا الماء سراب كاذب
خادع الأحلام إلا من بريق

* * * *

نشرت في العدد ٦٥٤ من جريدة البلاد السعودية الصادر في ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٦ هـ.

نأت الواحات عن أرضى وفي
أرض بعض القوم أزهار وماء
وأغاريد وأغصان روت
نغمة الطير ، وأقداح ملاء
أرضي الصحراء شوك واخز
وتهـاويل وأيامي خـواء

* * * *

يا أمـاني إذا طال النوى
ومضى العمر وقد عزّ اللقاء
لا تخالي أن روحاً ناقداً
يرتضى الزيف ويغريه الطلاء
ليس من عاش بقلبٍ مثل من
عاش لا قلب له أو لا ضياء
مُثلي العليا هي السلوى إذا
عزّ في الدنيا على الحرّ العزاء

* * * *

تساؤل

سئمت المسير فلا تحفلي.. لماذا سئمت؟ ولا تسألي
أهيم كخفق ظلال الأصيل ويوشك ظلي أن ينجلي
وخلفي عصاً، في يمين الزمان، يهشُّ بها العمر، أنْ عَجَلُ
وما شفني أن تطول الطريق، ولكنه السير في مجهل
تحيرني ترهات الحياة، فكيف بريك في المعضل؟
تشابه يومي بأمسي القريب.. وعامي تصرُّم كالأول
وكم غرّني زهو حسن جديد، فما إنْ تعشقت حتى بلي
وقالوا: الخلود.. خلود الأديب سيحفظ ذكرك في المقبل
ويا ويحهم، وهموا.. فالخلود سراب يخادع قلب الخلي!
وما الاسم بعد انطفاء الشموع طواها الردى مرهف المنجل؟
وما المجد بعد فناء النفوس، إذا ضاق عمر عن المأمل؟
وكم من فتى عبقرى الذكاء، بنى للخلود فلم يَمْلِكْ!؟
مضى.. ومضت خلفه الأمنيات، فلم يَرِثْه الدهر أو يحفل!
إذا مر يوم على ذكره، خبا النور شيئاً من المشعل
وماذا وعت ذاكرات العصور عن نابغي فلم تضلل؟
لكم طمر الدهر فنُّ الأديب، وضاعت به نغمة البلبل
شدا للزهور وغنى لها، ولولاه في الروض لم تجمل
وأضفى على البدر من قلبه، ضياء إذا غاب لم يأفل
وأعطى الحياة دواء الحياة، وجلّى الجمال لمن يجتلي
فهل يذكر الزهر؟ هل يذكر البدر؟ يا خيبة الشاعر المهمل
جفته الحياة، وعفّت عليه سنون العصور ولم تسأل

* * * *

كبد ضائعة (١)

معذبٌ يسأل الأيام عن كبدٍ
أضاعها بين وهم الوجد والحلم
جرى مع الوجد أشواطاً فأجهد
وأبَّ يسبح في لجج من الندم
والذكريات رؤى الماضي بروعته
عادت، وفي كأسها صابٌ من الالئم
يحبها... وهو يخشى من مرارتها
فيها العلاج، ومنها سورة السقم
يحسرو الحباب فيغريه بنشوته
كأنه رقة تنساب في نغم
وفي قرارتها كدراء يجرعها
فاعجب له! ما ثنته نكسة الطعم
حالت ليلاله بقيا روضة ذهبت
مع الربيع، وروح الروض لم يرم

(١) مكة المكرمة في ١٣/٢٤/١٣٦٦هـ وقد نشرت هذه القصيدة في مجلة (الكتاب) المصرية التي كانت تصدر عن دار المعارف، العدد الثاني - السنة الرابعة ، ربيع الثاني ١٣٦٨هـ / فبراير (شباط) ١٩٤٩م.

إذا غشته هموم النفس روحها
بعودة في الرؤى للذاخر النعم
فناشدوا الله من آوى له كبداً
ضلت ، ليرعى حمى الأخلاق والذمم
وأن يصون لها مهذا تدلله
أن لا يلوث من أقراحها بدم
تخشى جراحاتها أن تستبد بها
عواصف الشوق تذروها إلى العدم
لله يا كبداً ذابت جوانبها
لولا تعلقها ذابت مع النسم

* * * *

أما عن الحلم في أفياء ما رسمت
له الخيالات عن مجد وعن قيم
فقد أصاح لداع في قرارته :
إن الحياة حياة العلم والقلم
فراح صوب مناديه على قلل
من الغيوب ، وآفاق من السدم
يقول : لبيك.. لكن ما شرائطها
فيهتف السر : ألوان من الهمم

روحٌ من الصدقِ في جسمِ المضاء لها
 عن المخذل أسوار من الصمم
 وفي مبادىءِ عليا زانها بخلٌ
 أن لا تقلّ وفيها زينة الكرم
 فهكذا سارت الأفذاذ بالغة
 مدى النجوم ، ومنها وثبة الأمم
 ومن هنا.. في السرى ضاعت له كبد
 وغررته متاهاتٌ من الوهم
 ظنّ الدنى مثلاً علياً يعيش بها
 يا ضيعة السير في داجٍ من الظلم
 إن العلا اليوم لا تؤتّى على مثل
 ولا تجيب لنفسٍ في ذرى الشمم
 يا من رأى كبداً ضاعت بمهمةٍ
 جدّت وأدركها يأس على سأم
 أماراة أنها رغم السهام بها
 طابت أريجاً، بما ضمت من الضرم

* * * *

أغنية تتمنّع^(١)

أحبايَ في نفسي من الشَّعر غنوة
يجيش بها قلبي وتأبى على فمي
أرددها في خاطري عبقرية
لها من عزيف القاع حلو الترنم
تميل مع الأغصان في ميسانها
وتسري مع الألحان في كل منغم
لها رقة الأنسام في كل خفقة
وفيها جوى الأنداء تهفو لبرعم
وفيها رفيف الزهر صحوًا وناعسًا
وفيها معاني الزهر للعطر تنتمي
وفيها اصطفاق الموج يحنو لشاطئ
نديّ على أحضانه النضر يرمي
وفيها هدير الموج يدفق صاخبًا
وفيها رؤى الأشباح آفاق عيلم
* * * * *
بها هجعة الصحراء عطشى تشوقها
مُنَى القطر أو طيف السحاب المخيم

(١) مكة ١٣٦٧/٣/١٠هـ، وقد نشرت تحت عنوان (أغنية متجنبة) في العدد ٦٩٣ من جريدة البلاد السعودية الصادر في ٦ ربيع الآخر سنة ١٣٦٧هـ.

بها نغمة الينبوع يجري بروحه
حينئذ إلى الأعشاب يشكو ويحتمي
بها فرحة العصفور هيمان صادقاً
لإلف يناجيه بتحنان مفرم
بها لهفة المشتاق يهتاجه النوى
يعر يد في جنبه وجد المتيم
بها رقية السهران يسهد ليله
غريباً شكا نأيا صريحاً لأنجم
بها صبرة المفتون يحلم بالهوى
رفيقاً إلى هيفاء ذات تنعم
يصورها حوراء ما مرّ طيفها
بريشة ذي شعر ولا شعر مرقم
أحسن لها كالشهد نكهة قبلة
تغرّد من صهباء أعذب مبسم
وأنقلها من عالم الروح نغمة
إلى عالم الحسن الرفيف المنعم
رؤى حالم مرّت بأعطاف كاعب
وسحر على ثغر وفتنة معصم
كأنني بها معنى من السحر هائم
بصدر عميق السر ، جدّ مطلسم
كأنني بها قد صدّتها أبدية
شكولاً من الألحان تنساب في دمي
أحاول أغربها لتحيا بعالي
فتأبى على طرسي وتأبى على فمي

* * * *

٣ - في ظلال الطبيعة

فراشة^(١)

تراقصت في الضياء الشر وانعطفت
نحو الغدير وحيّت نغمة الشادي
فراشة لبست ثوب الربيع وقد
راحت ، تدل به في تيهها البادي
ثوباً تتوق له الحسناء تحسدها
عليه لو حفلت يوماً بحساد
شتان للحسن.. أيدي الناس تصنعه
وللجمال حفيّا جد منقاد
حديقة في جناح رق وانسكبت
فيه الأشعة من طيف السنا الهادي

* * * *

مضت إلى الزهر تشكو الزهر غلتها
وترتوي قبلاً من ثغره النادي
زهر إلى الزهر ما أندى تعاطفه
هز الطيور فهزت كل مباد
روحي وروحك في معناهما شبه
تهوى الزهور ، وأهواها على النادي

(١) نشرت في أوائل الستينات الهجرية.

وأعشق الحسن رفراقاً على نضر
من الحمائل بين الجدول الغادي
وفي الروابي إذا ما اخضوضرت وزكت
أهوى ترفعها والرفرف البادي
وفي الذرى شامخات الأنف صامدة
على الحوادث في كرامدى العادي
وفي السهول التي أرخت غلاتها
أهوى التواضع ما أسماه في الوادي
أهوى الضياء كما تهوينه حفلا
فترقن بشوق المصحى الصادي
حتى تذوي وهذا القلب أحسبه
جم الفداء ، فيا للذائب الفادي

* * * *

كومو (*)

كنت في زيارة خاطفة لبعض مدن إيطاليا، ووقفت على بحيرة كومو ذات المناظر الأخاذة، فتذكرت قصيدة للشاعر المبدع علي محمود طه عنها، تُعدّ من أروع قصائده.. مطلعها:

تلك كومو مدى النظر هَيَّءَ اللحن والوترُ

فجاءت أبياتي هذه على غرارها.. استجابة لاقتراح من صديقين كانا معي :

متتبع الفكر والنظرُ

إنها فرصة العمرُ

سأل الحسنُ نفسه

بعد أن واصل السفر

بعد أن وزع الجما

ل على الأرض والشجر

أين .. ما أين أنتحي

أي جناتي المقبر؟

نطق الحسن نفسه :

(تلك كومو مدى النظر)

أترى الماء عندها

أخضر اللون ينهمر؟

لَوْنُ اللُّوْحَةِ الْإِلَهِ

هـ ، فهل لَوْنُ المطر؟

كل مجراه سندس

كل أمـواهه زهرا!

يا صديقي ليـتما

تمنحاني العـذر

خاطر الشعر مفحم

خاشع الطرف منبهـر

فاطلب الشعر قمة

قمة الشعر في الحجر

وعلى رفـرف الشطو

ط ، وفي صفـحة النهر

وعلى رائـع الـورو

د ، على الشـط تنتـثر

* * * *

لو تخـيـلتُ سـاحـراً

يسحر الناس بالصـور

كـان أبهى الذي أرى

من جمـيع الذي سحر

إن كـومـو قـصـيدة

لم يقل مثـلها بشـر

* * * *

صَبَارَةٌ (*)

في مطلع حياتي كانت بداري الصغيرة شجرة (صبارة) ، ليس ثَمَّةَ غيرها.. كنت
أسقيها بعض أشجان حياتي ، وكانت تسقيني بعض معاني صبرها على الجفاف..
كان بيني وبينها حوار.. ذكرت فيه أنها تجد من معاني الرعاية ما لا تجده أخواتها
في قناني الجبال..
هذا بعض ما قلت لها.. أما ما قالت له لي هي.. فكثير لا يسعه شعرو..

لا تأبهي بالحادثات ولا تذلي للزمانِ
صولي بسيفك وارهفي -يا غرستي - حد السنان
جرِّي القتاد على الحوادث وافرغي مرَّ القناني
وإذا تضن السحب بالنزر اليسير من الأمان
واخشوشنت منك الجذور على عروق من صوان
وتجهم الصخر الأصم ، وهل درى معنى الحنان؟
وجفتك أنفاس الربيع ، وكان مخضوب البنان
والطير مرَّ على قفارك.. مرَّ محصور البيان
إلا الغراب فقد يطل عليك مشؤوم اللسان
لا سامرا إلا عواء الذئب في صمَّ القنان
والثعلب الخداع يزحف حاذراً كالأفعوان

(*) ١٣٦٩/١/٧ هـ، نشرت في البلاد السعودية في ١٥ من المحرم ١٣٦٩ هـ.

والبدر مشفول الفؤاد بحب أتراب حسان
والنجم.. إن النجم تعشقه... فهنّ له رواني
ويخفن أن يهوى على الأرض - الجميل من الغواني
والشوك مشدود الوثاق على الثرى الظمآن عاني
وإذا بحثتِ على الجديب عن الظليل من الأمان
وعن الحنان الشر.. عن خضر المربع والمغاني...
فرمتك نائحة الرياح بكل سوداء المعاني
حملت سموم النار طلقاء الأزيمة والعنان
وسمعت من بين الفحيح نعيها بيض الأمان
لا تأبهي.. كوني كصلد الصخر ثابتة الجنان
كالريح تهزأ بالريا.. بالدوح ذات العنفوان
كالقفر مرّ به الزمان فما درى خطو الزمان
بل ابسمي.. نعم ابسمي.. أخفي الشقاء عن العيان
وعلى عمر الدهر كوني في بهي الطيلسان
لوذي بصبرك وارقبي طيب المجاني
أنت العزاء لقلبي الملتاع في حر الدخان
إن المرارة في كيانك ، وهي تعبت في كيان

* * * *

الصبر من شيم الكرام ، إذا تناءى عن جبان
والمعدن الصافي الأصيل يظل مرموق المكان

* * * *

٤- في ظلال المناسبات

تحية ندوة العلماء^(١)

أهنا موطني ؟ أهذي بلادي ؟
أنا لا أشتكي اغتراب الضادِ
لغتي موطني .. وديني ملاذي
هذه عدتي ، وهذا عتادي
أين يمت .. فالمودة إني
من وشيجيهما على ميعاد
عترتي .. عترة القران .. ولكن
أمحض المسلمين صفو ودادي
لا قرانٌ بغير حرف مبین
عربي يأتي شديد العماد
والذي يبتغي بغير قران
لغة العرب ، نافخ في الرماد
وسبيل الرشاد أن تجمع الحسن
يبين يا حبذا سبيل الرشاد
وسبيل الرشاد مجمع علم
جُمع الفضل كله في النادي
ندوة للعلوم قامت بلكنو
فهي نغم المنار للمرئاد
ضلّ من يحسب البناء صروحاً
شامخات تأتي عليها العوادي

(١) ألفت هذه القصيدة يوم الجمعة في افتتاح ندوة الأدب الإسلامي في جامعة دار العلوم - ندوة العلماء - الهند ١٣ جمادى الآخرة ١٤٠١ هـ وفيها تحية للعلامة الكبير السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي ، رئيس جماعة ندوة العلماء ..

إن من يَبْنِي النفوس لبانٍ
لم تطاوله في البناء الأيادي
عبقري يبني بكل فؤاد
عبقرياً يأتي زكيّ الفؤاد
والذي يَبْنِي الصروح مشيدٌ
إنما يَبْنِي النفوس الهادي
وبناء الصروح سهل لبان
وبناء النفوس صعب القياد
ولكم رام للسماء صعوداً
مثل فرعون ، جاهل أو عاد
سخرت منهم الجبال ويكفي
لغُرور سَخَرِيَةِ الأوتاد
أيها المحسن البناء .. عليّ
أنت تُعلي البناء للرواد
وتنير القلوب علماً وفهماً
لكتاب ، وسُنة ، وسداد
لبناتُ النفوس تعطي شعاعاً
سرمدياً يبقى على الأمد
بارك الله في عطائك محضاً
لعباد ، تريد ربّ العباد
لم أكن قبل .. شاعراً منبرياً
كيف أصبحت شاعر الإنشاد ؟
إنه علمك الذي فجّر الصخر
ر ، فهل كنتُ صخرة في الوادي ؟

* * * *

يا عيد^(١)

يا عيدُ
في قلبي..
وفي أغوار نفسي
في الحشاشة من ضميري
لوعَةٌ حَرَى
تُمزقني!
وتغتال البقية من سروري
يا عيد
معذرةً إليك
إذ نبوتُ
وإن تبلد كل حسي
رغم موكبك الكبير
إن المسرة لا تلامسُ
أي قيدٍ من شعوري
إنني أرى
صور المباحج كالرؤى
غامت..

(١) هذه القصيدة نظمت في مناسبة مرور عيد الفطر سنة ١٣٧٧هـ، وكانت الجزائر آنذاك لا تزال تناضل لنيل استقلالها.

على عيني
شائمة المسير
يا عيد
والأطفال ترفل في الحرير
وأصيح...
للطبل المدوي
والهدير
لكتني
يا عيد أسمع صدى
مرّ الصرير
مرّ مرارة لوعتي
تلك التي
اغتالت سروري
يا عيد
أين مسرتي؟
لا.. أنت أدري
بالمواقع في ضميري
يا عيد
إن طفّت القرى
أوجلت ما بين المدائن
فاسأل
وقل لي ما مصيري؟

ما حال إخواني؟
وخلائتي وأهلي؟
وبني العمومة من عشيري؟
ما حالهم يا عيد..؟
في الوطن السليب
في فلسطين العزيزة
واللاجئون؟
الساكنون هناك
في تلك الخيام البالية
الرابضون على العراء
النائمون على الخواء
ما حالهم؟
هل ترفل الأطفال في الحُلل الحرير؟
هل يحتفون؟
كما احتفلنا - في جبور؟
يا عيد
أي مواجع حَرَى
تَنَزَّت في الصدورِ
البِشْرُ!
إن البِشْرَ
لا يسري
إلى الخِيمِ الحزينة كالقبورِ

* * * *

يا عيدُ
ما حال الأُحبة من عشيري؟
ما حالهم؟
يا عيدُ في أرض الجزائرِ
هل ترفل الأطفال في حُلل الحريرِ
وأَيُّ أطفالٍ يتامى
يا عيدُ في أرض الجزائرِ
في كل ميدانٍ مجازرُ
والدمع والدم والعويلُ
في كل دار في الجزائرِ
في ذلك الوطن النبيلُ

* * * *

يا عيدُ... لا
إن المسرة لا تلامس
أَيُّ قيد من شعوري
ما دام خلّائي وأهلي
في فلسطين السليبية والجزائرِ
لا يعرفون العيد إلا وهمّ عابرُ

* * * *

يا عيدُ
معذرةً إليك
إذا عبرت على حياتي

كالْحَا.. جَهْمَ العبور
لكنني
لن أجتوبك
سنلتقي
يا عيدُ... في يوم قريبٍ
وسأحتفي
وستحتفي كل الدنيا
في يوم عزتنا
إذا رجعت فلسطين العزيزة
وظلل العزّ الجزائرُ
وانجاب عن بلداننا
نيرُ الغريبِ
ولسوف أعلن عن سروري
يا عيدُ
والأطفال ترفل في الحريرِ
في موطني
في كل شبر منه
من وطني الكبيرِ
وأصبح
للطبل المدوّي والهديرِ

جدة - ١٣٧٧/٨/٧ هـ

* * * *

كلمة.. إلى الجزائر^(١)

قبل أن تصدق المنى بالبشائر
حملتني إليكِ حلوا الخواطر
خطرت بي.. إلى ذراك فما أرو
ع ما جَنَحَ الخيال المسافر
مثّلت لي، من قمة المجد أعلى
ما تناهت إليه أحلام شاعر
فإذا فوق ذروة المجد أخرى
وعلى قمة السماك الجزائر

* * * *

ذُكِّرْتَنِي.. ولم أكن غير ذاكر
إنها في الجهاد كبرى الثوائر
سكبت في النضال بحر دماء
رنقته.. فكان أطيّب هادر
فإذا ثورة الدماء نعيم
يتصبّى ، حتى الملاح الحرائر
" الجميلات " والكماة سواء
صنع الكل بالفداء الجزائر

* * * *

أضلعي.. ملؤها التحايا العواطر
من بلاد تكن خير " المشاعر "

(١) أُلقيت في مؤتمر الأدباء بالجزائر عام ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م

حملوني الهوى وما ظننت ضميري
حاملاً كل ما حوته الضمائر
ولئن جلل الأسى كلماتي
فالمصاب العظيم ملء السرائر^(١)
وعزائي بأن فيصل قد كا
د يلاقي قبل الرحيل الجزائر

* * * *

يا حماة العرين كبرى الكبائر
أن تحوز الكلاب كهف القساور
في فلسطين ، ما نسينا بقايا
من دماء تئن تحت المقابر
قد سخوتم هنا بمليون ثاور
فاجعلوهم هناك مليون عابر
سدّدوا فوهة المدافع وامحوا
صدأ الريث.. وازحفي يا جزائر
تعب اليأس واستراح المحاور
خدعة أدمنت عليها المحاور
وهبت للعدو بحبوحة العم
سر وجادت لنا بأسخى الخسائر
عظة لو قمر بالحجر الصـ
للد مراراً لفجر الأرض ثائر
لَمْ لا نضرب التردّد بالحز
م ونمضي على طريق الجزائر؟

* * * *

(١) صادف قبيل المؤتمر استشهاد الملك فيصل رحمه الله .

حياة تونس^(١)

شعرتان اثنتان في اللمة السو
داء قد جرّتا عليّ الويالا
قالتا تهمسان لليل سرا:
نحن ركب الصباح خطّ الرحالا
قل لمن بيّض الليالي وعوداً
مثقلات ألقى إليها الحبالا
أسفر الفجر أيها العاشق اللب
ل فهاً نفيتَ عنك الضلالا
ضرب الشيب موعداً أزلياً
عند فوديك والليالي حبالى
قالتا لي : عهد النسيب تولّى
وأطلّ المشيب يضيفي الجلالا
إن عهد الشباب، قد ملم الح
بّ وحلو الهوى ، ولمّ الوصالا
لم يعد في يديك إلا الأمانى
والوعود التي تمادت مطالاً

* * * *

(١) ألفت في مؤتمر الأدباء الذي انعقد في تونس سنة ١٣٩٥ هـ.

قد رَضَعْتُ الهوى بِمِكةَ طفلاً
 في حِمى المسجد الحرام حلالاً
 حيث تهوى القلوب يحدو بها الشو
 ق، وحر الجوى إليه تعالى
 وتغنيتُ بالجمال مَذاباً
 في سِراة الحجاز يزكي الخيالاً
 يكمن الحسن حيثما تنظر العبد
 من، يميناً على الذرى أو شمالاً
 وربى نجد إذ عشقت الخزامى،
 ونثار الربيع يكسو التلالاً
 تربة تبعث الخيال وتهـ
 دي ريق الشعر ، رائعاً سلسالاً
 كم أمالت عرائس الشعر للشـ
 عر - وكم شاعرٍ تغنى فمالاً
 حملتني الرياض باقات حب
 خفت أن لا أطيقهن احتمالاً
 جئت أهدي إليكم من جناها
 بعض أشواقها تحن احتفالاً
 يا رعى الله ما بتونس من خبـ
 ر وأسماءه أن تنمي الرجالاً

بلد تنبت البطولات والمجد
مد وترعى الأمجاد والأبطال
ورثت مجد عقبة الخير من قب
ل ، وراحت تورث الأجيالا
وابن خلدون قمة الفكر منكم
يا لها قمة أبت أن تنالا
وأبو القاسم الذي فجّر الش
عر ينابيع لا تكفّ أنهما
إنه اليم في الرخاء رقيق
فإذا اشتد كسر الأغلالا
أعظم المجد للعروبة مجد
يبتني فتية تجيد النزالا
تمسح العار ، حينما تضع الغا
ر ، وتمحو عن النهار الظلالا

* * * *

نحن في المشرق المدمى اشتيا
ق لا تحساد يضم آلا
أشرقت من هنا البواكير من
ه فارقب البدر إن رأيت الهلالا
يجمع المشرقين دين حنيف
لم يزل بيننا الملاذ المآلا

لو لزمنا صراطه لاستقمنا
وجعلناه للعدى زلزالا
جمع الدين تائهن علينا
وافترقنا ، عن ديننا ضلالا
موعد الملتقى هناك على الـ
قدس صفوفاً تروّع الأهوالا

* * * *

أنطقتني بلادكم طبع الشعـ
ر وقد كنت لا أحير مقالا
قد هجرت القريض قبل فلما
جئتها رفت القوافي انثيالا
بلد كل ما به يأسر القلبـ
ب ويسري فيأسر الأوصالا
كيف أسلو إذا بدت لي سلوى
عن جمال هنا يفوق الجمالا
إنني ها هنا أضعت فؤادي
فارجعوه.. وهل طلبت المحالا؟

* * * *

من يوميات مؤذنة مكة^(١)

هذا اليوم ثلاثاء
اليوم الأول لمحرم
من عام هجري بازغ
لختام القرن الرابع
بعد العشر
الوقت هدوء ورواء
تتلاقى العتمة بالأضواء
كتتلاقى الأشواق
والدنيا صمت..!

* * * *

الوقت.. الفجر
بل.. بعد صلاة الفجر
للتو.. تعطرت الأجواء
بصلاة الفجر
عجباً.. ما هذا الصوت..
أخطيب في غير الجمعة..
في غير صلاة العيد؟

(١) نظمت عقب أحداث الحرم المكي الشريف سنة ١٤٠٠ هـ ، وقد صدرت في كتيب صغير .

ما الخطب؟
لكأنني أحسب هذا الصوت
يرتب صفًا للحرب...!
أتكون الحرب بحرَم الله؟
وهو السلم المطلق
ملكوت دعاء وصلاة!
عجباً.. بل هذا أقصى عجبي!
وصرخت..

يا أخواتي...!
لكأنني أسمع صوت دبيب
تصعد نحوي خطوات مريب
وأنا.. لا يكذب سمعي
فأنا.. كُلِّي آذان
منذ ارتفع عليَّ آذان..

* * * *

عجباً.. ما هذا الصوت..
مَنْ هذا الصاعد هذا الوقت..
أتراه يريد آذان؟
أأذان فوق آذان..؟!
للتو تعطرت الأجواء
بنداء الفجر

* * * *

وصرخت..

يا أخواتي..!

هذا الواغل يصعد..

يمشي مشية أهوج..

لكأنني أسمع خشخشة سلاح

يا للروع !

أفتسمعن؟

النار .. النار

طلقات النار تهز المسجد

إني لأكذب عيني

وأكذب أذني

لكني .. كلّي أذان

منذ ارتفع عليّ أذان

* * * *

هذا الواغل .. يصعد

وي ! يا أخواتي

وصل الآن إلى الشرفة

رجل .. يا للهول مدجج

لم أعرفه

في زي مُرهب

في سمت مُرعب..!

لا أحسب في نيّته ذكر الله...!
أو أن يدعوا لصلاة

* * * *

لم أتوسّم فيه الخيرُ
مِنْ أين يجيء الخيرُ...؟
في رجل يتأبطُ
أدوات الموت...؟!
ولمَنْ...؟ .. لدماء حرّمها الله
في شهر الله
في حرم الله
الله اكبر
الله اكبر

* * * *

وصرختُ ..
وَيَّ .. يا أخواتي
هذي طلقات النار تُكَلِّغُ
مِنْ شرفتي العليا
مِنْ حيث يجيء نداء الله
لصلاة الله
ونداء الله سلام وفلاح...!
وَيَّ .. يا أخواتي

أَيكون محل نداء الله

جمعمة سلاح.. ؟!

* * * *

يا للهول.. !؟

القتل يدور بكل مكان!

ودماء تُسفك في الأركان!

ودم .. مُهراق

في كل رواق

حتى النسوة لم يُرحمن

باسم المهدي تقتل نسوة ؟

يا للقسوة.. !

الله اكبر

الله اكبر

* * * *

حدثني

في ذات مساء

كان البدر به مؤتلق النور

هذا العلمُ الشامخ في الأجواء

الراوية الثقة .. قبيس :

عن خندمة..

عن جبل النور :

إن المسجد كان حراماً

لا تُسْفَك فيه دماءٌ

عبر الأجيال

إلا أن يأتيه لماماً

بعض الأندال

ممن لا يحترم ذماماً..

هذا بعض حديث الجبل الشامخ..

وحديث الأجيال

صلد.. راسخ

* * * *

حدثني الراوية قبيس :

أن مكان البيت المكرم

كان محل التقديس

يُعمر بصلاة ودعاء وطواف

حتى في فتنة قرمط

حتى في طغيان الطوفان

حتى في عدوان الحجاج

ما كان ليخلو قط

من عبّاد أو حجاج

* * * *

وبعيني رأيت القومُ
يلتف بهم بالذكر مطافُ
ويلف بهم في الماء العومُ
أو يتخذون الأخشاب زوارقُ
والأعراد المجدافُ
الله اكبرُ
الله اكبرُ

* * * *

ويحين أوان الظهرُ
ما ارتفع أذانُ..!
والعصر يحينُ
ما ارتفع أذانُ..!
فوق سماء البيتُ
ويطلُّ على كتف قبيسُ
شفق شاحبُ ..!
تتجمع غيماتُ
وتوصوص نجماتُ
تساءل في رعبٍ ..!
ما الخطبُ؟

* * * *

يا ربّ ..!

هل ألقى بشهاب ثاقب؟؟

لكن الأرضَ سلامٌ

والناسَ .. صلاة وقيامٌ

والبيتَ .. حرامٌ

والشهرَ حرامٌ

ودماء الناس .. حرامٌ

* * * *

تتجمع غيماتٌ ..

وتوصوص نجماتٌ

وقبيسٌ .. حزينٌ

والشفق .. حزينٌ

والغيم .. حزينٌ

وأنا ..

أبكي .. أبكي .. أبكي ..!

والقلب .. حزينٌ!؟

* * * *

حُيَّةُ عُمَانَ^(١)

تَحَدَّثَ خَاطِرِي وَأَبَى الْبَيَانُ
فَهَلْ أَنْتِ الْمَعِينَةُ يَا عُمَانُ؟
وَمَالِي كُلَّمَا رُضْتُ الْقَوَافِي
تَأَبَّتْ وَاسْتَبَدَّ بِهَا الْحِرَانُ؟
وَصَدَّتْ مِثْلَمَا صَدَّ الْغَوَانِي
أَلَا حَسْبِي وَحَسْبُكَ يَا زَمَانُ!
إِذَا هَجَرَ الْحَسَانَ وَعَفَنَ شَيْبِي
فَكَيْفَ تُصَدُّ الْهَانَ حَسَانُ
فَلَوْ أُبْقِيتُ عَلَى التَّذْكَارِ شَيْئًا
يَعَاوِدُنِي إِذَا جَدَّ الرُّهَانُ
إِذَا لَرَجَوْتُ فِي الْمِيدَانِ شِعْرِي
لَيَنْتَفُثَ بَعْضُ مَا حَمَلَ الْجَنَانُ
فَهَذَا مُحْفَلٌ قَدْ تَبَارَتْ
بِهِ الْأَفْكَارُ وَانْطَلَقَ الْبَيَانُ

(١) هذه الأبيات جاءت أوائلها بينما كنت في الطائرة يوم الأحد ١٨/٥/١٤١٠ هـ في الطريق إلى عمان ضمن وفد المكرمين بوسام مجلس التعاون الخليجي من المملكة ثم جاء ختامها يوم الثلاثاء ٢٠/٥/١٤١٠ هـ فجراً ورجوت أن يتسع الوقت لإلقائها ذلك اليوم في حفل التكريم ولكنه لم يتسع.

رأى القممُ الشوامخُ في ذراها
 مكانَ الفكرِ فانفسحَ المكانُ
 رأوا أن التعاونَ كانَ فكرًا
 فشادوا صرَّحَهُ فعلاً وصانوا
 إذا اقترنت عزائمُ عبقري
 برأيٍ مفكرٍ نجحَ القرآنُ
 عُمانُ وأيُّ شوقٍ في ضميري
 يلحُ فلا يطاوعه اللسانُ
 همُ وصفوكِ رائعةً فلماً
 رأيْتُكَ صدقَ الوصفَ العيانُ
 كأنَّ اليُمنَ يُمنكِ حينَ جاءتِ
 إلى ساحاتك القممُ الرُزانُ
 وجاءَ النابغونَ وجاءَ عَجْزي
 فهل يجري إذا ظلعَ الحصانُ؟
 أهنيءُ رفقتي فلهمُ مكانُ
 سيعلو عند أمتهم مُصانُ

* * * *

هـ- في ظلال الصداقة

أبا تراب

تحية.. بل رد تحية إلى الأخ الأديب.. سفير الأدب القديم إلى الأدب الجديد الأستاذ
الشيخ العلامة أبي تراب الظاهري :

أرى ترابك طيباً	أبا تراب وإنني
لا للثرى منسوباً	أراك صنو الثريا
والعلم للنفس طوي	سما بنفسك علم
فجئت حقاً أديباً	وواكب العلم خلق
ولى فأمسى غريباً	وأنت عندي طراز
بعثاً جميلاً حبيباً	بعثته بعد لأي
على الطريق دؤوباً	أكبرت أنك تغدو
والناس تمضي دروباً	تمضي لوحده في
قد ظن ألا يؤوباً	أعدت مجداً تليداً
ميسراً محبوباً	فآب عندك سهلاً

١٣٧٩/١١/٢٢ هـ

* * * *

ليلة من العمر^(١)

إلى (إثنين الأستاذ عبدالمقصود خوجة)

أنجم من سمائها تتنادى
مشرقات تسدي إلينا السدادا
كالمجرات ، يأتلقن جميعاً
كالمجرات، يأتلقن.. فرادى
كل نجم ينافس النجم نوراً
وبهاء، وروعة، وامتدادا
جمع الود بينهم بالعشيا
ت، ولا يُنقص النهارُ الودادا

* * * *

دعوة الود ، قد بدت من كريم
وأديب، تورث الأمجادا
عن أب نابغ.. وليس عجيباً
عندما يتبع الطريف التلادا
وأشد الضياع، أن يُنبذ الما
ضي، فننسى الآباء والأجدادا
رائد أنت قد ندبت المعالي
عندما جئت تكرم الروادا

(١) أُلقيت في حفلة تكريمية أقيمت لي باثنيية الشيخ عبدالمقصود خوجة ، ونشرت بالمجلة العربية العدد (٧٠) ، شهر ذي القعدة ١٤٠٣ هـ

كل إثنين كوكب يتجلى
في ندي، يجتمع الأندادا

* * * *

قد تخيرت ، بل أجدت اختيارا
كلما شمت عبقرية تهادي
ولقد يخطيء الدليل ويكبو
مثلا تُعثر الحصاة الجوادا
مرة.. عندما تخيرت شخصي
فتعجبت أن أكون المراد
وتصامت ، ما أصدق سمعي
أتراني ، وليس غيري ، المنادي
صدقوني.. فما أصدق حتى
ناظري.. أن يكون غش وزادا
نقلتني الأطياف في الحلم يا ع
ين . فخل الأطياف.. خل الرقادا
هكذا تحلم القلوب.. وتهفو
وفؤادي.. ما كان إلا فؤادا

* * * *

قد تساءلت .. من أكون ؟ وماذا ؟
والسؤالات ، حوّم .. تتماهى
ما أنا في عدادكم.. غير قلب
خلب الحرف لبّه فانقادا
جئت هذا المساء أطلب علما
مثلا يطلب الصدي ابترادا

فينابيعكم تهدر بالثر من الف
كر، وتسقي العطاش والورادا
كل نبع يفيض، نثراً وشعراً
كم سقى نبعه الرويُ البلادا
أكرموني، فقوُموني بنقد
أنا أشتاق أسمع النقادا
* * * *

هذه ليلة من العمر بيضا
ء ازدهى ليلها، وألقى السوادا
فالعشيات قد تظمخن بالور
د، فجاءت أفوافه تتنادى
وزكا زهرها، وقد جاء صفواً
خلع الشوك، جانباً، والقتادا
* * * *

أتريدون أن نعيش صفاء
ليس يشكو إلى الليالي النفادا
امزجوا فكركم بفيض من الحـ
ب، لنحيا به.. فلا نتعادي
واجعلوا نقدكم من النور أصفى
ليس ناراً، تؤرث الأحقادا
أجدر الناس بالمحبة ناس
عشقوا الحرف، صفحة ومدادا
* * * *

تحية وتهنئة^(١)

« سراج عمر مفتي »

إلى زميل الصبا وصديق العمر الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي بمناسبة يوم تكريمه في
اثنين الشيخ عبدالمقصود خوجة.. وقد نشرت في جريدة الندوة في ٦/٨/١٤٠٣ هـ.

عبدالعزیز تہانیاً من مخلص
تہدی لشخصک عن أخیک تعبیر
للفرحة الكبرى لما قد نلتہ
من ذروة علیا بمثلک تفخر
لا غرو إن کُرمت من أدبائنا
في ندوة أمسية.. تتكرر
قد قدروا فيک الثقافة والحجا
وشمائلاً عن طیب خلق تسفر
أسست "مکتبة الرفاعي" سُمها
إن شئت أو باسم (الصغيرة) تُشهر
ملأت فراغاً بالذي قد أصدرت
کتباً بأقلام البیان... تسطر

(١) الأستاذ الشاعر سراج عمر مفتي ، من زملاء الدراسة في الابتدائية ، وفي المعهد العلمي
السعودي، وكانت داره تجمع ليقاً من الزملاء يتدارسون الأدب والشعر ، يسعهم بكرمه ولطفه.
(وقد أصبح منهم المشاهير .

وكذا الصحافة ما بخلت بمدحها
بروائع مرموقة.. لا تنكر
إني أذكركم بعهد شبابنا
عهد الدراسة فهو عمر مزهر^(١)
أيضاً بإخوان الزمالة من مضت
أيامنا غرراً بيمن تثمر
(أحمد جمال) ورفقة نزهو بهم
(خراز) و(الدباغ) منهم نذكر^(٢)
أيام ندرس للعلوم بمعهد
عذب وصافي الورد لا يتكدر
وبه أساتذة كرام.. أنشأوا
جيلاً.. بهدي كتابنا نتبصر
هم صفوة ممتازة قد خلدوا
طيب المآثر بالمحامد تذكر

* * * *

(١) نشر الشاعر مع القصيدة صورة حفت تخرجنا من المدرسة الابتدائي.. وإلى ذلك يشير .
(٢) أحمد جمال هو الآن الكاتب الإسلامي الكبير، والخراز: هو الأستاذ سراج خراز- رحمه الله،
وهو شاعر. والدباغ: هو زين العابدين الدباغ، عمل في السلك الدبلوماسي، وشغل منصب
السفير في عدة دول مثل اليابان وهولندا وغيرها.

إن الهوى بهواء مكة يأسر

وتحية... إلى زميل الصبا ، وصديق العمر الأستاذ سراج عمر مفتي.. محاولة رد على قصيدته..
التي كانت شذى وفاته ، أما أصحاب الأسماء الواردة في هذه الأبيات فهم عداه : سراج خراز، وسراج
عطار ، وأحمد محمد جمال ، وزين العابدين الدباغ.

غفت العيون فما لعينك تسهرُ
والليل نام.. فما ليلك سمرُ
والصبح ما عاد الربيع يضمهم
كالأمس والأزهار ليست تزهر
والبدر لملم ما تبقى من سنا
ومضى فقالوا : غاب بدر مقرر
وسراجنا المفتي أين سراجنا
والمجلس المأتوس منه (منور)
ضم اللدات.. وكان منهم فتية
عشقوا من الشعر الحروف تُصورُ
وسراجنا الخراز فارس شعرنا
بيت القصيد إذا تغنى يسحر
وسراجنا العطار ما زالت له
تلك المروءة والوفاء الأخضر
ما أكثر (الأضواء) قلاً سُوحنا
أترى وقد كثر (السراج) نكدر..؟
أما (الجمال) فكالورود نقيّة
أردانه.. بل كالورود معطر
أخلاقه ، مما وعاه تلاوة
للذكر معمر اليقين مذكر

عشق الكتابة والقريض يصوغه
فتراه ينظم تارة.. أو ينثر
سباق أمجاد ، وذلك دأبه
والصدق ديدنه ، يقول ويجهر
والزين (زين العابدين) موله
برسائل تغدو وأخرى تحضر
متأنق من يومه متفتح
نحو العلوم ، إلى بعيد ينظر
قد كنت أرجو أن أكون كمثلهم
لكنني واني الخطى.. أتعثر
ونجاحهم عندي نجاح رعيلا
يمضي فيحمل عباءه ، ويسطر
ما زلتُ يا مفتيًا رغم المدى
لشريط أيام الصبا أتذكر
أيام كنت تعبرنا (شوقي) فنقـ
رأ شعره ، متأملين .. نقدر
أيام كنت تضيفنا في (مقعد)
قد ضاق لكن بالأحبة يكبر
والوالد الحساني يبث حنانه
أبناء.. ما كان منا يضجر
الركب.. يحلم بالربيع وقد مضى
ومضى السراب به يروغ ويسخر
ظنوا.. كما أني ظننت بأنه
لا عيش إلا بالرحيل فبگروا

* * * *

إن القليل بأرض مكة نعمة
ما بعدها، فدرت أنت -وما دروا
وظللت والخراز بل وجمالنا
جيران بيت الله لم تتغيروا
حفت بكم بركات مكة فانعموا
وتفسيؤوا ظل الحطيم وكبروا
وإذا الأصيل دنا.. وجئتم ساحة
حول المطاف ، فذكروا وتفكروا
قلبي يطوف فلا يزال مولها
إن الهوى بهواء بمكة بأسر

* * * *

الصورة التذكار عهد شبابنا
حلم نعبره إذا ما نعبر^(١)
أطيان أيام فهل بصر الكرى
بالعابرين به.. وهلاً أبصروا
طويت صحائف بعضنا ألوى بها
طاو حثيث السير لا يتحير

* * * *

قف يا زمان.. فقص من أخبارنا
أم قد تعبت فلا تقص وتخبر؟
سر يا زمان فإن دأبك أن تسيـ
ر كما نسير ، وأن يطيع مسير

* * * *

(١) إشارة إلى الصورة التذكارية التي ضمت بعض اللدات المتخرجين في الشهادة الابتدائية، ومنهم الذين وردت الإشارة إليهم في القصيدة ومقدمتها.

يا شاعر الأغصان.. غصنك مورك^(١)

كيف الرجوع لأرض مكة بعدما
شبت حمائم بالرياض وأنسرُ؟
وتعمقت فيها الجذور وأينعت
فيها البراعم واستطاب المعشر
وغدت مسامرك التي جمعتها
يوم الخميس على الجرائد تنشر
أنت الألو فلو رجعت إلى الصبا
لمشيت بين رسومه تتعثر
فمدارج الأصحاب قد عصفت بها
أيدي المعاول تارة (ودركتر)
وغدت معابر للمشاة وبعضها
نفقاً به صوت الرياح يزمرجر
يهنيك أنك ما رأيت ولن ترى
مدناً على ظهر (الونائت) تبهر

* * * *

(١) هذه القصيدة شارك بها الأستاذ الشاعر الصديق محمد عبدالقادر فقيه بعد نشر القصيدتين السابقتين في جريدة (الندوة) .

يا شاعر الأغصان حسبك أن ترى
قلمي يهضب بالقريض ويهزر
أسنت روافده وشاخ فلم يعد
يقوى على جد الخطوب فيسخر
دب الخراف به وغاض بريقه
ومضى على سُنن الشيوخ يثرثر
ماذا أقول وفي فؤادي غصة
ومواجه ومدامع تتحدر
أبكي على الجرح الطريف أم الذي
لما يجف وقد طوته الأعصر
* * * *

ي هنيك أنك ما رجعت فلم تذب
كمدًا على حب يشيع ويهجر
لو عدت لن تلقى اللدات ولا الأولى
سمروا على صحن المطاف وكبروا
(فالمجلس المأنوس) طار رفاقه
همد الـ (سراج) به وغاب السمر
قد كان يجمعهم إلى أنماطهم
حب تضيء به القلوب فتبصر
والحب زاد الحالمين من الصبا
وبه يدل على المقل المكثـر

مَنْ كَانَ يَحْسَبُ أَنْ يَصِيرَ نَدِيَّهُمْ
ذَكَرَى عَلَى بَعْضِ الْخَوَاطِرِ تَعْبِيرُ

* * * *

يَا شَاعِرَ الْأَغْصَانِ غَصْنِكَ مَوْزُقِ
وَجَدَاكَ نَهْلًا بِالْأَطْيَابِ مَثْمُرِ
بَدَأَتْ بِرَاعِمِكَ الصَّغِيرَةِ^(١) طِفْلَةَ
تَنَمُّوْ عَلَى جَدِّهِ الطَّرِيقِ وَتَكْبِيرِ
ثُمَّ انْتَهَتْ وَالشَّرْقِ بَعْضَ رَفُوفِهَا
حَمَلًا يَنْوِي بِهِ (الْوَنِيْتَ) الْحَزُورِ
يَهْنِيكَ أَنْكَ قَدْ وَصَلْتَ وَلَمْ تَخْزُ
عَبْرَ الطَّرِيقِ وَخَارَ قَبْلَكَ كَثْرِ
أَنْ الْأَوَّلَى حَفُوا بِمَجْدِكَ^(٢) وَانْتَخَوَا
بِالْقَوْلِ يَنْضَحُ بِالْعَبِيرِ وَيَهْمُرِ
قَدْ كَرَّمُوا فِيكَ الطَّرِيفَ وَمَا دَرَوْا
أَنْ التَّلِيدَ مِنَ الْجَوَاهِرِ أَكْثَرِ

مَكَّةُ الْمَكْرَمَةِ

مُحَمَّدُ عَبْدِ الْقَادِرِ فَكِيهِ

* * * *

(١) إشارة إلى المكتبة الصغيرة - ودار الرفاعي للنشر.

(٢) إشارة إلى حفلة التكريم التي أقيمت بجدة.

يا شاعر الأزهار

حين نشرت قصيدتي التي أسمتها جريدة (الندوة) "إن الهوى بهواء مكة يأسر" ما كنت أتوقع لها ذلك الصدى الطيب الذي حظيت به، وأملته عين الرضا لا غير.. وكان من صداها أخيراً قصيدة أخي الأستاذ الشاعر "محمد عبدالقادر فقيه"، أحد أصدقاء الشباب؛ بل هو منهم في المقدمة، وإن لم تجمعنا مقاعد الدراسة. وكان لحديثه الصغيرة الأنيقة في داره بالسليمانية تاريخ في ذكريات أدب الشباب من اللدات، وكان يُعنى في حديثه بالأزاهير ما وسعه إلى ذلك سبيل.. فكانت مرتادنا في العصري والأمسيات.

والأبيات التالية محاولة متواضعة لرد تحيته الشعرية:

يا شاعر الأزهار كنت أظنها
أبيات ذي وَلَهٍ تَعْنُ فتعبرُ
ما كنت أحسب أن مسراها شذى
يسري على درب العبير مُعْطَرُ
قلبي بمكة ما يزال مُعَلِّقاً
والقاطنون بها لديّ المعشرُ
هم أحسنوا ظناً بشعري لِيَتَّهَمُ
عند الثناء عليه كانوا أقصروا
نظروا بعين ودادهم، فقلوبهم
عن غير ما صنع الهوى لا تنظرُ

إني أعيذك أن تظن كمثلهم
سفني على خوض القريض ستجسرُ
ما لي وللبحر العميق ، خِضْمُهُ
من قال إني في الخِضْمِ سَابِحْرُ؟
بعث الحنينَ خيوطه منسوجةً
من نوره ذاك السراج الأنور
من عمق أعماق السنين يردّها
في لوحة للحالين تُصوّرُ
أنا لن أحدثهم فتلك روائع
قلمي على تصويرها لا يقدرُ
ما يصنع الفنان؟ أيامُ الصَّبَا
حُلْمٌ فريدُ الصنع لا يتكررُ
من ذا يقلّد صنعةً جبارةً
قد صاغها الله البديع الأكبر؟

* * * *

حدثتني عمّا أحال شبابهم
(مَنْ ذا الذي يا عزّلاً يتغيّر؟)
تمضي السنون إلى الأمام وكلما
تمضي السنون فإننا نتأخّر
أما العهود فلا تزال طرية
فيها الشباب يبش بل يتأطر

حَدَّثْتَنِي يَا مَنْ أَعَزَّ صَدَاقَةَ
تَنَمُّوْا وَإِنْ هَرِمَ الزَّمَانُ تُعَمَّرُ
حَدَّثْتَنِي عَمَّا أَصَابَ مَعَاهِدِي
وَمَرَّاحَ أَيَّامِي إِذَا هِيَ تَزْهَرُ
* * * *

يَا حَبَّةَ الْعَيْنِ الَّتِي يَهْفُو لَهَا
قَلْبِي وَعَيْنِي وَالْحَنِينَ الْأَخْضَرَ
أُمُّ الْمَدَائِنِ أَنْتَ سَمَّاكَ الَّذِي
مِنْ بَيْتِهِ ظَهَرَ النَّبِيُّ الْأَطْهَرُ
لَا ضَيْرَ إِنْ صَنَعُوا لِمَجْدِكَ تَالِيًا
يَا حَبْذَا إِنْ جَدَّدُوا أَوْ طَوَّرُوا
حَدَّثْتَنِي فَأَثَرْتَنِي ، لَكِنِّي
رَغْمَ الْإِثَارَةِ عَنْ مَدَاكَ مَقْصَرٌ
الْأَنْدَلُسُ فِي ١٤٠٤/٧/٩ هـ
* * * *

إلى الأستاذ الشيخ عبدالله بن خميس

هذه الأبيات نظمت حينما كان سعادته مسؤولاً عن المياه في مدينة الرياض،
وانقطع الماء عن داري :

حينما يظماً الخميس فبشُرِّ
هُ بفيض الحيا أو ابن خميس
فله منهـلان : منهـل علم
وبديع من القريض النفس
وهو في منهـل المياه رئيس
أرحي أنعم به من رئيس

هـ ١٣٨٧/١/٢٧

* * * *

قطرة

مهدة إلى الشاعر الكبير الأستاذ محمد حسن فقي

نهلتَ فكان البحر مصدرك الهامي
فهل لي منك اليوم مصدرُ إلهام؟
ولست أجاري البحر ما دمتَ ندهُ
وقتا زُ - رغم العمق - بالمنبر السامي
ولكنني ، قد جئتُ أطلب.. قطرة
من الشاعر المغدقِ من بحرهِ الطامي
سأرجعها رَقَاقَةً حبةَ الندى
لتلثمَ خَدَّ الوردِ ، أو تُغْرِه الطَّامي
سأجعلها للنحلِ وردةً سوسنٍ
لترجعه في الشَّهْدِ ، بلسمَ أسقام
سأرسلها.. يا نسمةَ العطر رفرفي
أليس رسولُ الحبِّ ، رفرِفَ أنسام؟
أبلورها ، في جيد بيضاء - درة
على درة.. من منهما الصائدُ الرامي؟
وأنتَ مَعِينُ الدر ، لؤلؤهُ الذي
يباكرنا كال فجر ، كالزهر النامي
أرقرقها في جفن حوراء دمة
تألقُ في بشرى لقاء ، وتهيام

* * * *

ولا غَرَوْ.. إن الدمع عذب محبب
إِلَيْهِنَّ ، إذ يلقينَ فارس أحلام
وأسحبها من نغمة الطير هَزْجَةً
مرنحة ، قد تُسكرُ الطيرَ أنغامي

وأجمع من هذي وتلك هدية
من الود أزجيتها تحية إكرام
أيا شاعر الوجدان ، شعرك غابة
من الورد لا تنفك تزهو بأكمام
ولكن رأيت الوردَ يشرق بالندى
وتعلو ضياء الفجر كدرة إظلام
أرى نغمة الأحزان فيه شجيرة
ومن خلفها ، تحدو بها نفس لؤام
كفى يا جراح القلب، كفى أو أرفقي
فإنك جُزْتَ الحدُ فيضاً بآلام
رأيت الليالي عادة تدمل الجوى
فما لك لا تشفيك كرة أعوام
* * * *

حنانك لا يقوى على الشعر خاطري
ولا عذر ، هذا اليوم غرة أيامي
أرى فيه ركب الشعر مزدحم السرى
يمر على مضماره ، كلُّ مقدم
مشيتُ به ، لا خيلَ عندي ألزها
ولكن شفيعي يوم عرسك إسهامي
وهذا الزكي^(١) اليوم يجمع ورده
ليُضفره كالدر ، في مفرق إلهام
يكرم فيك الشعر والنثر قمة
يقصر عن أمدائها شوطُ إلهامي
الرياض ١٤٠٤/٨/١ هـ

* * * *

(١) المقصود بالزكي معالي الأستاذ أحمد زكي يماني الذي أقام حفل تكريم للشاعر الكبير ، جاءت هذه الأبيات من وحيه .

حقبة

هذه الأبيات العجلى ، تحية لشاعر الخميسية الأستاذ (أحمد سالم باعطب) الذي غادر الرياض إلى جدة بعد عشر سنوات من العطاء المتصل ، أمتعنا فيها بالكثير من شعره الفائق، وترك أرجه عطراً لا ينفد شذاه :

البنابيع - شعره - ما تغيضُ
يتزاحمن تالدٌ ، وغريضُ
والمعاني روافد تتبارى
في يديه ، فيستجيب القريضُ
فإذا رامها فجذ رفيع
وإذا سامها فلهو غضيضُ
هو في حالتيه ما حلق النسـ
رُ وأجواؤه الفضاء العريضُ
وهو في شعره الحديث صحيحُ
لا كمن شعره الحديث مريضُ
وأروماته الأصالة والد
ين، فلا مذهبٌ لديه بغريضُ
وإذا صاحب الخليل فخلُ
يصطفيه ، فيستقيم العروضُ

القوافي - حتى الأبيات منها -

طِيعَاتٌ ، جناحهنّ خفيضُ

ينتقي ذوقه الرفيعُ اللّالي

فإذا هنّ بهجة ووميضُ

خاض ما خاض في خضمّ المعاني

وجلاها ، فما عراها غموضُ

* * * *

فارس أنت والجواد أصيل

فامض ما شئت فالمدى مستفيضُ

وترنم فإن شـدوك لحنُ

يتشهاه ، معبدُ والغريضُ

إن تكن في (الرياض) فـ (الثغر) يشدو

مستعيداً ولم أقل يستعيضُ

وليالك مشرقات على (الثغـ

ر)، كما هنّ في الرياض البيضُ

وكما تغرس القريض غناء

تغرس الود ، نبعّه لا يغـيضُ

هـ ١٤٠٩/٥/٣

* * * *

عزاء

حينما توفيت والدتي - رحمها الله - تفضل الأستاذ العلامة الشيخ عبدالله المحفوظ بية بتعزيتي بهذه الأبيات :

ألا لله ما أخذ المنونُ
ومن يبقى بأحبها رهينُ
نعزّيكم ونعلم أن حباً
مفارقة الفؤاد ، به حزينُ
بأممكم الكريمة حين بانَتْ
يشيعها الشناء ولا يبينُ
لكم أجر وذخر إذ صبرتم
لها الفردوس منزله قطينُ
رجاء في الإله وما تولى
رجاء بالإله له قرينُ
* * * *

فقلت أجيبه وأحييه :
شكرت ، وكيف لي الشكر المبينُ
عزاءك إذ ترحلتِ الحنونُ
رجوت لها البقاء وذاك ظن
وكم لعبتُ بآمالي الظنونُ
وقد صبر اليقينُ ، فسان دمعي
وفي أعماقه يبكي اليقينُ
فقدت لفقدها صدرأ معيناً
ألوذ به ، إذا عزّ المعين
شكرتُ .. وقد دعوتُ: قدم سليماً
وحولك من تحب ومن تصون
* * * *

القسم الثاني من الديوان

الأغصان

حياة المعهد العلمي^(١)

حضرات السادة

لا أستطيع أن أصفَ ولو أوتيتُ بلاغة سحبان ، وفصاحة قس ما يخالَجُ قلوبنا ، وما يعتلجُ في نفوسنا ، من سرورٍ بالغٍ ، وحبورٍ عظيمٍ ، وابتهاجٍ فياضٍ ، سببُهُ شفاءُ حضرة مديرنا الجليل ، وإنَّ ما أوتيه فضيلته من خلقٍ ممتازٍ ومزايا جميلة ، حَبَّه إلى قلوبِ كلِّ عارفٍ وطلبتِه ، ولستُ أَجدُ أدلَّ على ذلكَ ممَّا ساورَ نفوسَ كلِّ من كانت له معرفةٌ بشخصيته من قلقٍ وانزعاجٍ إبَّانَ مرضِهِ وما إنْ بَلَغَ المسامعَ خبرُ شِفائه حتى سرى في قلوبِ الجميع تيارُ كهربائي من السرور والفرح العظيم فَحَلَّ الاطمئنانُ محلَّ القلقِ وتسَرَّبَ الابتهاجُ إلى مكانِ الانزعاجِ ، وإنَّ ما يبدو اليوم من احتفالٍ لشخصه المحبوبِ لمَظهرٍ بسيطٍ من مظاهر ذلك الفرح ، وإعلانِ ضئيلٍ عما تكنُّه القلوبُ من حُبِّ أكيدٍ وإجلالٍ وإكبارٍ .

شبابَ المعهد العلمي حيُّوا	مديراً ماله في الفضل ندُّ
سما بفعاله للمجد حتى	غدا علماً ، وفي الإصلاح فرد
فلا عجب إذا احتفلت قلوب	تُسَرُّ به ، لها بالبشر بُرد
وأخيراً أقول :	

لا زلتَ للنشئِ للعلباءِ ترشدهُ	فلا يعوقُكَ داءٌ عنه أوسامُ
«المجدُ عوفي إذ عوفيتَ والكرمُ	وزالَ عنكَ إلى أعدائكِ الألمُ»
أنتَ المديرُ رعاكَ الله من رَجُل	عنوائِكَ المجد ، أنتَ المفردُ العلمُ
أنتَ المرتَّبُ خدَمْتَ العلمَ فازدهرتَ	بِكَ المعارفُ والأخلاقُ والحِكمُ

* * * *

(١) من شعره عندما كان طالباً بالمعهد العلمي السعودي ، وقد تخرج فيه عام ١٣٦١هـ .

وقفت أناجي^(١)

وقفت أناجي النفس في غابة المنى ذهل كثير الهم قد شفني الضنى
أحدث أيامي ودهري بمحتني وأشكو تصاريف الزمان^(٢)
فيا أيها الطير المغني على الربى أتطيع تلقيط الثمار مع الغنا
وأنت غصون الروض قد هزه الهوى ^(٣)
وأنت منير الكون في فحمة الدجى أتطيع في حجب الحيا ترسل السنا؟
إذا كان هذا الكون لا يقتوي الضنى بوقت - فهل قد كنت أسطيعه أنا؟

* * * *

أنا أشكركم^(٤)

أنا أشكركم وأكبر فيكم رُوحَ فَنِّ قِيَلُ لِلتَّجْدِيدِ
ثم أرجو بأن يعود عليكم في صفاءٍ وغبطةٍ وسعودٍ

* * * *

(١) كتبت على ظرف رسالة بخط الشاعر مؤرخة في ١٣٦١/٥/٢٩ هـ.

(٢) غير واضح في الأصل، وأقرب قراءة (مع العنا).

(٣) هكذا في الأصل، لم يكمل الشطر الثاني.

(٤) كتبها على غلاف رسالة من صديقه إبراهيم فطاني في ١٣٦١/٩/٢٨ هـ، ويظهر أن الرسالة كانت

تهنئة بالعيد.

صورة^(١)

ورفت عليه المنى الزاهره	تبسم في وجنتيه الشباب
شعاعه نور الصبا الباهره	ورق على صفحتيه السنا
فأكرم بأنفاسه العاطره	وأنفاسه كالأريج الزكي
وتُهدي الهوى نظرة عابره	تُشع بنور الهوى ناظره
فتعنو القلوب له صاغر	يصيد القلوب على جهرة
م يهوى به البسمة الناضره	وفي راحتيه فؤاد المتي
تقبلها ديمة خاطره	هفا كالنسيم على زهرة
ل ويهوى بها روحها الطاهره	يقدس فيها نقاء الجما

* * * *

وريق ألفاظه الساحره	وكم قد سباه دلال الحديث
توقعها نغمة ساخره	وكم قد تصبته سخرية
تزوده قوة شاعره	وكم أوجت الشعير إيماء
إذ الهجر آسى بلا آخره	وكم حبب الوجد زوراته

* * * *

ومن صدره آهة صادرة:	وبالغ في الوجد حتى يقول
وروحى فدا روحه الطاهره	فؤادي فؤادي ذوبته

* * * *

(١) يعود تاريخها لسنة ١٣٦١هـ، أو ١٣٦٢هـ، هذا ما كتبه الشاعر في ذيلها بخط متأخر.

نـاي الـراعي^(١)

طربت لـنايك خُلبُ الأحلام	وتراقصـت نشوى على الأنغام
وتمثلت رؤيا السعادة حلوة	بعثت لشدوك جلوة الإلهام
وتمايلت أغصان روضك غضة	في لين عطفٍ واتساق قوام
وتلاعبت نسم الربيع لطيفة	نقلت غناءك في الفضا المترامي
وتطلع الزهر الزكي ببسمة	فانعم بطلعة زهرك البسام
والورق تسترق اللحون شجية	والبلبل الصيداح في أحلام
أبدعت فنك فاستساغ بديعه	وشدا يردّد لحنك المتسامي
والجدول الرقراق أصغى ماؤه	والطل توجّ زهره بوسام
ومشى قطيعك مثل لحنك وقّعـه	أفـما رأيت تولّه الأغنام!

* * * *

وامنّ فـقلبك مفعم بهيام	أبدع كما شاء الهوى لوعاته
في لحن نايك من هوى وغرام	الحسن أفرغ فتنة معسولة
وندت بسحرك غفوة النوام	أفما رأيت الحقل يصغي سمعه
عرف الهوى من مبدع الأنغام	وتلفتت أكوان مرعاك الذي

* * * *

(١) لم يكتب عليها تاريخ، ولكنها كتبت على ورق مماثل للورق الذي كتبت عليه قصيدة «صورة» السابقة، التي أرخها الشاعر بعام ١٣٦١هـ، أو ١٣٦٢هـ.

ربى المثناة^(١)

يا ربي المثناة يدعونني إليك
والعصافير التي حامت عليك
خضرة نضراء تكسو واديك
والأزاهير التي في جانبك

* * * *

ما أحلى الزهر في تلك الروابي
وغناء الماء عند الإنسياب
ما أحلى النسيم في تلك الروابي
واخضرار العشب في تلك الهضاب

* * * *

غسل الطل تويجات الزهور
وشدا الفلاح في صوت جهور
وانتشى الغصن بأنغام الطيور
يتغنى مرحاً عذب السرور

* * * *

مجلس في الربوة الخضراء كانا
بين زهر فاح أو طير شجانا
يجمع الفتنة ألواناً حسانا
يوقع الأنغام فناً وافتنانا

* * * *

رفرف العشب عليه فكساه
وبدع الزهر تاهت جانباه
سندسياً يتصبى من رآه
كل ما يسبك في الحسن حواه

* * * *

ذكريات ما أحيلها وأحلى
ونسيم رق مسراه وعلا
غصن مال وثمر قد تدلى
عز - من أبدع يا روض - وجلا

* * * *

(١) بالنسبة لتاريخها مثل قصيدة «نابي الراعي» السابقة . المثناة: مكان بالطائف.

إِلَى الْغَصَنِ الْأَسْمَرِ

إِلَى .. غُصْنِي الْأَسْمَرِ النَّاضِرِ
إِلَى بَهْجَةِ الشُّعْرِ وَالشُّبَاعِرِ
إِلَى نَافِثِ السُّحْرِ لِلْسَّاحِرِ
إِلَى الْأَمَلِدِ الْفَاتِنِ الْقَاهِرِ
إِلَى شُعْلَةِ الْقَلْبِ وَالْخَاطِرِ
إِلَى نَوْرِهِ الزَّاهِرِ الْبَاهِرِ
إِلَى مُتَعَةِ السُّرُوحِ وَالنَّاطِرِ
إِلَى الْمَلِكِ الْنُّبَازَةِ الطَّاهِرِ

* * * *

إِلَيْهِ .. الدُّمُوعُ التِّي أُسْكَبُ
وَقَلْبُ هُوَ الطُّلُّ بَلْ أُذَوَّبُ
جَرِيحٌ وَلَكِنَّهُ .. طَيِّبُ
بَصُونُ الْوُدَادِ وَلَا يَكْذِبُ

* * * *

إِلَيْهِ التِّي فِي السُّنَا تَائِهَةٌ
إِلَى مَآوَاءِ الدُّنَى شَادِهَةٌ
إِلَيْهِ بِرُوحِي ، بِكَ الْوَالِهَةٌ

* * * *

إِلَيْكَ بِرُوحِي وَشِعْرِي إِلَيْكَ
فَشِعْرِي وَرُوحِي عَلَى رَاحَتِكَ

مكة المكرمة ١٣٦٣/٢/٢٠ هـ

لَا تَأْسَ (١)

وَجِدَّةٌ فِي إِهَابِي	هَرِمْتُ رَغَمَ شَبَابِي
دَقَنْتُ بَيْضَ الرُّغَابِ	مَا بَيْنَ سُودِ اللَّيَالِي
تَشَوُّقِي وَارْتِقَابِي	سَجَنْتُ بَيْنَ ضُلُوعِي
مُحَلِّوْكَأْ كَالْغُرَابِ	أَرَى حَيَالِي لَيْلًا
مَبْدُدٌ فِي الْيَبَابِ	وَالْأُمْنِيَّاتُ كَالْ
أَكْذُوبَةِ كَالسُّرَابِ	مَا لِلْفَضَائِلِ أُمْسَتْ
فَرِسَةٌ لِلذُّثَابِ	كَأَنَّهَا النَّبْلُ أَضْحَى
رَمَزَ الْعُلَا الْمُسْتَطَابِ	يَا لِلْخَدِيعَةِ عَادَتْ
لِلْخَادِعِ الْكَذَّابِ	كَأَنَّمَا الْفَوْزُ وَقَفَ
إِلَّا سَوَادَ الْكِتَابِ	سَأَيْتُ لِمِ الْقَسَاوِي
وَدَعِ طَنِينَ الذُّبَابِ	يَا قَلْبُ لَا تَأْسَ مَهْلًا
مَا فِي غَدٍ مِنْ عُجَابِ	ابْسَمِ لِيَوْمِكَ وَأَرْقُبْ

مكة المكرمة ١٣٦٥/٧/١٤ هـ

* * * *

(١) نشرت في العدد السابع ، السنة الرابعة من مجلة الحج ربيع الأول ١٣٧٠ هـ

مع البلايل

هذي الأغاريد أذكت وجدي الخافي
وأرجعت - في حنو - شوقي الغافي
وأرسلت ذكرياتي بعد ما كمنت
لأ لئلاً حرة ضاقت بأصدافي
وشعشت روعي الولهي - على نغم
سرى مع النبع في رقراقه الصافي

* * * *

هذي الأزاهير ترنو في أمالدها
تواقية السمع - في شوق وتلهاف
تكفكف الطل من أجفانها فرحاً
من بعد أن دمعت في فجرها الضافي
ناحت لسانية - في الفجر - باكية
والزهر في الروض مشبوب الهوى - وافي

* * * *

أما الغصون فقد أشجى مسامعها
لحنٌ من الطير - صداحٍ وهتاف
حتى إذا الشوق ألقى من بواعثه
تراقصت بين مياس وهفاه

* * * *

يا للغصون إذا جاشت عواطفها
هزت قلوباً - إذا مالت بأعطافِ

* * * *

في مسمعي من أغاني الطير أغنيةُ
مذياةُ السر عن زهر وأفوافِ

مكة ١٣٦٥/٧/٢٠هـ

* * * *

مَا كَانَ ضَرًّا

يا ظبيّة يسّبي هواها	واسبيتُ قلبي من نواها
بيضاء غذاها النعيمُ	وتبّعهُ الصّافي سقاها
كالوردةِ النضراء تز	هو بالجَمال على سواها
ضمتُ إلى البض الرقيـ	ق حلاوةً وشئتُ صباها
في رِقّةٍ تُغري وتسُد	بي كل زهادٍ يراها
إن أنعمتُ أشجعتُ قـلـو	بأضيّعتُ عنها نـهاها
إن خطرتُ كانتُ نسيـ	ما في الرّبي جابتُ رباها
إن نظرتُ صادتُ سكا	رى حُسنها أسرى هواها
ما كان ضـرًّا إذا بثـثـ	ت الحبّ لكنّ في لهاها

الطائف ١٣٦٥/٨/٢ هـ

* * * *

جَنَّار

زهرة الرمان من أين لك؟
أترأه البدر قد قبلك
أحديث الوجد من منهلك
قد وشى الغصن بمن أخجلك
انظريه في الهوى من أجلك
حمرة الشجر ولون الشفق
فبدا منك احمرار الشفق
ذوب الأشواق شأن الشبق
بالنسيم الحلو عطر العبق
راح معلول السرى والخفق

* * * *

إيه يا ذات الرداء الأحمر
من سقى ثغرك ربا المسكر
فعلت خدك نار المخمر
زوت النسمة ذات العطر
من خفايا الليل - شوق القمر
أنت يا بنت الربى والجدول
من عصير الشمس إذ لم تأفل
ومشت في الغصن نشوى الثمل
- من أحاديث الهوى والغزل
ونجاوى الفجر شجوا البلب^(١)

الطائف ١٣٦٥/٨/٧ هـ

* * * *

(١) شوق : مفعول به لزوت.

الياسمينة

الياسمينة لونها يغريني وجمالها وأريجها يسبيني
نضراء آخاها البكور وقبلت ثغر الندى في لهفة وحنين
الفجرُ غذاها الضياء فأخرجت بيضاء أسحرَ من بنات العينِ
والطلُّ يسقيها الرحيقَ معتقاً من مزنة شفافة التلوين
والنسمة الهيفاء عطرت الربى من حولها بأريجها المكنونِ

* * * *

نشوى يداعبها النسيم فتثنني دلاً فتبعث حسرة المسكينِ
يسري كأن الوجد في أحشائه علل تمزق صبره بجنونِ

* * * *

الياسمينة ما أدق جمالها أعظم بدقة مبدع التكوينِ
يا زهرة الحسن البديع تحذني عن حسنك المرموق ملء عيوني
يا زهرة العطر الزكي تفضلي فاهدي الأريج لمدنف مفتونِ

الطائف ١٣٦٥/٨/٢٨ هـ

* * * *

(١) شهر: وادٍ بالطائف.

حريق دار العرب

في يوم ١٧ رمضان عام ١٣٦٥هـ احترقت دار يسكنها جزء من « أسرة العرب » المعروفة في الطائف ومكة ، وقد ذهب ضحيتها سبعة نفر غير الصغار ، وسوى الذين كانوا على وشك الموت . وقد انبعثت النار بعد إخمادها في يوم ١٨ منه .

سل الدموع غزاراً في مآقينا
يا رحمة الله طوفي وانزلي سكناً
لولا بقية تثبيت يخامرنا
عن روعة الخطب مذ حلت بوادينا
أن كادت اللوعة السوداء تردينا
أودى بنا جزع ما انفك يشقينا

* * * *

سل الوجوه على صفحاتها أثر
سل العيون التي لولا المصاب لما
سل المصيف الذي غنت بلابله
بل أرسلت شجوها تطفئ بواعثه
تطالع الحزن عنواناً له فينا
ذرفن أدمعها نبكي وتبكيها
ما بالها اليوم أضحت لا تغينا
تزيدنا شجناً من بعد مشجينا

* * * *

سل اللهب يدار القوم روعهم
بلا فح ترك الأحلام طائفة
تساقطوا للثرى يرمي لهم أمل
لا « المطفئ » المرتجى تجري طلعبته
سلوا الثراء عريضاً في مرابعنا
هذا هو الشح يا قومي عواقبه
وهم نيام فأصلاهم مضحيننا
حيرى فلا منتحي يرجى فينجوننا
وما دروا أنهم قد صادفوا الحيننا
كلاً ولا سلم للروع يرجوننا
عن المصاب فهل ضلّت نواحيننا
فلو بذلت لما كنتم شحيحينا

* * * *

أهل المصاب عزاء في مصابكم
إن كان فقدكم كثيراً فأجركم
إن الشهيد سعيد في رياحيننا
على الكفاء... وطوبى للشهيدينا

١٣٦٥/٩/١٧هـ

* * * *

نشيد الجامعة

دخل مسابقة الأناشيد للجامعة العربية

نهضة يهتز منها العالمُ
تبهر الدنيا، فيجثو الظالم

* * * *

نهضة تسترجع المجد القديم
وتعيد العز مزهواً عظيم
نهضة بالعلم في عصر العلوم
تكشف الآفاق ترتاد النجوم

* * * *

نهضة يهتز منها العالم
تبهر الدنيا فيجثو الظالم

* * * *

نهضة بالخلق السامي النبيل
عزٌ من يتخذ الخلق الدليل
إنما الأخلاق للمجد سبيل
هكذا التاريخ والدهر يقول

* * * *

نهضة يهتز منها العالم
تبهر الدنيا فيجثو الظالم

* * * *

نهضة تحطم أنواع القيود
ترهب البغفي بأجناد أسود
يطلبون الموت في ظل البنود
هم قعساء لا ترضي الجمود

* * * *

نهضة يهتز منها العالم
تبهر الدنيا فيجثو الظالم

* * * *

نهضة صادرة من كل روح
تقلأ الجو - على الطير - صروح
وتحيل البحر أسطولا جموح
فبغير المجد لا يرضى الطموح

* * * *

نهضة يهتز منها العالم
تبهر الدنيا فيجثو الظالم

* * * *

نهضة تبعث للدنيا العجب
نهضة ترفع للعليا العرب

نهضة مخلصه تنفي الكرب
وحدة الضاد لها نعم النسب
نهضة يهتز منها العالم
تبهر الدنيا فيجثو الظالم

* * * *

عودة للدين فـالدين سنا
شادت العرب به أمجادنا
جمع الأخرى مع الدنيا لنا
وبه فزنا بأسباب المنى

* * * *

نهضة يهتز منها العالم
تبهر الدنيا فيجثو الظالم

مكة المكرمة ١٣٦٦/٥/١٧هـ

* * * *

غَضَبَةٌ^(١)

يَا فِتْنَةً طَرَقْتَ بَعْدَ النُّوَى بَابِي
أَوَاصِرُ الْحُبِّ بَعْدَ الْهَجْرِ وَالصَّابِ
لَا تُزْعِجِيهِ بِآلَامٍ وَأَوْصَابِ
وَلَسْتُ أَبْكِيهِ، دَمْعِي غَيْرُ مَسْكَابِ
يَعِثُ فِي قَلْبِي الْوَاهِي عَلَى مَا بِي
وَأَنْتِ كَدَرْتِ بِالْأَقْدَاءِ أَكْوَابِي
وَسَتَّثِيرُ جَوَى قَلْبِي وَأَعْصَابِي
وَلَا سَرَى حُلُمٍ يَجْتَازُ أَعْتَابِي
وَابْكِيهِ مَا شِئْتَ دَمْعًا غَيْرَ كَذَابِ
عَفْءٌ وَقَلْبٌ نَقِيٌّ غَيْرُ مُرْتَابِ
مِنَ الْهُبُوطِ إِلَى أَغْوَارِ أَوْشَابِ
أَنْتِ الصَّبُورُ عَلَى وَجْدِي وَأَتْعَابِي
حَتَّى رَضَيْتُكَ مَنًى دُونَ أَحْبَابِي
وَقَدْ مَنَحْتُكَ إِكْبَارِي وَإِعْجَابِي
مَكَّةُ الْمَكْرَمَةِ فِي ١٨/٧/١٣٦٦ هـ

لَا تَفْرَعِي، بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ مُحْرَابِي
إِلَيْكَ عَنِّي فَمَا عَادَتْ لِتَرْبِطُنَا
إِلَيْكَ خَلِي فُوَادِي فِي سَكِينَتِهِ
سَأَقْتُلُ الشُّوقَ فِي صَدْرِي وَأَذْفُنُهُ
كَفَى الْجُرُوحُ الَّتِي مَازَالَ عَاصِفُهَا
سَكَبْتُ فِي كَأْسِكَ الْأَشْوَاقَ صَافِيَةً
ذِكْرَاكِ عَادَتْ شَجَى مُرًّا يُورِقُنِي
مَا عَدْتُ أَرْضَاكَ وَهَمًّا عَابِرًا لَبَقَا
لَا تَرْقُبِي عَهْدَنَا مِنْ بَعْدِ ضِيَعَتِهِ
مَا كَانَ أَحْرَاكِ أَلَّا تَعْبَثِي بِهِوَى
مَا بَيْنَ جَنْبِي خَفَاقَ أَكْرَمُهُ
كَمْ ذَا أَهْذَهْدَ آلَامِي وَأَوْهَمُهَا
يَا كِبْرِيَانِي، تَرَى هَلْ أَنْتِ سَاحِرَتِي
رَضِيتَ فِيكَ حَيَاتِي فِي تَرْفَعِهَا

* * * *

(١) نشرت في العدد ٨١٥ من البلاد السعودية ، ٤ رجب ١٣٦٨ هـ ، بتوقيع شاعر الأغصان.

ليهنك العيد

أمس هو أول يوم في عيد الفطر^(١)، وكان فضيلة مدير المعارف قد دعاني مع بقية موظفي المكتب صغيرهم وكبيرهم إلى طعام الفطور لدى فضيلته بعد صلاة العيد، وقد لبينا الدعوة جميعنا، وبعد الشاي والقهوة قدمت لفضيلته بعض أبيات تهنئة بالعيد، وها هي ذي الأبيات وقد قدمتها بهذه المقدمة النثرية (أرفعها مع أسمى عبارات التبريك والتهنئة إلى حضرة صاحب الفضيلة والسعادة العلامة الأجل الشيخ محمد بن مانع مع احترامي وإجلالي):

ليهنك العيد بل فليهنأ العيد	بمثلكم يزدهي عيد وتعييد
ما روعة العيد تضى في زخارفه	بل روعة العيد يضيفها الأجويد
هم يسحبون على الأعياد بهجتها	فهم لها رونق يزهر وتمجيد
وأنت أنت بهاء لا مرأ به	للعيد زانك أخلاق وتوحيد
فدم مع العيد تجلو من محاسنه	يظلك السعد موفور وممدود
صفو النفوس بطول العمر حالبة	أيامه كل يوم بينها عيد
من كان في علمكم، في مثل سيرتكم	لا غرو إن سيّرت فيه الأناشيد
الصوم من قبل مبرور بطاعتكم	والعيد من بعد في ناديك محمود

* * * *

(١) أخذت من مذكراته، وقد كتبها مساء الاثنين ١٠/٢/١٣٦٦هـ.

كل المفاخر

كان مما دار بيني وبين الشيخ ابن مانع سؤاله عما إذا كنت أجيد الكتابة على الآلة الكاتبة ، فقد عرفتها ولكنني لم أمهر فيها وقد طلب إلي أن أريه نموذجاً من كتابتي فيها وعرض أن أكتب بعض أبيات من شعري بها.. وقد نظمت هذه الأبيات في صباح هذا اليوم^(١).

كل المفاخر تمضي	عن الحياة وتنفض
إلا العلوم فإن الـ	علوم مجدد مخلد
تسقي ابنها الشهد صفواً	من ذاقه سوف يرشد
تعطيه ذكراً جميلاً	على الليالي مجدد
فذا ابن مانع فيها	«محمد» ومجد
يقود جيلاً جديداً	إلى المعالي مسدد
حاز المعارف حتى	مشت إليه لتسعد

* * * *

(١) أخذت من مذكراته، يوم الاثنين ٢/١٠/١٣٦٦هـ، وقد وضعنا لها هذا العنوان.

يا نبيل الإخاء^(١)

في يوم الخميس ١٩/٢/١٣٦٧هـ. حينما كنت في طريقي إلى الإدارة قابلني رسول من الأخ ياسين العظمة وأسلمني ظرفاً وجدت داخله بطاقة مكتوباً فيها:

أهو الحب أم أردت التناهي	أم هي الخمر من لمى الحسناء
أسكرت قلبك الكريم وأنست	ذكريات الصفا وعدّ الإخاء
فتخيرت غيرنا من رفاق	ملكوا منك موطناً للوفاء
والذي أرتجيه منك وصالاً	فبرب السماء أقبل رجائي

وكان هذا على إثر تغيبني عن زيارة آل العظمة مدة طويلة لانشغالي، وقد فكرت في الجواب وكتبته في العصر في البلاد السعودية:

لا أداجيك يا نبيل الإخاء	في اعتذاري وفيك جم الرجاء
أنت أدرى بأن لي بين جنبي	كبداً مشرباً بحب الوفاء
لم تكن غيبتي لحب قلبي	من زحام الحياة في إغفاء
والهوى مثل ما علمت بلاء	جاحم عاصف وأي بلاء
وهوى الغيد شاغل يلاً القلب	ببمعنى ينثو عن الشعراء
كيف بالله تبتغيني محبا	والفؤاد المسكين في برحاء

* * * *

(١) أخذتها من مذكراته، وقد وضعنا لها هذا العنوان.

إيه لم أنس ذكريات صفاء
قد شرينا بكأسها أعذب العم
لا ولا كان في ملال فإني
لا ولا اعتضت غيركم من رفاق
إنما كانت المشاغل تترى
هي أسباب غيبتني واحتجابي
أمتعتنا .. أشهى من الصهباء
— ونرجو لها امتداد البقاء
مودع عندكم هوى الأصدقاء
أين مني مثالكم في الإخاء؟
والنواميس تلك ذات المضاء
لا ملال ولا هوى أو تنائي

* * * *

دنيا شاعر^(١)

ما كنتُ أحسبُ أنْ يطولَ تدلّهي
أو أنْ يَظُلَّ الشوقُ يُلْهبُ أضلعي
أو أنْ تَظُلَّ على فمي محمومةٌ
أو أنْ تَظُلَّ خواطري مسحورةٌ
أو أنْ تَظُلَّ الذكرياتُ خوالداً
أنا يا حبيبُ، لطيبِ عهدكِ ذاكرُ
أنا منْ عصرتُ لأجلِ حبكِ خافقي
أنا منْ أحالكِ في الدُّنَى أنشودةً
فبمن أجال على عيونك فتنةً
أفكلُّما أرسلتُ قلبي آهةً
لملمتُ أذيال الدُّلال وقوَّضتُ
ومضيتُ لا ترثي لمنْ حطمتَه

في مقلتيك وأنْ تذوبَ محاجري
والضَّمَّةُ البيضاءُ شُعلةُ خاطري
تلكَ الثمالةُ منْ طلاك الساحرِ
تهفُّو لبردٍ منْ حنانكِ غامرِ
فيها أريجٌ منْ هَواكِ العاطرِ
ولئن نسيتَ ولم تعد بالذاكرِ
وسفحتَه دَمْعاً يذوبُ بناظري
ستَظُلُّ في الأسحار سلوى الساهرِ
حوراءَ، لا تعصفُ بقلبِ حائرِ
منغومةٌ ذهبتْ حديثَ السامرِ
آمالي الزهراءَ نظرةً ساخرِ
وهمستُ : هذا الوهمُ دنيا شاعرِ

١٢/٥/١٣٦٧ هـ.

* * * *

(١) نشرت في مجلة الأديب البيروتية في الجزء السابع من السنة الثامنة الصادر في تموز ١٩٤٩ م في ص ٤٨.

وهبتك

مشروع قصيدة مجهولة التاريخ والعنوان ولكنها غالباً تعود إلى عام ١٣٦٦هـ أو بعده بقليل^(١):

وهبتك عند احتدام الغرام	فؤاداً يضح بأشواقه
وأحرقته في أتون الهيام	وكنتُ السعيدَ بإحراقه
أحبُّكَ ملء ضلوع الحنين	هوى يستبدُّ بأعماقه
وأوشك لولا الحياء الكمين	يبيع الدموع لآماقه
وهام.. كما يذهل العاشقون	تشيع الشجونُ بآفاقه

* * * *

(١) هذا ما كتبه الشاعر بخطه، وقد وضعنا لها العنوان أعلاه.

وا عجبني

سَلِيّ واعْجَبِي كَيْفَ جَدَّ الزَّمَانُ
عَلَى دَرِيهِ مِنْ شَهِيّ الْفِتُونِ
مَشِيْتُ .. فَطَالَ عَلَيَّ الطَّرِيقُ
لِمَاذَا ؟ ! لَأَنَّ الْحَيَاةَ الْغُشُومَ
وَكُنْتُ عَلَى جَدِّهِ الرَّاسِبَا
وَلَكِنِّي لَمْ أَزَلْ سَاغِبَا
وَعَدْتُ - عَلَى خِيْبَتِي - وَاصِبَا
تَجَامَلُ - مِنْ أَهْلِهَا - اللَّاعِبَا

١٣٦٧هـ

* * * *

حُلُوة الوَطْفَيْن^(١)

أَسْرَى إِلَى حِلْمِهِ مِنْ طَيْفِهَا وَعَدُ
أَغْفَى عَلَى جَفْنِهِ ، فَاسْتَيْقَظَ السَّهْدُ
يَالَيْلُ إِنِ طَلْتَ بِي ، فِي الْفَجْرِ تَسْرِيَةً
يَا فَرَطَ رِقَّتِهَا ، يَا فَجْرُ ، يَانِدُ
مَهْلًا فَمَا أَنْتَ نَدَاءُ ، أَلْفَ مَعْذِرَةٍ
إِلَيْكَ يَا حُلُوةَ الْوَطْفَيْنِ .. يَا هِنْدُ

* * * *

(١) الوطفين : الوجنتين ، ولم يكتب عليها تاريخ، وأرجع أنها تعود لعام ١٣٦٦هـ، أو ١٣٦٧هـ
كالقطوعتين قبلها.

مَعَ الْأَغْصَانِ^(١)

عَلَى مُقْلَةٍ الزَّمَنِ الْغَافِيَةِ
رَمْتُهُ عَلَى مِنْكَبِ زَاهِيَةٍ
وَفِي مَسْمَعٍ مِنْ جَوَى السَّائِيَةِ
فَتُرْسِلُ أُنَاتَهَا .. وَانِيَهُ !
مِنَ الدُّوْحِ عَطَافَةٌ حَانِيَةٍ
تُرَدِّدُ أَلْحَانَهُ لَاهِيَةٍ
يُذِيبُ الْحَنِينَ عَلَى الْقَافِيَةِ

هُنَاكَ .. هُنَاكَ عَلَى الرَّابِيَةِ
عَلَى سُنْدُسٍ مِنْ وَشَاحِ الْهَضَابِ
عَلَى مَقْرَبٍ مِنْ حَقَافِي الْغَدِيرِ
يَكْذُوبُ الْحَنِينَ بِأَحْشَائِهَا
هُنَاكَ .. عَلَى ظِلِّ هَفْهَافَةٍ
عَلَى نَعْمٍ مِنْ نَشِيدِ الطُّيُورِ
هُنَاكَ .. التَّقَى شَاعِرٌ مُبْدِعٌ

* * * *

مَعَانِي الْخُلُودِ عَلَى عِطْفِهِ
فَمَالَتْ بِهِ الْخَمْرُ مِنْ لُطْفِهِ
يَبُثُّ الْغَدِيرَ جَوَى لَهْفِهِ
وَتَرْجِعُ وَالشُّوقُ فِي عُنْفِهِ
فَذَابَ عَلَى الزُّهْرِ مِنْ رَجْفِهِ
وَقَدْ أَسْفَرَ الْوَرْدُ عَنْ شَفِّهِ
وَيَرْجِعُهُ الرُّشْدُ عَنْ قُطْفِهِ !

بَغُضْنٍ مِنَ الْخُلْدِ .. رُقَافَةٍ
سَقَاهُ الْجَمَالَ طِلَا نَبْعِهِ
تَمَاسَّ ثَمْلَانِ .. فِي رَقْصَةٍ
تُعَانِقُهُ النَّسَمُ الْعَابِرَاتِ
وَبَرَّحَ بِالطَّلِّ تَحَنُّنُهُ
ثَوَى الشَّاعِرِ الْعَبْقَرِيِّ الرَّؤْيَى
تُنَازِعُهُ عَاصِفَاتُ الشُّبَابِ

١٣٦٧/٦/٧ هـ

* * * *

(١) عندما كتبها لأول مرة سماها «لقاء» ثم كتبها مرة ثانية بالعنوان أعلاه.

لَمَنْ ؟ !

عَلَى وَجَنَةِ بَضَّةٍ سَاحِرَةٍ ؟
لِيَالِيهِ فِي سَعْدِهِ سَاهِرَةٍ
تَهْدِهِ يَدُهُ النَّاضِرَةِ
وَالْبَيْتِ كَعَهْدِي بِهَا غَادِرَةٍ

* *

وَتَرْجِعُ أَشْوَاقُهُ عَائِرَةٍ
وَتَرْسُو عَلَى صَخْرَةٍ قَاهِرَةٍ

* *

فَإِنْ لَهَا غَضَبَةٌ ثَائِرَةٍ
فَإِنْ الرَّبِيعَ رُؤْيَ عَابِرَةٍ
فَأَنْبَابُهَا فَظَّةٌ جَائِرَةٍ
فَأَيَّامُهُ هَشَّةٌ خَائِرَةٍ
وَأَنْ تَأْفَلَ الشُّعْلَةُ الْبَاهِرَةِ
تُعَذِّبُهُ رُوحُكَ .. الطَّاهِرَةِ

* *

وَفِي شَفْتِي لَهْفَةٌ حَائِرَةٍ
وَأَخْنَقُ أَتَاتِي الصَّادِرَةِ

* *

أُتَرْجِعُ أَيَّامُكَ الْغَابِرَةِ
وَبُقْيَا أَحَادِيثِهِ السَّاخِرَةِ

لَمَنْ هَذِهِ الْقُبْلَةُ الْحَائِرَةُ
لَأَيِّ فَتَى عَبْقَرِي الْحَظُوظِ
نَمًا وَاطمَآنُ بِحُضْنِ الزَّمَانِ
لَأَيِّ فَتَى؟ لِيَتْنِي كُنْتُهُ،

* *

يَطُوفُ عَلَى وَجَنَتِكَ الْفُؤَادِ
أَمَانِي تَطْفُو عَلَى مَوْجَةِ

* *

أَخَافُ عَلَيْكَ ازْدِحَامَ الْقُلُوبِ
وَأُخْشَى عَلَيْكَ ذَبُولَ الزُّهُورِ
وَأُخْشَى عَلَيْكَ شِرَاهَ الذُّنَابِ
وَأُشْفِقُ مِنْ خَطَوَاتِ الزَّمَانِ
أَخَافُ عَلَيْكَ انْطَوَاءَ الضُّبَايَا
فَرَفَقًا بِهَا وَبِقَلْبِي الَّذِي

* *

أَحْسُ بِجَنْبِي لَذْعَ الْحَرِيقِ
فَأَكْتُمُ نَفْسِي سَيْلَ الشَّجُونِ

* *

تُرَى أَنْتِ يَا ذِكْرِيَاتِ الْهَوَى
عَلَى مَسْمَعِي قَهْقَهَاتِ الزَّمَانِ

بَيْنَ الرَّمْلِ .. وَشَوْشَةٍ^(١)

بَيْنَ رَمْلٍ الْمَسِيلِ .. رَمْلٌ تَمْنَى
لَوْ يَمُرُّ الْحَبِيبُ .. فَوْقَ صُدُورِهِ
وَلَكِّمْ وَدَّ .. لَوْ يَكُونُ لَهُ النُّطْقُ
فَيَشْدُو .. بِلَا عِجَاتٍ ضَمِيرُهُ
وَلَكِّمْ وَدَّ .. لَوْ يَقُومُ إِلَى الرُّوضِ
فِيهِدِي الْحَبِيبَ .. أَزْكَى عَيْبَرِهِ
وَدَّ لَوْ جَالَ فِي الْمَغَانِي .. وَيُهْدِي
مِنْ جَنِّي الرُّوضِ .. بَاقَةَ مَنْ زُهِورِهِ

* * * *

قَالَ رَمْلٌ لِحَارِهِ الرَّمْلُ : وَيَحْيِ
مَا تَرَى حُسْنَهُ .. سَبَانًا .. بِنُورِهِ
بَعْضُ أَعْطَافِهِ .. تَمِيلُ إِلَى بَعْضِ
فَهَلْ هَامَ عِطْفُهُ .. بِنَظِيرِهِ ؟
وَعَلَى ثَغْرِهِ الْجُمُوعُ .. رَقِيفُ

(١) نشرت في العدد ٧٤٧ من جريدة البلاد السعودية الصادرة في ٢٤ شوال ١٣٦٧ هـ تحت توقيع شاعر الأغصان . وج : وادٍ بالطائف .

أُرْقِصْتُهُ .. خَمَارُهُ مِنْ عَصِيْبَةٍ
مَا عَلَى الْعَاشِقِ الْمَحِبِّ .. إِذَا غَنَى
بِحُسْنٍ .. يَحَارُ فِي تَصْوِيرِهِ

* * * *

أَنَا أَخْشَى مِنْ أَنْ يَكُونَ عَلَى الرُّمْلِ
بَقَايَا .. مَتَتِيْمٌ .. وَشُعُورِهِ
شَاعِرٍ .. جُنُّ بِالْجَمَالِ قَدِيْمًا
وَهُوَ مَا زَالَ مَوْلِعًا بِنَضِيْرِهِ
شَفَّهَ سَابِقَ الْغَرَامِ .. وَمِمَّا تَابَ
عَلَى رَغَمِ مَوْتِهِ .. وَدُثُورِهِ

* * * *

يَا حَبِيْبِي .. هَذَا الصُّبْحُ تَمَطَّى
فِي الرُّوَابِي .. وَأَنْسَلُ بَيْنَ سُتُورِهِ
رَشَفَ الْفَجْرِ خَمْرَةَ اللَّيْلِ حَتَّى ..
أُثْمَلْتُهُ وَأَثْقَلْتُ مِنْ مَسِيْرِهِ
رَاحَ نَشِيْوانٌ ، وَالرُّوَابِي تُغْنِي
بِالْعَنَادِيْلِ .. سَادِرًا فِي غُرُورِهِ
وَعَلَى مَوْجَةِ الْغَدِيرِ نَشِيْدٌ
رَدَّدَ الشَّاطِئَانِ رَجْعَ خَرِيْبِهِ
قَبْلَ الْمَوْجِ جَبْهَةً الشَّطْرِ وَلَهْانَ
وَصَّاحَتْ أَشْوَاقُهُ .. فِي هَدِيْرِهِ

وعلى راحة السُّبُوبِ .. غُصُونُ ..
جِدْ تَوَاقَّةً لِحَسَنِهِ .. نَمِيرُهُ
* * * *

يَا حَبِيبِي، مَقَاتِلُ الْكَوْنِ وَسُنَى
مِثْلَ لَحْظٍ سَحَرْتَنِي بِفَتْوَرِهِ
* * * *

قُمْ إِلَى الرُّوضِ قَدْ دَعَتْنَا أَغَانِيهِ
نُشَاطِرُهُ فِي حُمُومٍ سُرُورُهُ
مَا عَلَيْنَا إِذَا مَرَحْنَا عَلَى الرُّوضِ
فَعُمُرُ الشُّبَابِ .. عُمُرُ طُيُورِهِ
وَالسُّعَادَاتُ خَلَسَتْ تَتَأْتِي
وَحَيَاةُ الْفَتَى .. حَيَاةُ حُبُّورِهِ
الطائف، في شوال عام ١٣٦٧هـ

* * * *

الحُبُّ والشُّعْلَةُ^(١)

هَذِهِ الشُّعْلَةُ
إِمَّا تَجْذِبُهَا
فَأَحْمِلِهَا
وَضَعِهَا
بَيْنَ جَنْبَيْكَ ضَعِهَا
وَاحْفَظِهَا
وَاحْفَظِي قَلْبِي فِيهَا

* * * *

وَإِذَا مَا اشْتَبَهَ الدَّرْبُ عَلَيْكَ
فَأَشْعِلِهَا
أَشْعِلِي رَوْحِي فِيهَا
تَجِدِي الدَّرْبَ مُضِيئاً
كَأَنَّ غَاباً مُوحِشاً
أَمْ كَأَنَّ تَيْهاً

* * * *

(١) لم يكتب عليها تاريخ ولكن أصولها كتبت على ورق مماثل للورق الذي كتبت عليه قصيدة «بين الرمل وشوشة» مما يرجح أنها قريبة منها أي في عام ١٣٦٧هـ...

لَا تَخَافِي أَبَدًا
أَنْ تَحْرِقِيهَا
رُوحِي الْحَرَّةُ
إِمَّا تُشْعِلُهَا
سَوْفَ تَزْدَادُ حَيَاءً
وَضِرَامًا يَزْدَهِيهَا
كُلَّمَا أُوقِدَتِ النَّيِّرَانِ فِيهَا
هَذِهِ الشُّعْلَةُ إِمَّا تَجْذِبُهَا
فَاحْفَظِيهَا - يَافَتَاتِي - فَاحْفَظِيهَا

* * * *

خَمْرَةُ الْحُبِّ إِذَا شَاءَ الْهَوَى
أَنْ تَشْرِيبَهَا
فَاسْكُبِيهَا
فِي الشُّفَاهِ الْبَرَعِمِيَّاتِ اسْكُبِيهَا
وَعَلَى ضَوْءِ سَنَاهَا فَاشْرِيبِيهَا
لَا تَقُولِي : إِنَّنِي أَهْوَاكَ هَيَّا
نَجْتَنِيبُهَا وَرَدَّةُ الْحُبِّ فَهَيَّا نَجْتَنِيبُهَا
أَنَا لَنْ أَهْوَاكَ حَتَّى نَصْطَفِيهَا
وَتَعُوبِي الْخَمْرَ مِنْ فِيهَا
وَحَتَّى تَعْشَقِيهَا

* * * *

فَهِيَ إِنْ شِئْتَ ضِيَاءٌ
 فِي دُرُوبِ الْعُمَرِ تَهْدِي عَاشِقِيهَا
 وَهِيَ إِنْ شِئْتَ كُرُومٌ
 لَمْ يَذُقْ أَغْذَبَ مِنْهَا مُحْتَسِبُهَا
 فَأَعْصُرِيهَا
 وَأَعْصُرِي قَلْبِي فِيهَا
 وَاحْتَسِبُهَا
 فِي دُرُوبِ الْحُبِّ أَفْعَى
 مَزَقِيهَا
 يَا فِتَاتِي حَطْمِيهَا
 حَطْمِي الطُّغْيَانَ فِيهَا
 وَاقْتْلِيهَا ، وَاقْتْلِي طَبْعَ الْأَفَاعِي
 فِي بَنِيهَا

* * * *

لَا تَخَافِي أَبَدًا
 أَنْ تُخْطِئِيهَا
 هَذِهِ الْأَفْعَى الَّتِي تَخْتَالُ فِيهَا
 فِي يَدَيْكَ الشَّعْلَةُ الْبَيْضَاءُ
 إِمَّا تَرْفَعِيهَا
 تَسْحَقِيهَا ، تَسْحَقِي كُلَّ بَنِيهَا
 أَنَا لَنْ أَهْوَاكَ
 حَتَّى تَسْحَقِيهَا
 يَا فِتَاتِي
 فَاسْحَقِيهَا

* * * *

هَذِهِ الشُّعْلَةُ
إِمَّا تَجْذِبُهَا
كَرْمِهَا، قَدْسِيهَا
طَهَّرِي رُوحَكَ فِيهَا
هَذِهِ الشُّعْلَةُ إِمَّا تَجْذِبُهَا
فَاحْمِلِيهَا، وَضَعِيهَا
بَيْنَ جَنْبَيْكَ ضَعِيهَا
أَبَدًا ، لَا تُطْفِئِيهَا
وَاحْفَظِيهَا
وَاحْفَظِي قَلْبِي فِيهَا
فَلَقَدْ أَلَيْتُ أَنْي
لَا أَذُوقُ الْحُبَّ إِلَّا
وَهُوَ مَمْرُوجٌ بِفِيهَا

* * * *

حقبة

مهداة إلى الصديق الأستاذ عبدالله عبد الجبار لإهدائه إياي ديوان (طفولة نهد)

أهديتني كتاباً	رأيتُه عجايباً
رأيتُه جمالاً	مسلسلاً منساباً
شممت منه عطراً	مشعشعاً مطاباً
لمست فيه قلبي	مرقراً مذايباً
رأيت فيه روضاً	رمانه قد طاباً
عقوده قد تدلت	تطاول الأعناباً
وورده نضير	يضاحك السحاباً
السحر فيه شعر	ينسكب انسكاباً
* *	* *

كتابك الثمين	يستنزف الإعجاباً
تسود فيه فنون	والفن لا يحابي
مندفق من عبقر	يبهرني انصباباً
أحسنته انتقاء	وشرته رضاباً
فكان لي نديماً	وكان لي شراباً
لأنت جـد راع	تقدر الآداباً

١٣٦٧/١١/٢٧ هـ

* * * *

موكب الحسن

في مجالس الطائف

مَوْكِبُ الْحُسْنِ بِهَاتِيكَ التَّلَالِ
لَمْ يَزَلْ كَالْعَهْدِ مَوْفُورَ الْجَمَالِ
وَعَلَى الشَّاطِئِ مِنْ تِلْكَ الْمَجَالِي
نَامَتِ الْفِتْنَةُ فِي حِضْنِ الرَّمَالِ

هَاهُنَا لَحْنٌ وَأَغْصَانٌ وَحُورٌ وَأَغَارِيدُ وَشَوٌّ وَطُيُورٌ
وَشَاشَاتٌ وَنَبْعٌ وَزَهْوَرٌ هَاهُنَا حُسْنٌ عَلَى حَسَنِ يَمُورُ

هَذِهِ الرِّيْوةُ ضَمَّتْ ذِكْرِيَاتِي
ذِكْرِيَاتٌ هِيَ أَغْلَى مِنْ حَيَاتِي
وَهُنَا كَانَتْ مَغَانِي صَبَّوَاتِي
وَهُنَا هَمْتُ وَهَامْتُ أُمْنِيَاتِي

رَقَصَ الْقَلْبُ عَلَى لَحْنٍ عَجِيبٍ وَسَرَى الْأَنْسُ عَلَى هَامِ الْغُيُوبِ
وَرَدَتْ حُبُّكَ أَنْسَامُ الطِّيبِ آهٍ .. لَوْ نَرَجِعُ لِلْعَهْدِ الْحَبِيبِ

مَا عَرَفْتُ الْحُبَّ مِنْ قَبْلُ قَلَمًا
وَجَدْتُ أَشْوَاقَنَا الْقَلْبَيْنِ ضَمًّا
وَارْتَوَى لَوْ يَرْتَوِي الْمُدْنَفُ لَثَمًا
عَرَفَ الْحُبَّ أَغَارِيدَ وَطَعْمًا

نَشْوَةٌ تَسْخَرُ مِنْ خَمْرِ السُّكَارَى يَتَشَهَّاهَا الْعَرَابِيدُ الْحَيَارَى
كَأْسُهَا لَمْ يَعْرِفِ الرَّجْسَ عَقَارًا وَهِيَ الْخَمْرَةُ سُكْرًا لَا يُبَارَى

لَقَدْ السَّاعِدُ الدُّنْيَا سَرَابٌ أَنْتَ لِي دُنْيَايَ وَالْحُلُمُ الْعُجَابُ
مَا عَلَى الْعُشَّاقِ إِنْ فِي الْحُبِّ ذَابُوا إِنْ دُنْيَا الْحُبِّ تُعْمَى وَعَذَابُ

أَفَحُلُمٌ مَا أَرَى يَا سَاعِدِيَا؟
الهناءات انطوت بين يَدَيَا؟
يانعيماً ضمه الشوق إليّ
لو تعطفت فأبقيت عليّ

قَلْبِي الْمَشْتَاقُ قَلْبُ الْعَاشِقِ وَأَمَانِي عَزَاءُ الْوَامِقِ
وَلِيَالِي الْأَنْسِ سَلَوَى خَافِقِي وَحَنِينِي لِلْجَمَالِ الشَّائِقِ

* * * *

مَسْرَحُ الْأَنْسِ عَلَى مَنْكَبِ رَيَّةٍ لَمْ يَزَلْ كَالْعَهْدِ لِلْعُشَّاقِ جُلُوءَ
كُلُّ مُشْتَاقِينَ فِي أَحْضَانِ خَلْوَةٍ تِلْكَ أَيَّامُ لَنَا كَالْحُبِّ حُلُوءَ

مكة المكرمة ١٣٦٨/٤/٢٠ هـ

* * * *

مذعورة^(١)

في عَيْنَيْهَا دُعْرٌ فَتَّانٌ ، أَمَا كِبَائُهَا الْمَسْحُورِ فِإِعْصَارِ

لماذا أنت في وَجَلٍ عَلَى عَيْنَيْكَ تَسْأَلُ؟
وفي جَفْنَيْكَ أَحْلَامٌ ... يُرْفُ لَهَا .. وَأَمَّا
وفي هَدْيَيْكَ مَعْنَى الدُّمْعِ .. لو تدرين هَطَّالُ
لهَيْبُ الشُّوقِ يَا مَفْتُونِ كَالثَّعْبَانِ صَوَّالُ
وفي الشَّفَتَيْنِ مَنْطَلِقَ حَنِينٍ رَاحَ يَخْتَالُ
يُلْثِمُهُ حَيَاءٌ جَدُّ شَفَافٍ .. وَيَحْتَالُ
وفي عَيْنَيْكَ إِشْفَاقٌ عَلَى الْأَحْلَامِ تَنْدَالُ
على هذا الشَّبَابِ الْغَضُّ هَلْ يَحْدُوهُ إِقْبَالُ؟
وَيَنْبُوعُ مِنَ اللَّفْتَاتِ ، بِالْأَحْلَامِ سَلْسَالُ
وَتَسْبِيحُ مِنَ الْعِشَاقِ بِالْإِعْجَابِ سَيَّالُ
أَبْقَى سِحْرَكَ الْجَبَّارُ لَا تَطْوِيهِ أَصَّالُ
وهذا الدهرُ مَكَّارٌ فَأَحْوَالُ .. وَأَحْوَالُ
نَضَى ثُوبَ الْجَوَى الْمَهْمُومِ ، إِنَّ الِهِمَّ قَتَالُ^(٢)

(١) توجد لها أكثر من نسخة بخط الشاعر، وقد علق على إحداها بما نصه «كتبت هذه القصيدة على ظهر الغلاف الأول من العدد ٧٨٦ من الرسالة».

(٢) نضى : أخلق وأبلى.

وَصُونِي الْوَرْدَ لَا يَذْوِي عَلَى جَذْبٍ وَيَغْتَالُ
تَعَالِيْ هَاهُنَا صَدْرُ بِهِ التَّحَنُّنُ يَنْثَالُ
نَذْبُ رُوحَيْنِ هَيَّامَيْنِ لَا صَحْبُ وَلَا آلُ
لَنَا عَشْرُ بِلَوْنِ الْوَرْدِ فَوْقَ الْغَيْمِ رَحَالُ
سَتَنْسَى فِيهِ هَذَا الْأَرْضَ إِنَّ الْأَرْضَ أَوْحَالُ
وَتَنْسَى الْعَمَرَ إِنَّ الْحُبَّ لَا تَحْوِيهِ أَجَالُ
تَعَالِي تَبْسُمُ الدُّنْيَا ، وَصَرَحُ الْيَأْسِ يَنْهَالُ

الطائف ١٣٦٨/٩/١٩ هـ

* * * *

خداعُ الأمل^(١)

أملٌ كالسرّابِ لاحَ لعيني
فتعقّبتهُ على قدمينِ
سرتُ أطوي وراءَهُ النّجدَ والوَهْدَ
طوال الطريقِ مستبقيينِ
كلما خلّته قريباً تناءى
وهو دانٍ كأنه في اليدينِ
ذهبَ العمرُ في طرادِ الأمانِ
أَيكونُ الرّصولُ إن حانَ حيني
ليس يُجدي أني أريد إذا حا
ل قضاء بين المراد وبينِي
كم غريق في لجة اليمِّ عجزاً
كان يَدري بموقع الشّاطئينِ

* * * *

(١) كتب الشاعر خلفها في الأصل، أوائل شهر ١٣٦٨ هـ.

أخبار مصر^(١)

أخبار مصر توالى
تهزُّ منا المشاعرُ
آثارها ناطقات
أنعم بنطق المآثر
العلم فيها غزير
أشاد فيها المفاخر
فيها غذاءٌ لعلم
وإنها وحي شاعر
في نيلها السحر يروى
فيها ترانيم ساحر
يجري فتجري بحار
للخير منه زواجر
في الشط سحر وري
(٢)

* * * *

(١) كتبت على ورق مماثل للورق الذي كتبت عليه مقطوعة (خداع الأمل) السابقة وقد أرخت الأخيرة بأوائل شهر ١٣٦٨/٧هـ.

(٢) هكذا وردت بدون إتمام البيت.

قد أذبت الفؤاد^(١)

قد أذبتِ الفؤاد في الشعر خمراً
وبعثتِ الحُمار في السامعينا
سكر السامعون غير فؤاد
فيه صُغتِ القريض وجداً دفينا
قلبُها ويحه من الصخر إلا
أن في الصخر خشيةً أو لنا
وحدها أعرضت وقالت بدلاً
إنما الشعر خدعةُ الشاعرينا

* * * *

(١) كتبت على ورق مماثل للورق الذي كتبت عليه مقطوعة (خداع أمل) و(أخبار مصر) السابقتان.

فَاتِنُ الْمَسِيَالِ^(١)

فَاتِنُ الْمَسِيَالِ يَاحْلُوَ التَّنْثِي
مَا الَّذِي أَغْرَاكَ أَنْ تَزُورَ عَنِّي؟
وَأَنَا الشَّاعِرُ مَا زِلْتُ أُغْنِي

لِهَوَاكَ الْبَكْرِ فِي أُعَذَّبَ لَحْنٍ فَاتِنُ الْمَسِيَالِ يَاحْلُوَ التَّنْثِي

* * * *

الْأَصِيلُ الْحُلُوُّ قَدْ ذُوبَ تَبْرَةً
وَالرِّيَاضُ الْحَوُّ بِالْأَزْهَارِ نَضْرَةً^(٢)
وَعَلَى الْمَسِيَالِ تَسَالُ وَحِيرُهُ

مَا الَّذِي أَغْرَاكَ أَنْ تَزُورَ عَنِّي فَاتِنُ الْمَسِيَالِ يَاحْلُوَ التَّنْثِي

* * * *

(١) المسِيَالُ : الوادي . كتبها الشاعر عام ١٣٦٨هـ على ورق مجلس المعارف ثم كتبها بخطه مرة ثانية وعنونها بـ «فاتن الأغصان» وأبدل كلمة المسِيَال حيثما وردت في القصيدة بـ «الأغصان» وكتب آخر شطر «فاتن الأغصان لا تزور عني» وبعد أن أثبت التاريخ كما هو علق «كتبت هذه القصيدة على ظهر الغلاف الأول من العدد ٧٨٦ من الرسالة».

(٢) الحَوُّ: حَوِي النبات اسودَّ من شدة النضارة.

الرَّوَابِي الْخُضْرُ قَدْ أَلْقَتْ وَشَاخَا
وَعَدَا الْبَلْبَلُ فِي الرُّوضِ وَرَاحَا
كُلُّ مَا فِي الرُّوضِ لَا يَأْلُو مَرَاخَا

وَأَنَا الْعَاشِقُ مَا زِلْتُ أُغْنِي فَاتِنَ الْمَسِيَالِ ياحُلُو التَّثْنِي

جُنْتُ الْأَشْوَاقُ وَأَتَّبَحِ التَّمَنِّي
وَالسَّهَادُ الْمَرْقَدُ أَرْقَ جَفْنِي
أَنَا فِي حُبِّكَ قَيْثَارٌ يُغْنِي

لِهَوَاكَ الْبَكْرِ فِي أُعْذَبِ لَحْنِ فَاتِنَ الْمَسِيَالِ لَا تَزُورْ عَنِّي

الطائف ١٥-١٦/٩/١٣٦٨هـ

* * * *

موعد العيد^(١)

وَعَدْتُ فَأَخْلَفْتَنِي مَوْعِدَكَ
وَعَدْتُ فَحَوَّلْتَنِي مَأْمَلًا
إِذَا افْتَرْتُ ثَغْرُ الصَّبَاحِ الْجَمِيلِ
وَلَمَّا مَشَى فِي النَّهَارِ الْأَصِيلِ
سَأَلْتُ وَبُحَّ لَدِي السَّوَالُ
عَنْ مَوْعِدِي مَا الَّذِي أَقْعَدَكَ؟

* *

* *

وَسَادَا مَدَى الدَّهْرِ لَنْ يُزْهِدَكَ
إِذَا سَكَّرَتْ شَفَتِي أَسْنَدَكَ
حَنَانًا يَذُوبُ لَكِي يَرْفِدَكَ
شَهِيدَ الْوُرُودِ لَكِي تَشْهَدَكَ
وَقَدَيْتُكَ الْعَمَرَ إِنْ أَسْعَدَكَ !

* *

* *

مَضَى الْعِيدُ وَالْمَوْعِدُ الْمُفْتَدَى .. !
سَيْنَسَى جَفَاكَ، وَبَرَعَى هَوَاكَ
فَلَا تَنْسَهُ إِنْ جَفَاكَ الْحَبِيبُ
وَأَمَّا قَلَاكَ الصَّدِيقُ الْحَمِيمُ
فَلَا تَنْسَهُ .. سَوْفَ تَبْقَى غِنَاءُ

١٣٦٨/١٠/٩ هـ

* * * *

(١) نشرت في جريدة البلاد في الثاني من شوال عام ١٣٦٨ هـ، في العدد ٨٤٤ بتوقيع شاعر الأغصان.

في الطريق إلى جدة^(١)

ع : إذا نظمنا الشعرَ ، في سيارة مؤرجحه
تمشي بنا كأنها ، طيارة بأجنحه
أليس هذا مجديا ، من صمتنا ما أقبحه
فلنصف الطريق فالطريق ما أميلحه
والجبلَ الشاهقَ في جثومه ، وأسفحه
أ : والكلاؤ النائم في وديانه المنسرحه
والرمل في استعداده أجنده مسلحه

ونظرت في خفر

ع : تمشي الهوينا مرحه
آلت على عشاقها
أ : جماحها لن تكبحه

ع : قد شريت من الصبوح خمرة مجنحه
أ : ومن غبوقها غدت ، مخمورة مرنحه
ولبست من عسجد ، ثيابها الموشحه

(١) ع : عبدالعزيز الرفاعي ، أ : علي فدعق.

ع : تسأل عن حبيبها ، أوديةً وأبطح
حبيبها من يا ترى ؟ حبيبها ما أملحه
أ : يكفي لنا تندراً ، سواقنا بمرشح
ع : كأنه جرادة ، نفائة مكسحه
أ : أو أنه في شكله فافورة مقنزحه
ع : أو أنه جعرانة ضامرة مُسلّكه
أ : كفى به مهزلة أخشامه المفلطحه؟
ع : ما بالنا نقدحه ، أحرِبنا أن غدحه
أما تراه جاهداً لغاية ومصلحه
أ : هيا بنا فلننتقل لغيره بالمشرحه
ع : صاحبنا والله لا أحب أن أجرّحه؟
أ : ولا أنا يا صاحبي محبذ أن أمدحه
١٣٦٩/٧/٤هـ

* * * *

رَجَاء

إلى حبيب ودعته بالحنين ، وَتَرَقَّبْتُهُ عَلَى شَوْقٍ ، حَتَّى إِذَا آبَ لَمْ أَحْظَ مِنْهُ بِمَا يَحْظَى بِهِ
المُحِبُّوبُ سَاعَةَ اللَّقَاءِ...

يَرْفُ ، وَكُنْتُ أَحْلَاماً حَيَّارِي	تَصْبَانِي لِقَاكَ وَكُنْتُ شَوْقًا
تَطَاوَلَ ، وَاسْتَبَدَّ جَوِي ، وَجَارَا	فَلَمَّا أَنْ لَقَيْتُكَ ، بَعْدَ نَائِي
بِصَدْرِي مُعْجَبٌ وَرَنًا ، وَثَارَا	أُطْلَتْ لَهْفَةً وَهَفًا فُؤَادُ
لَهُ الْأَقْدَارُ ، إِنَّ خَلَعَ الْوَقَارَا	هَفًا ثَغْرِي لِثَغْرِكَ وَاسْتَرَا حَتَّى
إِلَى لِقْيَاكَ ، إِنَّ بَلَّ الْأَوَارَا	فَلَا لَوْ عَلَى ثَغْرِ مَشُوقٍ
تَخَوَّفْتُ الْفُضُولَ بِأَنْ يُثَارَا	وَلَكِنْ... وَالْمَحِبُّ عَلَى شُكُوكِ
تَخْدُشُهُ الظُّنُونُ ، وَإِنْ أَعَارَا	أَضْنُ بِحُسْنِكَ الْمَرْمُوقِ أَلَا
أَعْوَضُ لِحِظَةً ذَهَبَتْ خَسَارَا	وَقُلْتُ مُعَلَّلًا نَفْسِي : لَعَلِّي
عَلَى قَلْبِي ، وَيَسْتَعْرِ اسْتِعَارَا؟	فَهَلْ لِي ، وَالْحَنِينُ يَدْبُ نَارًا
وَحُسْنُ نَاعِمٍ ، شَعٌّ اَزْدِهَارَا؟	بِأَنْ أَرْجُو ، وَأَنْتَ هَوَى رَقِيقُ
تَفُوحُ شَذَى وَتَسْتَسْبِي الْكِنَارَا؟	أَشْمُ الْوَرْدَ يَنْدَى وَهُوَ رُوحُ
حُمَيَّا تَزْدُرِي خُمَرَ السَّكَارَى؟	وَالثُّمُ كَرَزَتَيْنِ هُمَا لِرُوحِي

* * * *

أَضَلَّ النَّاسَ ، وَاسْتَهْوَى الْعَذَارَى	بِحَقِّ جَفْوَنِكَ الْوَسْنَى وَحُسْنِ
وَلَا تَتْرُكْ رُؤْيَ قَلْبِي حَيَّارِي	بِحَقِّ هَوَاكَ لَا تَفْطَمِ رَجَائِي

الطائف ١٣/٩/١٣٦٩هـ

* * * *

شَفَّة^(١)

شَفَّتْ هـا .. تلكَ التي
أَذْبَتْ فِي هـا .. مُهْجَتِي
غَلِيظَةً .. كُلَّ عَـيْ
رَقِيبَةٍ .. فِي شِفَّتِي
وَدَدْتُ لَوِ أَدِيبُهَا ..
عَلَى لَهِيْبٍ قُبْلَتِي
لَكُنْ هـا .. تُذَيِّنُنِي
وَلَا تُذَيِّبُ لَهْفَتِي
تَحْرِقُنِي .. تُغْرِقُنِي
فِي شُعْلَةٍ .. فِي لُجَّةٍ
يَلْذُلِي .. ضَرَامُهَا
جَهَنَّمِي .. وَجَنَّتِي !

* * * *

طَرَفُ لَهِيْبٍ أَحْمَرُ
عُرْوَةُ مِنْ خَمْرَةٍ
شَاطِئُ سِخْرِ نَاتِيئِ
لَعَالٍ .. مِنْ فِتْنَةٍ

(١) نشرت في مجلة الأدب البيروتية في عدد أكتوبر ١٩٥٠م، الجزء العاشر، السنة التاسعة، ص ٤٧،
بتوقيع «شاعر الأغصان»، بعنوان «شفة غليظة».

مَجْدُوكُهُ .. مَنْ نَشْأُوهُ
 حَرْفُ تَحْدِيدِ جَامِحِ
 رَضِعْتُ فِيهِ شِفْوَتِي
 وَأَرْضَعْتَنِي .. كَرَزُهُ
 لَوْنُ وَلَذَعِ الْجُمُورَةِ
 يَقُولُ لِي وَشَاتُهَُا:
 فِي خَمَرِهَا .. مَنِتِّي
 أُخْبِبُ بِهَا مَنِتُّهُ
 مَنْ خَنَرَهَا .. وَسَكَّرَتِي
 وَدَدْتُ لَوْ قَبَّلْتُهَا
 وَلَا أَمْلُ .. مُدَّتِي

الطائف ١٦/١٠/١٣٦٩ هـ

* * * *

وداع

تَرْكُكُنِي كَالزُّهْرِ مُشْتَاةً
أُورَاقُهُ لِلطَّلِّ عِنْدَ الصَّبَاحِ
كَالْبَلْبَلِ الصَّدَاحِ ضِلَّ السُّرَى
لِلرُّوضِ حَتَّى مَلَّ حُلُو الصُّدَاحِ
كَالنَّبْتَةِ الْوَلَهَى عَلَى شَاطِئِي
تَحْلُمُ بِالنَّبْعِ وَكَلَّاسِ قَرَارِ
وَالنَّبْعُ قَدْ لَمْ حَنَانَ الْهَوَى
عَنْهَا .. وَأَزْكَى وَجَدَهَا ثُمَّ رَاحَ

* * * *

يَاطْلُبِي الْمَعْشُوقَ .. يَا بَسْمَةً
أَلَا قَةِ الْبِشْرِ .. كَثُفَرِ الْأَقْصَاحِ
يَا مَاسَةً شَعَتْ عَلَى خَاطِرِي
وَحَيَا رَقِيقَ الرُّوحِ .. جَمُّ السَّمَاحِ
أَلْهَمْتِنِي مَعْنَى الشُّذَى سَارِباً
فِي الزُّهْرِ .. فِي الْأَنْسَامِ .. فَوْقَ الْبِطَاحِ
عَلَّمْتِنِي رُقَّةً مَعْنَى .. الْهَوَى
فَالْحُبُّ .. عِنْدَ الطَّلِّ .. ثَغَرُ وَرَاحِ
الزُّهْرِ لَا يَقْوِي حَيَاةَ النَّوَى
بَعْدَ النَّدَى يَذْوِي وَيَشْكُو الصَّوَاخِ

* * * *

يَا رَوْضِي الْفَيْنَانَ .. يَا جَنَّةً
غَنِيَّتُهَا حُبِّي الْعَمِيقُ الصُّرَاحِ

فِي شَذْوِي الْمَنَسَابِ رُوحَ النُّدَى
وَالزَّهْرِ فِي لَحْنِي انْتَشَى ثُمَّ قَاحُ
وَالْفَجْرِ فِي لَحْنِي رَفِيفُ السَّنَا
رَقَرَقَتَهُ حُلُوءاً طَلِيْقاً .. مُتَاحُ
كَانَتْ لِي الْأَغْصَانُ مِيَّاسَةً
أَرْقَصْتُهَا رَقَصَ الْغَوَايِي الصَّبَاحُ
أَيْنَ الرِّيَاضِ الْحَوَّ عَنِّي مَضَتْ !
أَيْنَ الْهَوَى وَاللَّحْنُ أَيْنَ الْمِلَاحُ ؟
يَا ضِيْعَةَ الصَّدَاحِ فِي تِيْهِهِ
جَفَّتْ أَغَانِيْهِ .. وَقَرَّ الْجَنَاحُ

* * * *

يَا جَدُوْلِي الرُّقْرَاقِ .. يَا دَفْقَةَ
ذَابَتْ مِنَ الْمَاسِ بِهَيْجِ الْمِرَاحِ
يَا كَوْنُوراً .. تَنَسَّابُ أَمْوَاحِهِ
كَالنُّوْرِ تَرْوِي سُنْدَسِي الْبَطَاحِ
أَيْنَ خَنَانِ الرُّوحِ .. جِيَّاشَةً
بِالْعَطْفِ وَالْإِلْهَامِ .. ثَرَّ الْجَنَاحُ !!

* * * *

أَبْقَيْتَ لِي قَلْباً شَقِيَّ الْهَوَى
ضَنَّ عَلَيْهِ الدَّمْعُ عِنْدَ النَّوَاحِ
أُخْنُو عَلَى جُرْحٍ بِهِ غَائِرُ
جِرَاحُ عَمِيْنِيْكَ أَحَبُّ الْجِرَاحِ

* * * *

إِذَا اسْتَبَاحَ النَّأْيُ تَرْوِيْعَمَا
فَالْعَهْدُ فِي حُبِّكَ .. لَنْ يُسْتَبَاحَ

الطائف ١٣٦٩/١١/٢ هـ

وَشْوَشَةٌ (١)

هَمَسَاتُ صَوْتِكَ عَذْبَةً
فِي مَسْمَعِي .. لَمَّا تَزَلْ
خَفَقَاتُهَا .. خَفَقَ النَّسِيمُ
وَجَرَسُهَا .. جَرَسُ الرُّسُ الْقُبُلِ
وَلَهَا لِبَحْتِهَا صَدَى الْحُلُوِ
.. الْبَهِيَجِ .. مِنْ الْأَمَلِ
رَفَاتُهَا .. نَعَمَاتُ نَّايِ
زَفَّهَا .. شَادِ جَذَلِ
وَلَهَا دَلَالِكِ .. تَارَةً
تَهْفُو .. وَفِي أُخْرَى تُدِلِ
وَبِهَا .. حَنَائِكَ آهِ لَوْ
ظَلَّ الْحَنَانُ وَمَا أَقْلُ

* * * *

تَنْسَابُ فِي سَمْعِي .. لَهَا
عَطَرُ يَضُوعُ .. وَرِيحُ قُلْ
وَبِهَا مِنْ الْفَجْرِ الْأَتِيْقِ
طَرَاوَةٌ ، وَسَنَنَاءُ ، وَطَلْ

(١) نشرت في العدد ٩٥٦ من البلاد السعودية الصادر في ٢٧ ذي الحجة ١٣٦٩هـ.

وَتَرَاقَصَتْ فِي مَسْمَعِي
نَشْوَى .. تَزْفُ إِلَى ثَمَلٍ
بَلْ كَانَ مَسْرَاهَا الْفُؤَادُ
بِهَا تَغْنَى .. وَاحْتَفَلَ
وَجَنَى لَذَاذَاتِ الْهَوَى
مِنْهَا ، كَمَا يَجْنِي الْعَسَلُ
وَرَوَى إِلَى سَمْعِ الزَّمَانِ
رَوَائِعَ اللَّحْنِ الْفَزَلِ

* * * *

هَمَسَاتُ صَوْتِكَ .. لَيْتَهَا
ظَلَّتْ .. وَهَلْ نَعِمَى تَظَلُّ ؟
بَلْ ظَلَّ رَجَعُ أُنَيْنِهَا
فِي خَافِقِي .. وَمَدَى الْأَجَلِ !

الطائف ١٣٦٩/١١/٢٠ هـ

* * * *

صورة ملونة^(١)

نعم هذه صورة تبهرُ وإني بروعتها أشهدُ
ولكنها رغم إشراقها أرى أصلها، حسنه مفردُ
فإنيك أندى جمالاً وأبهي سنأ أنت يا أحمدُ
مكة ١٣٦٩/١٢/١٧ هـ .

* * * *

(١) كتبت نسختها الأولى على ورق المكتب الخاص لديوان نائب جلالة الملك في الحجاز بدون عنوان، ثم نسخها الشاعر مرة أخرى وعنونها بـ «صورة ملونة» مقدماً لها بقوله: «كتب لي صاحبها حين إهدائها يقترح تخليد ذكرها (بَحْتَة) من الشعر يُذكر فيها اسمه» وكتب في آخرها بعثت إليه في ١٣٧٠/٤/٢٨ هـ.

سأطوي غرامي

سأطوي غرامي في فؤادي فلا أرى
ولا أعتب الأيام فيما لقيته
(إذا دلتني)^(١) أوجعتني بعطفها
ولولا الهوى يجتاح قلبي وأضلعي
رمانى فأصمى من فؤادي صميمه
لحبي جدوى غير وجدي وآلامي
علي لها فضل بحزني وإيلامي
لأس إذا جارت علي بأحكام
لهانت على نفسي حوادث أيامي
وخلى سبيل الهجر يخطم أحلامي

٢٦-٢٨/٤/١٣٧٠ هـ .

* * * *

(١) مسودة هذه المقطوعة فيها حذف وتعديل مما يدل على أنها مسودة أولية، وما بين القوسين أقرب قراءة لما كتبه الشاعر.

انتظار^(١)

لَجَأْتُ لِنَافِذَتِي أَرْقُبُ
يُدَاعِي بُنْيَ أَمَلٍ .. خُلْبُ
أَقُولُ : انْطَوَى وَقْتُ مِيعَادِهِ
وَمَا رَفُ .. هَلْ سَاعَتِي تَكْذِبُ؟
تَهْمُتُكَ يَا سَاعَاتِي بِالضَّلَالِ
وَمَا ضَلُّ فِي سَيْرِهِ الْعَقْرَبُ!
وَيَبْعَثُنِي أَمَلٌ أَرْتَجِيهِ
وَقَبِيضُ السَّعَلِ لَا يَنْضَبُ
لَعَلَّ الْحَبِيبَ هَقَا لِلدَّلَالِ
وَأَنَّ الدَّلَالَ هَوَى يَسْلُبُ
تَصَبُّهَ كَيْمَا يَرَى لَهْفَةً
وَشَوْقًا يَضِيقُ بِهِ الْمَذْهَبُ
لَعَلَّ لَهُ وَقْفَةٌ لِلْجَمَالِ ..
وَمَرَاتُهُ عَاشِقٌ مُعْجَبُ

(١) نشرت في العدد ١٠١٢ من البلاد السعودية الصادر يوم الأحد ٢ رجب ١٣٧٠ هـ، بتوقيع شاعر الأغصان، وقبلها هذه الكلمة بتوقيع رئيس التحرير «وددت لأول مرة لو أن لي هذه القدرة على التصوير لأضع اسمي صريحاً تحت هذه القصيدة التصويرية البارة، ولكن أكتفي بتهنئة صديقي الشاعر على عبقرته الشاعرية».

وَقَارُورَةُ الْعِطْرِ وَلَهَى بِهِ
تَوْدُ بِعِطْفَيْنِهِ لَوْ تُسْكَبُ
وَتَهْوَى الضَّلَالِ عَلَى مَفْرِقَيْهِ
أَنَا مِلُّ .. مِنْ مِشْطِهِ تَسْرَبُ
تَهِيمٌ مِنَ اللَّيْلِ فِي حَسَانَةِ
وَتَحْسَسُو مِنَ الْعِطْرِ مَا تَشْرَبُ

* * * *

تَمَنَيْتُ لَوْ أَنَّ لِي قُدْرَةً
تَشْفُ لِي الدُّرْبَ لَا يُحْجَبُ
أَرَى خَطْوَهُ مِغْزَلًا لَلْفُتُونِ
لَا يَبْقَاءُ نَغْمٌ مُطْرَبُ ..
وَقَدْ غَصُّ بِالْمَعْجَبِينَ الطَّرِيقَ
عَيُونَ وَأَفْئِدَةً تَوْجِبُ
رَشَاقَتُهُ تَسْتَخِفُّ الدُّرُوبَ
وَتَزْرَعُهَا فِتْنَةً تَصْخَبُ ..
وَلَفْتَتُهُ رَوْعَةً تَسْتَبِيحُ
صَمِيمِ الْقُلُوبِ وَلَا تَرْهَبُ

* * * *

وَيَمْضِي بِي الْحُلُمُ .. يَا لَهْفَتِي
بِحُلُمٍ .. أَنَا جِيءَ لِي لَا أَتَعَبُ
يَجْنَحُنِي فَوْقَ هَامِ الْخِيَالِ

وَبَرَجْ—عَنِي وَأَنَا الْخَسِيْبُ
إِذَا مَا طَغَى بِي أَرُودُ النُّعْمِ—يَمَ
وَأَجْرَعُ شَقَوَايَ إِذْ يَرْسَبُ

* * * *

أَذَقْتُ فُؤَادِي جِ—حِيَمِ انْتِظَارِكِ
يَا ظَالِمًا .. ظَلُمْتُهُ يَغْذِبُ
وَمَنْ عَجَبِ أَنْنِي أُحْتَسِي
عَذَابَ الصُّدُودِ .. وَلَا أَعْتَبُ
وَمَنْ ذَاقَ فِي الْحُبِّ لَوْعَاتِهِ
تَجَرَّعُهَا .. وَهَوَا يَعْجَبُ
مَضَى مَوْعِدِي .. وَأَنَا هَاهُنَا
أَقْبِمُ عَلَى لَهْفَةٍ تَرْقُبُ

مكة ١٣٧٠/٤/٢٨ هـ

* * * *

نخب لبنان

قالت هنا كأسٌ، وهذي خمرة، وهناك دنٌ
فاشرب، فلا صحيت دئى، من بعد سكرك أو زمن
فاشرب فجئات الخلود، بها الخمار قد افتتن
مالت بها أغصانها، والطير سلسلها لحن
هذي ربي لبنان، لا تدري على فرط الصبابة والشجن
أهي التي تشكو الغرام الطير، أم هو .. لو فطن؟
سكروا فمالك .. ما لكأسك مترعاً
اشرب فذا عمر الشباب يمرّ مرّاً مسرعاً

* * * *

اشرب هنالك صبية جلست جوار السنديانة
سكرت وعيناها بها خمر معتقة مصانه
تسقي الندامى صفوها، والكل يشكوها افتتانه
وعلى الشفاه الحمر رقت فتنة حمراء تعروها مجانه
هي خمرة تحسو مثيلتها، وتنسيها الرصانه
من منهما سكرت بأخرى إنها خمر وحنانه
فاشرب على نخب العيون ولا تكن مترددا
وعلى الشفاه الحمر أحنّ وخلّ قلبك مُسعدا

* * * *

نامت مروج الروض في حوض الجبال
إلا الصنوبر فهو حارسها على كر الليالي
والنبيع يسقيها الغرام مرفرفاً وعلى التوالي
والطير زقّ غناءه عرساً إلى حلو المجالي
هذا الجمال الفذ ما خطرت معانيه ببالي
لبنان، حسبك فوق ما وصل الخيال إلى جمال
فاهناً وعش عيش الأبيّ، وصنّ جمالك
وارعَ العروبة في مجالك، إنها ترعى مجالك
١٣٧٠/١٠/٤ هـ

* * * *

غصنان

نشر هذه القصيدة الصديق الشاعر الزميل محمد سراج خراز ، في العدد ١٠٧٣ من البلاد السعودية الصادر في ٢ ذي الحجة ١٣٧٠ هـ ، وقد وجه القول فيها إليّ :

وَعَصْنَيْنِ فِي دَوْحَةٍ عَانَقْتِ
نُجُومَ السَّمَاءِ وَأَقْمَارَهَا
رَأَيْتُهُمَا كَاثِتِسَامِ الْحَيَاةِ
تَفِيضُ عَلَى الْقَلْبِ أَنْوَارَهَا
عَشِيَّةٌ رَاحَتْ جُمُوعُ السَّحَابِ
تَقْصُ عَلَى الْأَرْضِ أَخْبَارَهَا
فَتَبَعَتْ فِيهَا الرُّؤْيَ الْخَالِمَاتِ
وَتُضْحِكُ فِي الرُّؤْيِ أَزْهَارَهَا
فَتَهْتَزُ نَشْوَى لَدَيْهَا النُّفُوسُ
وَتَغْرِي الْمَفَاتِنَ أَبْصَارَهَا

* * * *

رَأَيْتُهُمَا وَالنَّسِيمُ الْعَلِيلُ
يُشَاعُ السُّرُورَ بِنَفْسَيْهِمَا
وَيَجْذِبُ هَذَا إِلَى نَحْوِذَا
كَمَا جَذَبَ الْوَدُ قَلْبَيْهِمَا
شَقِيقَانِ يَسْتَقْبِلَانِ الشُّبَابَ
نَضِيرًا نَضَارَةً رُوحَيْهِمَا
أَرَادَا مُدَاعَبَتِي مِنْ عُلٍّ
فَسَلَّ بِالتَّدَاعُوبِ عَظْفَيْهِمَا

فَحِينَأَ يُطْلَأُ فِي رِقَّةٍ
وَحِينَأَ يَشِيحَانِ عَيْنُهُمَا

* * * *

وما كان ذلكَ غيرَ الشَّبَاكِ
أَعَدْتُ لَتَقْتَنَصَ الطَّائِرَا
وَقَدْ كُنْتُ مِنْ مِثْلِهَا حَاذِرَا
فَهَلْ نَفَعَ الْحَذْرُ الْحَاذِرَا
فَرَاحَا بِصَيْدِهِمَا بِبِسْمَانِ
وَرَحْتُ بِفَعْلِهِمَا حَائِرَا
أَسِيرَا تَلَوَى بِفَخِ الْخَدَاعِ
فَأَعْجَبَ مَنْظَرُهُ الْآسِرَا
فَيَا وَيْحَ قَلْبِي حَتَّى الْغُصُونِ
يَرَى بَيْنَهَا الْخَادِعَ الْحَائِرَا

* * * *

إِلَيْكَ .. إِلَيْكَ صَدِيقَ الْغُصُونِ
الرُّقَاقِ وَشَاعِرَهَا الْمُلْهِمَا
أَبْتُ شَكَاتِي مِنْ عَابَثَيْنِ
بِقَلْبِي جَارَا وَلَمْ يَرْحَمَا
فَإِنْ تَكُ لِي مِنْهُمَا مُنْصِفَا
فَمَا أَعْظَمَ الْمُنْصِفَ الْمُنْعِمَا
وَالْأَقْبَا خَيْتِي إِذْ لَجَأْتُ
إِلَيْكَ ، وَيَا شَقَوْتِي مِنْهُمَا!

* * * *

شاعر وغصنان

وهذه القصيدة التي جاوبت بها صديقي الشاعر محمد سراج خراز، وقد نشرت في البلاد السعودية ، العدد الخاص بالحج، رقم ١٠٧٥ الصادر بمنى يوم عيد الأضحى ١٠ ذي الحجة ١٣٧٠هـ^(١).

أَيَا شَاعِرٍ أَفْتَتَنَّهُ الْغُصُونُ
وَأَلْهَمَتِ النَّفْسَ أَشْعَارَهَا
فَأَرْسَلَهَا نَغْمَةً حُلُوءَةً
وَشُوقَ اللَّيَالِي وَسُمَارَهَا
تَرَقُّ كَمَا لَانَ غُصْنٌ رَطِيبٌ
يُدَاعِبُ فِي الرُّوضِ أَزْهَارَهَا
وَجَاءَ بِهَا شَاعِرٌ مُغْرَمًا
يُحِبُّ الْغُصُونِ وَأَخْبَارَهَا
يُبْتَ لَه مِنْ جَوَى قَلْبِهِ
حَدِيثَ الْفُتُونِ وَأَسْرَارَهَا

* * * *

هُمَا غُصْنَانِ أَضَافَ الصَّبَا
جَمَالًا جَدِيدًا لِحُسْنِيهِمَا

(١) علق بعدها « نظمت هذه القصيدة بعد نشر قصيدة الأستاذ الخراز بيوم واحد فقط ».

أَصَابَا - عَلَى غُرَّة - شَاعِرًا
وَرَأَى الصَّمِيمَ بِسَهْمِيهِمَا
نَضِيرَيْنِ مِثْلَ الرُّبْعِ الْجَدِيدِ
شَقِيقَيْنِ فِي شَرْخِ عُمْرِنِهِمَا
فَرَّاحَ لَجْرَحِيهِمَا شَاكِيًا
وَفِي قَلْبِهِ حُبٌّ جُرْحِيهِمَا
فِيَا عَجَبًا مِنْ جَرِيحِ الْعُيُونِ
يَرْقُ وَيَهْفُ وَلِعَيْنِيهِمَا

* * * *

أَحَاكَ الشُّبَّكَ وَصَادَا بِهَِا
أَسِيرَ الشُّبَّكَ الْفَتَى الشَّاعِرَا
وَمَا خَلَّتْهُ يَبْتَغِي نَجْوَةً
وَلَا كَانَ - مِنْ قَيْدِهِ - ثَائِرَا
وَهَذَا صَنِيعُ صَرِيعِ الْغُصُونِ
يُقْبِلُ قَيْدَيْهِ وَالْأَسِيرَا
وَمَا يَبْتَغِي ؟ هَلْ أَفْكُ الْقُبُودَ
لِيُعلنَنِي حَكْمًا جَائِرَا ؟
وَمَا الْقَيْدُ إِلَّا الْحَرِيرَ اللَّطِيفَ
يَضُمُّ ، عَلَى رِقَّةٍ - طَائِرَا

* * * *

وَيَعْدُ : فَمَا كُنْتُ بِصَاحِبِي
حَكِيمَ الْغُصُونِ وَلَا الْمُلْهَمَا
وَمَا أَنَا إِلَّا نَجِيُّ الْغُصُونِ
ضَحِيَّتُهَا الْعَاشِقُ الْمَغْرَمَا
وَمِنْ دَأْبِهَا أَنْ تَحِبُّ الدَّلَالَ
فَذُقْ شَهْدَهَا وَذُقِ الْعَلَقَمَا
وَإِنْ رُمْتَ إِلَّا الْقَضَاءُ الصُّرِيحَ
فَهَاتِ الْخُصُومَ لَكِي أَحْكُمَا
فَحَاشَايَ أَنْ أَسْتَبِدَّ بِحُكْمِ
إِذَا غَابَ خَصْمَاكَ أَوْ أَظْلَمَا

* * * *

غصنان إلى شاعر الأغصان

جوابها للشاعر الأستاذ سراج خراز، نشرته البلاد السعودية في العدد ١٠٧٨ الصادر في

١٣٧٠/١٠/٢١ هـ.

أخي أي ناي تَرى في يَدَيَّكَ
أصاح له القلب لما شدا
أناشيدُهُ وَمَضَاتُ المُنَى
وهنس الغُصُونِ وَوَقَعُ النُّدى
تَوَهَّمَتْهُمُ خَطَرَاتِ النُّسِيمِ
وقد دأبت غصنه أملكدا
ولم لا ترق أناشيدُهُ
وتصفي البلايل إن غردا؟
وقد أبدعت الغُصُونُ الرِّقَاقُ
وأوحت إليه بأن ينشدا

* * * *

لمثلِكَ تجلّو الرياضُ الغُصُونُ
كسَاهَا الصَّبَا حُلَّةً ناضره

وَمَا لِلْفَصَّصُونَ سِوَى شَاعِرٍ
يَصْصُرُ فِتْنَتَهَا السَّاحِرَ
يَرَاهَا فَيَسْبِحُ فِي نَشْوَةٍ
تَذُوبُ بِهَا نَفْسُهُ الشَّاعِرَ
وَعُصْنَايَ ! هَلْ صَافِحًا نَاطِرِيكَ
فَعَاثَتْ بِكَ النُّظْرَةُ الْعَابِرَ
فَرَحْتُ كَمَثَلِي نَهَبَ الشَّجُونِ
وَأَرْسَلْتَهُمَا نَعْمَةً حَائِرَهُ..
أَتَيْتُكَ أَشْكُوهُمَا صَارِخًا
وَفِي كَلِمَاتِي حَرُّ الْأَلَمِ
وَقَدْ رَاعَنِي أَنْ تَرَى شَادِيًا
بِحُسْنِيهِمَا رَائِعَاتِ النَّعْمِ !
أَشْدُوا وَلَمْ تَرَ تِلْكَ الْعَبْرُونَ
وَشَوْقًا إِلَيْهَا وَأَنْتَ الْحَكَمُ ؟
فَمَا أَنْتُمَا أَيُّهَا الْعَابِثَانِ ؟
وَأَيُّ جَمَالٍ زَهَا وَابْتَسَمَ
عَلَى الْغَيْبِ حَنٌّ لَهُ شَاعِرُ
وَعَنَى بِهِ فِي الطُّرُوسِ الْقَلَمُ

* * * *

تَقُولُ : هَلُمَّ وَهَاتِ الْخُصُومَ
فَإِذْوَ الْحَقُّ عِنْدِي لَا يُظْلَمُ
أَلَمْ تَخْشَ إِنْ مَثَلًا لِلْقَضَاءِ
أَمَامَكَ .. تَرَشَّقَكَ الْأَسْنَهُمْ؟
وَمَنْ ذَا عَسَى - إِنْ غَدَوْتَ الصَّرِيعَ
بِحَبِّهِمَا - يَبْتِنَا يَحْكُمُ ..؟
لَأَحْبَبُولَهُ تِلْكَ أَحْكَمْتَهَا
وَأَنْتَ لَأَمْثَالِهَا تُحْكُمُ
فَدَعْنِي وَإِيَاهُمَا وَالْهَوَى
فَإِنِّي بِمَا تَنْتَوِي ، أَعْلَمُ!

* * * *

تُقَرِّبُنِي^(١)

تُقَرِّبُنِي فَأُظِنُ الْحَيَاةَ رُوءَاءَ الرَّبِّيعِ وَأَفْرَاحَهُ
وَأَنَّ الدُّنَا رَوْضَةٌ لِلْهَوَى وَكُنْتُ عَلَى الرُّوضِ صَدَاحَهُ

* * * *

أَفْأَنْسَاكَ^(٢)

أَفْأَنْسَاكَ ؟ وَلَكِنْ كَيْفَ أَنْسَى مُتَعَا بِيضاً وَتَحْنَاناً وَأَنْسَاً
وَأَحَادِيثَ كَمَا شَاءَ الْهَوَى خَمْرَةٌ تَسْقَى بِهَا كَأْساً فَكَأْسَاً
كُلَّمَا أَحْرَقْنَا الْوَجْدُ التَّقَتْ شَفَتَانَا تَسْكِبُ الْأَشْوَاقَ هَمْسَاً
قُبْلَا ذُبْنَا بِهَا رُوحاً وَأَشْوَا قَا وَتَهِيَاماً وَوَتَحْنَاناً وَنَفْسَاً

* * * *

(١) قبل عام ١٣٧٣هـ فقد كتبت على ورق مجلس المعارف بمكة المكرمة، وقد كتب الشاعر بعض شعره على ورق مجلس المعارف ما بين عامي ١٣٦٥هـ - ١٣٧٠هـ، ومعلوم أن هذا المجلس كان قبل العام المذكور، حيث ظهرت وزارة المعارف بعد ذلك.

(٢) يعود تاريخها إلى ما قبل عام ١٣٧٣هـ، وانظر التعليق على المقطوعة السابقة.

عصي الدموع^(١)

قال لي: بعدنا صبوتَ وقد كنتَ عَصِيَّ الدموع والآماق
وترققتَ مرهف الحسن والشُّعرِ كثير الشجون والأشواق
وعلى شِعرك استطال شعاعٌ عبقريُّ ينمُّ عن مشتاق

* * * *

إليها^(٢)

إلى حضرة صاحب السعادة مدير المعارف العام
بعد التحية والاحترام،
سيدي بناء على انتدائي بمدرسة

دعي السُّهُام دَعِيهَا	عنيَاك أنْفذ سَهْمَا
دعي القلوب الحيارى	بأي قــــوسَيْكَ تُرمى
وريق ثقــــرك أشهى	من البلاغة طعما
وورد خــــديك أحلى	من الوردِ وأسمى
دعي السُّهُام فقلبي	لا غيــــره صَارَ مَرْمَى
دعي السُّهُام دَعِيهَا	أصْبَتْ قَلْباً فـأدْمَى

* * * *

(١) يعود تاريخها إلى ما قبل عام ١٣٧٣هـ، فقد كتب مسودتها الأولى على ظرف كُتِب عليه نائب
جلالة الملك في الجحاز ، ثم كتبها مرة أخرى على ورق مجلس المعارف، وانظر التعليق على
المقطوعتين قبلها.

(٢) تعود إلى ما قبل عام ١٣٧٣هـ، كما يتضح من المقدمة، وقد كتبت أصولها على ورق «مديرية
المعارف العامة» وترك اسم المدرسة ولم يكتب في الأصل.

أخي أي عبء

إلى الأستاذ محمد سراج خراز، هذه القصيدة اشتركت في المساجلة، ونشرتها البلاد
السعودية، العدد ١٠٨٤ في المحرم ١٣٧١هـ

فكنت المسهّد لن تهجدا	أخي أي عبء - ترى - قد ضناك
فأصبحت تشفق أن يفقدا	أخي أي ذنب جناه الشباب
فكنت الذي حق أن ينشدا	شدوت بشعر يهز القلوب
فحق لغصنك أن يسجدا	همست بنغمك بين المروج
بكل زمان بعيد المدى	وما كان إلا ضنى شاعر

* * * *

فعينك منه غدت ساهره	أخي أي غصن تعشقتة
وفتنتها الحلوة العاطره	ومنه نهلت رحيق الحياة
شدوت ترانيمك الساحره	أللبان وهو أمير الغصون
به أودت النغمة الحائره	فمال بعطفه شأن الطروب
ومنك اشتكت روحه الثائره	وأدت صباه وكنت الظلوم

* * * *

لقد قلت: إن الهوى قد ضناك	وبرح قلبك مر السقم
وجنة حبك في بعدها	تلذ وفي الحب يحلو الألم
وجئت تناشد عدل القضاء	وسقت حبيبك نحو الحكم
عليك تعاظمت هجر الدلال	وأكبرت جرحك أن يلتئم
وألفى أصبر إذ ما نأى	ويخفق قلبي إذا ما ابتسم

* * * *

تخاف على العدل من قدّه	ومنه العدالة لا تحجم
ورحت تبوح بدمع الجفون	جذالة قلب له مأثم
وضقت برديته: سحر العيون	وكيد مليح فلا يرحم
وفي ساحة العدل يخبو الهوى	وسهم حبيبك لا يقصم
وقاضي الغصون أمين العدالة	ة ميزانه - جل - لا يظلم

* * * *

عهد

أحسست أن هناءة غمرت كياني
وسموت في دنيا .. تعز على المعاني
لما دنا مني ، وأمعن في التداني
وأفاض من حلو الصباية ما شجاني
لم أدر ما أجرى الهيام على لساني
فهمست أغنية أحب من الأغاني:
«ماذا جرى في حيننا أنا غير جان؟»
فأجاب في صوت كمهموس الحنان
يندى على سمعي ويثلج من جناني:
«أنا في هواك، كما تريد، فهل تراني
أذنبت في غير الدلال وذاك ثاني؟
أما عهدك، فهي تنعم بالأمان
سأظل أرعاها على مر الزمان»
فأجبت: «هل جئت يا أحلى الأمان؟»
وضممته كي يطمئن به جناني
ويصيح للقلب المعذب - كم يعاني -
خفقاته في الحب معجزة البيان
مكة ١٣٧١/٤/٢٢ هـ

* * * *

سمراء

سمراء .. يا لهفي الملح ، ويا صبا باتي وشوقي
يا حيرتي الولهي ، تُلْظِي مهجتي لهباً وتشقي
يا فتنة عصفت بأعماقي ، وآمالي ، وتوقي
أو هكذا لي كنت ثم طويت تهيامي وعشقي

* * * *

عودي إلى الماضي القريب إذا أردت أو البعيد
أفلس من بدأ الهوى والحب في قلب العמיד ؟
ونصبت من تلك النبال وهُنْ من صنع المريد
ودعوت للحسن المثير ، وللصبا الغض الجديد ؟

* * * *

فأثارني حُسنُ قمرّد ، أسمر المغنى .. رقيق :
شفة بها نار ، وأخرى فوق كرزتها رحيق
عين بها سرٌّ يحُور ، وسرها أبداً عميق
حيرتني ، ومن الغريب لحيرتي أهوى أتوق

* * * *

وعلى اللظى المجنون ذقتُ غرامها مرا وحلوا
نهض الغرام ، فإن ظننت بأنه قد عاد صفوا
عادت إلى الصّدّ القديم كدأبها لأعود نضوا

كم ذقتُ منك، فما ارعيتُ .. ولست أقوى
سمراء .. كم ناجيتُ حسنك في قصيدي
وأذبتُه قلباً ، كما شاء الهوى ، عذبَ النشيد
غنى به العشاق، من طرب ، على سمع الوجود
فتضمخت من سحره، حلو البراعم والورود

* * * *

ولكم شكوتُ صبايتي، وتدلّهي وتولّعي
وبما أقاسي من هواك، وشقوتي وتفجّعي
فإذا حنوت على فتاك فإنما كي تسرعي
نحو الصدود .. كأنّ قلبك صخرة ليست تعي

* * * *

ولكم لهثتُ وراء حبّك كي تعودني
للسالفات الماضيات الخاليات من العهود
فنشرتُ أشلاء مبعثرة كواذب من وعود
كيما أعود - ولن أعود أحتّ خطوي من جديد

* * * *

سمراء إني قد سئمتُ ، نعم سئمت فلا تلومي
إن غاب شاعرك المغرّد في رياضك، أو ترومي
أوباً إليك، فإن لي عزمًا من العزم الصميم
سأحيل روضك مقفراً من لحنى الشادي الرخيم
مكة ١٣٧١٧/٦هـ

* * * *

مَوْكِب

قَصِيدَةٌ لِلْأَسْتَاذِ سِرَاجِ خِرَازٍ نَشَرَتْهَا الْبِلَادُ السَّعُودِيَّةُ فِي الْعَدَدِ ١٢٢٤ الصَّادِرَةِ فِي

١٣٧١/١٢/٢٠ هـ .

يَا حَبِذَا الْأَغْصُنَ اللَّاتِي مَرَرْنَ بِنَا
فِي مَوْكِبٍ كُلُّهُ سِخْرٌ وَإِغْرَاءُ !
شَدْتُ إِلَيْهِ عِيُونَ الْقَوْمِ وَأَنْطَلَقْتُ
بَوَاعِثُ مِنْ أَمَانِيهِمْ .. وَأَهْوَاءُ
فَمَنْ رَأَى رَوْضَةً تَمْشِي وَقَدْ ثَمَلَتْ
كَمَا مَشَى فِي جُفُونِ الْغَيْدِ إِغْقَاءُ
وَمَنْ رَأَى الْأَرْضَ زَانَتْهَا كَوَاكِبُهَا
وَلِلثَرَى أَنْجَمُ كَالْأَفْقِ زَهْرَاءُ
دُنْيَا مُجَنِّحَةٌ الْأَحْلَامِ رَاقِصَةٌ
لَوْقَمِهَا صَدَحَاتُ الطَّيْرِ أَصْدَاءُ

* * * *

وَرُبُّ غُصْنٍ تَهَادَى كَيْ يُضَلِّلَنِي
وَفِي تَهَادِيهِ لِلْأَلْبَابِ إِغْوَاءُ
رَبَّانٍ أَفْعَمَهُ زَهْرُ الصَّبَا مَرَحًا
وَهَزَّ عِطْفِيهِ حُسْنُ مِنْهُ وَضَاءُ

يَكَادُ مِنْ رِقَّةٍ أَنْ لَا يُرَى أَثَرُ
لِخَطْوِهِ ، فَكَأَنَّ الْخَطْوَ ، إِيمَاءُ
رَنَّا إِلَيَّ وَفِي عَيْنَيْهِ ضَا حَكَّةُ
مِنَ الْفُتُونِ أَطْلَتْ وَهِيَ عِزَاءُ
وَكَانَ مِنِّي عَلَى بُعْدِ فَرَقَةٍ
مَا قَرُبَ الذُّبَابُ إِذْ لَاحَتْ لَهُ الشَّاءُ
قَدْ ظَنَّ أَنَّ فَوَّادِي يَسْتَلِينَ لَهُ
فِرَاعِهِ سَاخِرٍ بِالْحَبِّ أَبَاءُ

* * * *

يَا مَنْ تَرْنَحَ مَزْهُوًّا بِنَضْرَتِهِ
وَهَلْ لِفَيْرِ الْغُصُونِ النُّضْرُ إِزْهَاءُ
بَعْضُ الدَّلَالِ ، فَمَا كَانَتْ لِتَخْدَعَنِي
رُؤْيَ يَصُورُهَا الْإِغْرَاءُ ، حَسَنَاءُ
مَنْحَتِ عَيْنِي مَا تَهْوَاهُ مِنْ مُتَعٍ
وَلِلْعُيُونِ صَبَابَاتٍ وَأَهْوَاءُ
لَكِنْ ضَنْنْتُ بِقَلْبِي أَنْ تَعْبِثَ بِهِ
أَيْدِي الْغُصُونِ وَأَنْ يَنْتَابَهُ الدَّاءُ
فَحَسِبَ قَلْبِي مِنْ حُبِّ مَضَى أَلَمِ
وَحَسِبَ قَلْبِي مِنْ دُنْيَايَ إِرْزَاءُ

* * * *

وَهَلْ أَدُلُّكَ فِي نُصْحٍ عَلَى غَرْدٍ
إِذَا تَرْنَمَ فَالْأَذَانُ إِصْغَاءُ
الْحُبِّ أَنْشُودَةٌ فِي فَيْبِهِ خَالِدَةٌ
وَبَيْنَ جَنْبَيْهِ لِلْأَغْصَانِ أَفْيَاءُ
فَخَطَرَةٌ مِنْكَ أَحْمَلُ تَدَاعِبُهُ
وَنَظَرَةٌ مِنْكَ إِلَهَامٌ وَإِحْيَاءُ
وَمَا عَلَى « شَاعِرِ الْأَغْصَانِ » إِنْ عَلِقْتُ
أَسْبَابُهُ بِكَ وَاسْتَهْوَاهُ إِدْنَاءُ
فَمَا صَبَا قَلْبُهُ إِلَّا لِذِي غِيَدٍ
عَلَيْهِ مِنْ نَفَحَاتِ الْخُلْدِ سَيْمَاءُ
حَدِيثُهُ النَّاعِمُ الْمَخْمُورُ أُغْنِيَهُ
وَطَرْقُهُ الْفَاتِرُ الْوَسْنَانُ صَهْبَاءُ

* * * *

مَوْكِبٌ وشاعر

قصيدتي الجوابية ، نُشرت في البلادِ السعودية العدد ١٢٣٥ في ١٥/١/١٣٧٢هـ.

شِعْرُهُ فِي الْهَوَى ، هَوَى مَشْبُوبُ
غَزَلَ .. تُسْتَرْقُ مِنْهُ الْقُلُوبُ
شَاعِرٌ يَسْحَرُ الْمَسَامِعَ بِاللَّحْنِ
وَتُفْضِي بِهِ إِلَيْنَا الطُّيُوبُ
إِنْ شَدَا فَالْشَّدَى تَرْتَجُحُ فِي الرُّوضِ
وَأُصْغِي هُنَاكَ الْعَنْدَلِيبُ
كَيْفَ لَا يَسْتَبِي الْمَهَاءَ عَلَى السَّبَسَبِ
وَالْغُصْنِ ، وَهُوَ بَعْدُ رَطِيبُ
كُلَّمَا مَرَّ مَوْكِبُ الْحُسْنِ تَيَّاهَا
وَتَاهَا بِه هُنَاكَ الدَّرُوبُ
وَجَدَ الشَّاعِرَ الَّذِي نَصَبَ الشُّعْرَ
شِبَاكًا مَحْبُوكَةً لَا تَخِيبُ
وَعَجِيبُ أَنْ يَرْكَنَ الصَّيْدُ لِلصَّائِدِ
لَكِنْ .. فِي الشُّعْرِ سِحْرٌ عَجِيبُ
فَانْبَرَى الشَّاعِرُ « السِّرَاجُ » فَغَنَى

وَتَغْنَّتْ لَهُ الْمَهَا وَالسُّهُوبُ
وَهَفَّتْ أَغْصَنُ فَمَاسَتْ وَمَالَتْ
وَالْأَمَالِي دُكِّلُهُنَّ الطَّرُوبُ
فَتَمَلَّى مِنْ مَوَكِبِ الْحُسْنِ مَا شَاءَ
وَكَانَتْ قَدْ سَاعَفَتْهُ الْغُيُوبُ
وَهُنَا رَاعَ مَسْمَعِيهِ رَقِيبُ
لَيْسَتْهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ الرَّقِيبُ
هُوَ صَوْتُ الْوَقَارِ قَالَ يَا شَاعِرُ
مَاذَا ؟ أَيْسَتَبِيكَ النَّسِيبُ ؟
قَالَ : كَلَّا ؛ يَا مَوَكِبَ الْحُسْنِ أَمْضِي
فَهُنَا شَاعِرُ الْإِنِّمَا قَرِيبُ
هُوَ قَوْلٌ يَرْضَى الْوَقَارَ وَلَكِنْ
لَيْسَ يَرْضَى بِهِ فَتَى مُسْتَرِيبُ

* * * *

أَيْنَ يَا شَاعِرِي فَدَيْتُكَ غُضْنُ
ضَلَّ فِي حَسَنِهِ الْأَدِيبُ اللَّيِّبُ ؟
خِفْتُ مَنْ دَلَّهِ عَلَى قَلْبِكَ الْمَضْنَى
وَجَرَحَ قَدْ حَارَ فِيهِ الطَّبِيبُ
فَتَخْبِرْتَنِي .. وَلَمْ تَدْرِ أَنِّي

لِيَ قَلْبُ جَرَّاحِهِ مَا تَطِيبُ
مَوْلَعُ بِالْجَمَالِ أَيْنَ كَمَنْ الْحُسْنُ
وَكَمْ لَمْتَهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ
أَتَخْشِي رَتَهُ ؟ وَلَكِنْ حَنَانِيكَ
تَرَى أَيْنَ غَصْنِكَ الْمَحَبُّوبِ ؟
خَفْتُ مِنْهُ ، وَعَدْتُ خَفْتُ عَلَيْهِ
وَمِنَ الْحَبِّ أَنْ يُصَانِ الْحَبِيبُ

* * * *

يَا صَدِيقِي إِنْ أَفْعَمَ الْحَبِّ قَلْبِي
ثُمَّ أَذْكَى بِهِ لَظَى لَا يَذُوبُ
فَهُوَ مِنْ قَبْلُ مَوْلَعُ بِهِوَى الْمَجْدِ
لَهُ فِيهِ صَبْوَةٌ لَا تَغِيبُ
وَهُوَ مِنْ بَعْدُ فِي دُنَى النَّاسِ مُضْنَى
فِي خِصْمٍ تَعُجُّ فِيهِ الْخُطُوبُ
وَالْفُؤَادُ الْكَبِيرُ يَطْلُبُ رُوحاً
كُلَّمَا اشْتَدَّ مِنْ سَرَاهُ الْوَجِيبُ ؟

* * * *

حُلم^(١)

خَفَّفْتُ حُلْمَ اللَّيَالِي
يَا نَسْمَةً مِنْ عَبِيرٍ
حَسَبْتُ فِي الْحُلْمِ نَفْسِي
بَنَيْتُ فِيهِ قُصُوراً
وَكَمْ جَلَبْتُ صَبَاباً
جَلَبْتُ نَاراً وَنُوراً
صَنَعْتُ هَمْسَةً عَطِيراً
وَصُغْتُ كَمْ صَغْتُ وَهْماً
صَنَعْتُ سَمِراً وَبَيْضاً؟
خَفَّفْتُ ظِلْمَ اللَّيَالِي
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنِّي
وَأَنْ أَعْجَبَ فَأَرْوِي
يَا نَسْمَةً مِنْ عَبِيرٍ
عَبِرْتُ فِي دَرْبِ شَوْقِي
وَكُنْتُ شَلَالٌ نُورٍ
بَلْ كُنْتُ شَلَالٌ نَارٍ
أُحْصَيْتُ لَيَالٍ عُمُرِي
فَكُنْتُ غَفْلَةً حَظٍّ
فَكَيْفَ أَغْفَى زَمَانِي
وَكَيْفَ نَدَّ نَعِيمٌ
وَكَيْفَ جَادَ سَحَابٌ

يَا فِتْنَةً كَاخِيَالٍ
رَقُوتُ فَرَّقْتُ حَيَالِي
وَالْحُلْمُ تَصَوِيرُ حَيَالِي
وَجَنَّةٌ مِنْ خَيَالِي
مِنْ رَائِعَاتِ الْجَمَالِ
فِي ، قُوَّةٍ لَا تَبَالِي
فِي رَحْمَةٍ كَالظُّلَلِ
وَكَمْ صَنَعْتُ اللَّالِي؟
(٢)

يَا فِتْنَتِي يَا خِيَالِي
أَتَالُ أَهْلِي مِنْ أَلِ
مَنْ تَبِعَ هَذَا الْجَمَالَ
رَقُوتُ فَرَّقْتُ حَيَالِي
كَعَابِرَاتِ الظُّلَلِ
يَا رَوْعَةً الشَّلَالِ
تَضَجُّ فِي أَوْصَالِي
فَمَا أَقْلُ اللَّيَالِي
حَظٌّ شَحِيحُ الْوَصَالِ
وَعَفْوُهُ .. كَالْمَحَالِ !!
كَيْفَ اهْتَدَى فِي الضَّلَالِ؟
بِهَذَا طِلٍّ مِنْ زَلَالِ؟

(١) كتب قبلها في المسودات «من دفتر فيه مذكرات في الأندلس ١٣٧٢/٥/٢٢ هـ».

(٢) هكذا في الأصل لم يكمل شرطه الثاني.

يا عزيزي^(١)

يا عزيزي الذي تجنّى على البعد
هل تراني أكبرت ذنبي حتّى
أم تُرى تهرم المودة كالنا
أم ترى يسأم السفوح رويداً
د وقد كان في حسابي وفيّاً
لم أعد بالسماح منك حريّاً
س ، ويضحى شبابها منسياً
كلّ من يسكن المكان العليّاً
١٤/٣/١٣٧٣هـ

* * * *

يا عزيزي^(٢)

يا عزيزي الذي توجه بالعنـ
إنني ما بعدت ، عن زهرك النا
فلك الودّ خالصاً وهو باقٍ
ولقد تهرم المودة حقّاً
إنما باعدت لقاءك عني
وأنا بعد ، ما سكنت «العوالي»
ب وقد كان عن عتابي غنياً
دي ، وناديك ، وهو أزهى رويّاً
وسيبقى على الزمان فتياً
عند غيري ولن أكون النسياً
المعاذير ، وهي ما علمت عيّاً
إنما أسكن المكان القصيّاً
٢٨/٣/١٣٧٣هـ

* * * *

(١) مداعبة موقعه من صديق له، يظهر من توقيعه أنه محمد عبدالقادر فقيه، ولم يكتب اسمه، وكتب بعد التوقيع شهد بذلك ووجد توقيعان أحدهما لأحمد محمد جمال والآخر غير واضح.

(٢) رد من الرفاعي على مداعبة صديقه السابقة، وقد وقعها بتوقيعه.

إِلَى شَاعِرِ الْأَغْصَانِ

قصيدة للأستاذ سراج خراز نُشِرتْ في البلاد السعودية ، العدد ١٦٣٧ ، الصادر

في ١٣٧٣/١٢/٢٧ هـ.

إِيهِ يَا شَاعِرَ الْغُصُونِ وَكَمْ غُصْنٍ
إِذَا مَرَّ أَرَاكَ يَهْتَزُّ عُجْبًا
أَنْتَ أَحْبَبْتَهَا فَرَّقْتَ وَمَا عَهْدِي
بَهَا أَنْ تَرَقَّ فِي الْحُبِّ قَلْبًا
قَدْ تَصَيَّبَتْهَا بِشَعْرِكَ ، وَالشَّعْرُ
إِذَا نَاغَمَ الْغُصُونُ تَصْبِي
فَهُوَ مِثْلُ النَّسِيمِ يَغْطِفُهَا لِينًا
إِذَا هَبَّ فِي الْأَصَائِلِ رَطْبًا
لَيْتَ لِي حُبَّكَ السَّعِيدَ فَمَا
أَبْصَرْتُ فِي النَّاسِ مِنْكَ أَسْعَدَ صَبًا

* * * *

ثُمَّ مَاذَا .. قَدْ رَاعَنِي الْيَوْمَ إِخْلَادُكَ
لِلصُّنْتِ وَاجْتِنَابُ حُزْنِكَ
لَكَأَنِّي أَرَاكَ تُحْطِمُ قِيَمَاتِي
وَهُوَ الْمَذِيغُ سِرِّ قُتُونِكَ
وَإِذَا مَرَّ مُوَكِّبُكَ لِلْفَيْدِ
تَغَاوَلْتَ زَاوِيَا مَنْ جُفُونِكَ
لَيْتَ شَعْرِي هَلْ تَسْتَطِيعُ اصْطِبَارًا
إِنْ تَحَدَّثْتَكَ غَضْبَةً مِنْ غُصُونِكَ

وَيَقِينِي أَنْ لَا اصْطَبِرَ فَجَاوِزُ
مِنْ جَفَاهَا ، وَدَعْ خِدَاعَ ظُنُونِكَ

* * * *

الْغُصُونُ الْغُصُونُ تَجْنَحُ لِلشَّعْرِ
طَرُوباً وَلَا تَسْـَـيِّغُ النِّوَاخَا
قَدَحَ النَّايِ مَثَلَمَا كَانَ يَخْتَالُ
بِهِ اللَّحْنُ نَشْوَةً وَمَرَاخَا
وَابْعَثِ الطَّرْفَ لِلْمَلَاكِ يُحْيِيهَا
وَيُحْيِي لَكَ الْمَعْنَى الْمَلَاخَا
فِي ابْتِسَامَاتِهَا الرَّقِيقَةَ مَا يَغْرِيكَ
بِالشُّدُو .. غُدُوَّةٌ وَرَوَاخَا
وَأَحَادِيثُهَا اللَّطَافُ سِتِّهَا تَجُ
بِجَنْبِيكَ بُلْبُلًا صَدَاخَا

* * * *

إِنِّي نَاصِحٌ إِلَيْكَ وَفِي نُصْحِي
نُورٌ مِنَ الْوَلَاءِ مُبِينٌ
فَعَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَرَى قَلْبَكَ
رَوْضاً تَمِيدُ فِيهِ الْغُصُونُ
أَوْ أَرَى تِلْكَ الْأَحْسَاسِيسَ
قَدْ جَفَّ هَوَاهَا ، وَغَاضَ مِنْهَا الْحَنِينُ
وَلَأَنْتَ الَّذِي خَلَقْتَ وَفِي بُرْذُوكَ
بِالْحُسْنِ شَاعِرٌ مَفْتُونٌ
فَإَنْطَلَقَ شَادِباً - كَشَانِكَ بِالْأَمْسِ -
وَرَقَرَفَ حَيْثُ الْهَوَى وَالْفَتُونُ

* * * *

بَعْدَ الصَّمْتِ^(١)

« إلى صديقي الشاعر الموهوب الأستاذ محمد سراج خراز .. »

رِكْ فَأَنْقَادَ فِي يَمِينِكَ رَطْبًا	أَيُّ مَعْنَى هَدَهْدَتِهِ الْيَوْمَ فِي شِعْ
ضٍ وَمِمَّا يَنْفَحْنَ طِيبًا وَحُبًّا	صَفْتَهُ مِنْ نَوَاعِسِ الزَّهْرِ فِي الرُّو
جدول يسكب المحبة سكبًا	جدلته يداك مِنْ هَمْسَةٍ فِي
سُ لَتَسْتَدْنِي الْمَعَالِي دَرِيًّا	مِنْ فَمِ الطَّيْرِ قَبْلَ تَسْتَيْقِظُ الشَّم
سَ وَإِنِّي أَرَاهُ .. أَبْهَى وَأَصْبَى	فَهُوَ رَوْضٌ مَوْثِقٌ يَسْحَرُ النَّا

* * * *

تُ فَعَفُوا عَنْ خَادِعَاتِ ظُنُونِكَ	« دَيْتَ لِي حُبَّكَ السَّعِيدَ » كَذَا قُلْ
وشجونني تَفْبِضُ مِثْلَ شُجُونِكَ	تَرَانِي سَعِدْتُ بِالْحُبِّ يَوْمًا؟
قَدْ نَشَدْتُ الْحَنِينَ صَنُوحُونَكَ	كَمْ نَشَدْتُ السُّلُوانَ فِي الشَّعْرِ لَمَّا
نِي فَأَنَا تَنِي الْآنَ رَجَعَ أُنَيْنُكَ	فَجَنَيْتُ الْهَبَا وَهُوَ بَعْضُ مَا تَجْ
صَان لُدْنَا فَعَنَّ كَبَعْضِ فَنُونِكَ	وَذَا كُنْتُ قَدْ تَغَنَيْتُ لِلْأَغَا

* * * *

(١) نُشِرَتْ فِي الْعَدَدِ ١٦٢٢ مِنَ الْبِلَادِ الصَّادِرِ فِي ١٣٧٤/١/٣ هـ ، بِتَوَقُّعِ شَاعِرِ الْأَغْصَانِ ، وَقَدْ صُرِّحَ نِي إِحْدَى الْمَسْودَاتِ أَنَّهُ كَتَبَهَا جَوَابًا لِقَصِيدَةِ «إِيه يَا شَاعِرَ الْفُصُونِ» السَّابِقَةِ.

بعد مَا كُنْتُ شَادِيَا صَدَاحَا
ضَ مَرَا حِي .. فَأَتَرَعِ الْأَقْدَا حَا

يَا صَدِيقِي سَالَتْ عَنْ سِرِّ صَمْتِي
كُنْتُ يَا صَاحِبِي أَقْبِضُ إِذَا فَا

* * * *

طَارَ حَتَّى أَهْزُ فِيهَا الْمَرَا حَا
وَلَّ عَنِي وَغَبِضَ الْأَقْدَا حَا
فِي فَيَسْتَثِيرُ الْمَلَا حَا
فَأَشَذِيَا .. كَأَنَّهُ الْيَاسْمِينُ
سِرِّ أَغَارِيدَ .. كُلُّهُنَّ فُنُونُ
وَعِنْدِي مِنَ الْحَدِيثِ شَجُونُ
بِ وَأُخْرَى تَرَفُّ فِيهِ الْغُصُونُ
فَيَجْرِي .. كَمَا تَشَاءُ السُّفِينُ

ثُمَّ أَسْقِي الْغُصُونَ فِي الرُّوضَةِ الْمَع
جَفَّ رَوْضُ الْمَرَا حٍ وَانْصَرَفَ الْجَد
غَيْرَ بَعْضِ الرِّذَاذِ يَخْضَلُ فِي مِعْزَ
يَا صَدِيقِي .. مَرَحِي لِتُصْحِكَ رَقَا
وَيُودِي أَنْ لَوْ أَغْنَيْ عَلَى الدَّهْ
غَيْرَ أَنِّي مَوْزَعُ الْقَلْبِ وَالْحَسْ
تَارَةً يَمْلَأُ الْأَسَى دَامِي الْقَلْ
وَعَسَى أَنْ تُوَكِّبَ الرِّيحُ شِرَاعِي

١٣٧٣/١٢/٢٧٤ هـ

* * * *

انتظرنِي غداً^(١)

قَالَ لِي هَامِسًا :

«انتظرنِي غداً»

قَالَ لِي، وَهُوَ يَعْبُرُ الدَّرَبَ أَمَامِي، عَلَى حَذَرٍ
وَبَهْمَسٍ كَأَنَّمَا هُوَ خَفِقُ النُّسِيمِ لِلزُّهَرِ
وَبِعَيْنَيْهِ حُلُوُ إِمَاءَةٍ أُعْنِيكَ بِالْخَبَرِ:
«انتظرنِي غداً»

* * * *

قَالَهَا عَابِرًا وَمُسْرَعًا خَطْوًا وَمَائِسًا
وَبِعَيْنَيْهِ بَسْمَةُ الْوَعْدِ، وَإِنْ ظَلَّ عَابِسًا
وَوَنَى جِيدَهُ .. كَأَن لَّمْ يَقُلْ هَامِسًا:
«انتظرنِي غداً»

وَتَوَلَّى .. وَاسْتَيْقَظَ الشُّكَّ مَلِيًّا .. أَلَأَنِي
أَنَا هَذَا السَّعِيدُ، بِالْمَوْعِدِ الْأَبْيَضِ الْهَنِيِّ؟

(١) كتبت على ورق (بوك) جريدة البلاد السعودية مماثل لأوراق القصائد قبلها، مما جعلنا نرجح أنها تعود لعام ١٣٧٤هـ.

أَتَرَى تَصَدَّقُ الْمَنَى ؟ عِنْدَمَا قَالَ فَاتِنِي:
«انْتَظِرْنِي غَدًا»

* * * *

وَأَنْتَظَرْتُ الْغَدَا
ظَامِنًا أُرْقُبُ
يَا لَطُولِ الْمَدَى!
كَيْفَ لَا يَقْرُبُ؟
وَلَوْ أَنَّ لِي يَدَا
كَيْفَمَا أُطْلَبُ
لَحَثَّتُ الْغَدَا

* * * *

عَوْدَةٌ^(١)

إِنِّي وَمَنْ بَثَّ الْفَتُونَ مَرَقَرَقاً فِي نَاطِرِكَ
وَيَمْنُ أَثَارَ لَظَى اللَّهِيْبِ عَلَى حَفَافِي كِرْزَتِيْكَ
وَيَمْنُ أَشَاعَ الْفِتْنَةِ الْوَلَهَى تَرْفُ فِي مَعْطَفِيْكَ
إِنِّي نَسِيتُ صَبَابَتِي ، تِلْكَ الدَّفِيْنَةُ وَالْعَمِيْقَةُ
حَتَّى أَعْدَتِ شَبَابَهَا .. وَأَثَرَهَا ، فَغَدْتُ طَلِيْقَهُ

* * * *

إِنِّي وَمَنْ لَفَّ النُّضَارَةَ فِي غَشَاءٍ مِنْ ذَهَبٍ
وَأَشَارَ لِلشُّعْرِ الْحَرِيرِ وَقَالَ لِلَّيْلِ : أَنْسَكِبْ
وَإَكْسُ الْحَوَاجِبَ عَنِّيْراً ، وَدَعْ الرِّذَاذَ عَلَى الْهَدْبِ
إِنِّي نَسِيتُ لَوَاعِجَ الشُّوقِ الْعَتِيْقَةِ وَالرَّقِيْقَةِ
وَالْغِيْرَةَ الْحَمَقَاءَ تَعْصِفُ نَارَهَا أَبْدأً دَفِيْقَهُ

* * * *

وَالْآنَ قَدْ عَادَ الْغَرَامُ يَطْلُ طِفْلاً مِنْ عَيُونِكَ
وَيَحْرُكُ الشُّجْنَ الْقَدِيْمَ ، وَيَا لَخَوْفِي مِنْ شَجُونِكَ
لَكِنِّي سَاعُودَ رَغْمِ لَظَاكِ ، مَنْ أَسْرَى جَفُونَكَ
سَاعُودَ لِلْيَأْسِ الْمُبْرَحِ لَا رَتْعَاشَاتِ الْمُنَى
لِلْغِيْرَةِ الْحَمَقَاءَ ، هَا أَنَذَا أَعُودُ ، نَعَمْ أَنَا
هـ ١٣٧٣ / ١٠ / ٢٨

* * * *

(١) نشرت في جريدة البلاد السعودية في العدد ١٦٧٢ في ١٣٧٤ / ٢ / ٢٠ هـ بتوقيع شاعر الأغصان.

الهوى الأسمر

أفِقْ ..
فَالسُّنَا مُنْدَلِقُ
وَهَذَا الْجَمَالُ
أَلَا تَنْظُرُ؟
أَلَا تَشْعُرُ؟
بِأَنَّكَ فِي خَدَرٍ غَامِضٍ؟
وَأَنَّكَ تَسْمُو إِلَى عَالَمٍ
جَدِيدِ الرُّؤْيِ
مِنْ هُنَا مُنْبَثِقُ

* * * *

أَطْلُ
فَهَذَا جَمَالٌ جَدِيدُ
فَرِيدُ
وَلَيْسَ لَهُ مِنْ حُدُودِ
وَلَكِنَّهُ يَبْهَرُ
وَتَشْعُرُ مِنْ قَلْبِكَ النَّابِضِ
بِأَنَّكَ . فِي عَالَمٍ غَامِضٍ

تُدَغِدْغُهُ أُمْنِيَّاتُ عَذَابٍ
أُمْنِيَّاتُ الشُّبَابِ

* * * *

أَيُّ جَمَالٍ جَدِيدٍ؟
رَائِعٌ يَسْحَرُ
لَمْ أَكُنْ أَشْعُرُ
أَنَّهُ يَأْسِرُ
الْهَوَى الْأَسْمَرُ
وَالسُّنَا يَنْبَثِقُ
مِنْ ثَنَائِيَا شَفَقِ
لَوْثُهُ عَنْبَرُ
وَالشُّذَى عِبْهَرُ؟

* * * *

أَنْتِ يَا مَنْ تَعِيشِ
فِي ضِيَابِ السُّرَابِ
أَفَلَا تَنْظُرُ؟
أَفَلَا تَشْعُرُ؟
أَفِئْقُ
فَالسُّنَا مُنْذَلِقُ

١٣٧٤/٧/٢٥ هـ

* * * *

يا سيدي

يا سيدي : والله يجزي من شكر
سيارتي : انشَقْ بها اليوم «كَفَر»^(١)
وموشك تتبعه بعد آخر
من طول شكواها لوعثاء السفر
وليس يخفى أن في هذا الخطر
فإن تفضلت به (طقماً) أغر
فأنت أهل الفضل ، والفضل أثر
يا سيدي والله يجزي من شكر

١٦/٥/١٣٧٥هـ

* * * *

(١) كفر : إطار، من العامي الدخيل، انشق: تنطق بالعامية بقاف مخففة، ومعناها تمزق.

بَرْدَان

نشرت في العدد ١٧٥٤ من البلاد السعودية الصادرة في ٢٧ جمادى الأولى ١٣٧٤هـ مع هذه المقدمة:
«كان يتفقد أوراقه القديمة، إذ عشر على هذه القصيدة «المتنكة» التي كان قد جارى بها أخاه
«القنديل»، وإن كان الفرق كبيراً بينهما لأن أبيات قنديل «مشعللة»، أما هذه فمختنفة زي فانوس
البلدية الذي لا يزال باقياً على العهد، مع ملاحظة أن هذه الأبيات قبلت منذ زمن، وفي أيام اشتد فيها
البرد كهذه الأيام^(١)»:

لعل على القروش له عتابا	سلوا جَيْبِي غداة خلا وسابا
أعدُّ له كأن به خرابا	وإن شئتم سلوا عقلي لماذا
تغيَّب قرشه ولى فغابا	كأن القرش يصلحه وإما
وأقعد بعده زي الغلابي	أدروش بعده زي الحيارى
ومالي غير إفلاسي شرابا	وأمشي في الشوارع كالسكارى
ومالي في الحظوظ عدا الهبابا	ويحسبني المنعم ابن حظّ
أسدها وراعيه يُبْهَدلني شغابا	فأجرة داري الخربان لما
كبيراً لست أحصيه حسابا	وعند الحضرمي أضحى حسابي
مشيت مُقَافِياً ألفي احتجابا	وصرت إذا طرقت زقاق بيتي
مخافة أن يقطعني انغضابا	عَمِيلُ اللحم لا آتبه قطعاً
كما عاديت بَعْدَكُمْو- الكبابا	فقد صَهَيْتَ عن أكل البُخاري
ولو في جَرُولٍ أدعو الركابا	ولو يوماً عُزمت بدار قوم
كَرَزَكَرْ أو كُذَيْلُكَأ مهابا	وما يعني الركاب بأن عندي

(١) المتنكة: من التَّنَك وهو الصفيح. القنديل: الشاعر السعودي أحمد قنديل وقد عرف بشعره
الحلمنتيشي. مشعلله: مشتعله. زي: كلمة عامية معناها مثل، وفي القصيدة كلمات شعبية كثيرة.

ولا «سيسي» ولا حتى «حماراً»
ومالي في البراد سوى أكالٍ
وثوبي أصله من «درزوزن»
يُصرِفُ دُنِّي البرادُ ولا يُداوي
ولي في السوق نظراتٌ طوال
أغازله وأشكو من غرامي
وإن طبَّيتُ سروقاً فينصلياً
ومالي في الندامة غير كفٍّ

* * * * *

ولي في البيت أطفال صغار
يقول لي [الصبي] العفريت فوزي
وليلي ثم سلوى ثم شوقي
ومالي حيلة فيهم، ولكن
وما خوفي سوى من لدع بردٍ
فإن ثيابهم ليست تُدْفِي

* * * * *

أداريهم وما عرفوا الخطاباً
تُرى «بابا» شريت لي الكتاباً^(٣)
أداروا رأسي الحيرى طلاباً
عبيتُ بهم وأعيونني غلاباً
يُصِيبُهُمْ إذا ما الكارُ ناباً^(٤)
وكان فراشهم يحكي التراباً

* * * * *

فيا ربي، ومالي غير ربي
تناساني عبادك واستراحوا
فها أنذا نفضتُ إليك ثوبي
فشِلْ عني الهموم وخَلْ بالي

* * * * *

إذا المضطر يدعوه أجاباً
إلى ترفٍ له طابوا وطاباً
وجئت لكي أدقّ إليك باباً
نظيفاً واطرَحْ عني العذاباً

* * * * *

(١) سيسي : مرسدس.

(٢) درزوزن: مدينة طريزون التركية.

(٣) الصبي: ليست في الأصل وأضفناها ليستقيم الوزن والمعنى.

(٤) الكار: الكراء

بُنَيَّ

هذه الأبيات نظمت في القاهرة في (جراند أوتيل) بعد أن بلغني أن ابني الأول لم يكد يصل الدنيا حتى رحل عنها بعد سويعات قليلة ، فقلت أرثيه ولم أكن قد رأيته:

بني ! ولم تمكث لتسمع همستي
إليك : بني ! أو [لا] لأسمع «بابا»
ولم تلتقِ العينان ، عين أبوة
مفرية تشكو نوى ومصاها
وعين بها معنى الصفاء وليتني
شهدت بها وهج الصفاء مذاها
ولم تلتمس كفان ، كف مجرب
خبير إذا غش الزمان وغابا
وكف أبى حتى على الشدي مسه
شموخاً فلم ترض اللبن مشابا
أدركت أن الكأس في هذه الدنى
مكدرة حتى أبى شرابا
تعجلت عنها ما استرحت هنيهة
فما جئت إلا قد نويت ذهابا

لقد كنت أرجو بعدُ مكثك مدة
من الدهر في سجن يضيق رحابا
لقد كنت أرجو أن يريحك ريق
من النور ، والدنيا تضم عجايا
ولكن تعجّلت المسير فهل تُرى
كشفت عن الآتي فعفت سرايا
رأيتَ على الأرض الرزايا مقيمةً
فاشفقت منها فانشئت إيايا
بنفسي .. لقد أحسنت لولا حشاشةُ
معذبة بثّت جوى وعذابا
بنيّ تعجلت الذهاب فإن أقلّ
أصبتَ فقد كان الصواب مصابا

يوم الجمعة ٣٠ صفر ١٣٧٦ هـ

* * * *

حكاية حب^(١)

تَقُولُ لِي..

"حكاية الهوى التي نعيشها

هل صُغْتَهَا شعراً؟

وهل وصفت قبْلتي

وطعمها البِكر؟

هَلْ نَقَلْتَ لِلوَرَى

أَنَاتِكَ الحُرَى؟

هَلْ وَصَفْتَ

لَحْظَةَ اللَّقَاءِ وَالْوَدَاعِ

وَاللَّوَاعِجِ الأُخْرَى؟

قَدْ وَصَّفوكَ شَاعِراً

تُكَلِّمُ السَّنَا

مِنَ الرَّبَى

وَتَجْمَعُ الشُّذَى

وَتَنْفُحُ العِطْرَا

أَلَيْسَ فِي غَرَامِنَا

مَا يَبْعَثُ الشُّعْرَا؟"

* * * *

(١) كتبت على ورق مائل للورق الذي كتبت عليه قصيدة «بني» وأكملت على ورق فندق «جراند أوتيل» بالقاهرة، مما يدل أنه كتبها في مصر عام ١٣٧٦هـ، ثم جدّد كتابتها في إحدى الكرايس المشار إليها في المقدمة، وفيها وضع لها عنوان «حكاية حب».

حَبِيبَتِي
مَهْلِكِ يَا حَبِيبَتِي
يَا فَتَنْتِي الْكُبْرَى
مَا أَعَذَبَ الْعِتَابَ يَا حَبِيبَتِي
مَنْ فِيكَ
بَلْ .. مَا أَعَذَبَ الثُّغْرَا !
أَحْلَى عِتَابِ
رَنْ فِي مَسَامِعِي
مَسَامِعِي سَكْرَى !..

* * * *

مَعذَرَةٌ
أُقَدِّيكِ يَا حَبِيبَتِي
إِنْ تَقْبَلِي الْعُذْرَا
أَيَّامُنَا مَرَّتْ ..
عَلَى أَحْلَامُنَا
مَبَاهِجاً تَتَرَى
مَا تَرَكْتَ لِخَاطِرِي ..
- الْإِلاَك - يَا قَصِيدَتِي
قَصِيدَةٌ أُخْرَى ..
مَنْ كَانَ بِالْجَنَّةِ يَا حَبِيبَتِي
لَا يَذْكُرُ الصُّحْرَا "

* * * *

من فينا^(١)

مِنْ فِينَا مِنْ فِينَا يَا لَهَا بِنْتُ فِينَا
ضَمْنَا لَيْلٌ .. وَكَمْ ضَمَّتْ لَيْالٍ مِنْ مُعْنَى
فَمَرَحْنَا .. ثُمَّ قُلْنَا : لِغُبَارِ النَّوْمِ : دَعْنَا
عُمْرُنَا .. نَعْمَةُ شَادٍ .. مِنْ شِدَاهِ الطَّيْرِ غَنَى
وَتَوَلَّى مُسْرِعَاً ، إِلَّا صَدَى فِي الْأَفْقِ رَنَّا
فَاخْتَلَسْنَا لَيْلَةً مِنْهُ .. وَهَلْ كُنَّا اخْتَلَسْنَا ؟

* * * *

أُتْرِعَتْ كَاسَاتُهَا .. ثُمَّ احْتَسَتْ مِنْهَا الْهُوْنَى
ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ سَكْرَى : أَنَا لَا أَبْصِرُ دُنَا
أَنَا لَا أَبْصِرُ مِنْ كَاسَاتِكُمْ كَاساً مُرِنَا

(١) لم أحذف شيئاً من شعر الشاعر أو أتصرف فيه وقد ترددت في مضمون هذه القصيدة، لما أعرفه عن الشاعر من الصلاح والعفاف، فرأيت أن أستشير برأي بعض أصدقائه الخُلص، ومنهم الأستاذ عبدالعزيز ابن عبدالله السالم الذي كتب لي مانصه «كان الغزل مدخل الشاعر العربي في الجاهلية وصدر الإسلام إلى موضوع القصيدة، وقد استمع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى كعب بن زهير في قصيدته (بانت سعاد) باستهلالها الغزلي، وبعض الفقهاء لهم غزل عفيف، ولذلك لا نجد حرجاً في إثبات هذه المقطوعة لشاعرنا الرفاعي الذي نعرف عنه الصلاح والعفاف، ولكنها خطرات شاعر، والشعراء يقولون ما لا يفعلون».

فأجبنّاها : اشرييها .. نحن قوم ما شربنا
سكّرنا من خمر عينيك .. وإنا قد سكرنا!

* * * *

أنت .. يا شقراء ، يا سكباً من النور وأسنى
يا اندلاقات شعاع ريق الحُسن رأينا
لون عينيك سَواوات من الحُسن ارتفعنا
لوثها .. صفو من اليم إذا اليم اطمأنا
أنت معنى .. يعجز الشعر فلا يفصح معنى
فانطق به .. انطقي شعري عسى يعزف لحنا!

* * * *

ورنت نحوي بعين من فتور السحر وسنى:
أنت مصري؟ وقد قلت: إلى المصري أدنى
أنا من قطر به الصخراء والأمجاد مغنى
فاذكري - إن شئت - ليلاً سامراً فيه اجتمعنا
ضم فتباناً من البید ، وحسناً من فينا
اذكرينا كلما أمعنت الأيام .. إنا قد ذكرنا

القاهرة ١٣٧٦/٣/٣هـ

* * * *

حقـد

انثروا الحقـد عليهم
واطرـدوهم
واجلدوهم
إنهم قد نثروا الحقـد علينا
طرـدونـا
جلدونـا
وهـمـو كانوا البغـاه

* * * *

سرقوا أوطاننا
ثَّـثروا منا
ولا ثَّار لهم
فأثَّاروا منهم
إنما الثَّار لكم
واحصدوهم
واجلدوهم
وازهقوا كل حياه
إنهم قد أزهقوا أرواحنا
مزقونا

شتتوا أقوامنا
ثم جاؤوا
باليهودي المشرّد
والنفائات البغيضة
وعلى أنقاضنا
وعلى أشلائنا
أشلاء موتانا
من صغار وكبار
ونساء ورجال
غرسوا دولة إفك تتمرّد
وأنا صرت اليهودي المشرّد
فلماذا؟

* * * *

حصدونا
قصفوا الآمن من أوطاننا
ورموا أشلائنا
فوق الصعيد
في بور سعيد
دمّروا الدور وساقونا
من صغار وكبار
ونساء ورجال

للدمارُ
فتنادينا
وافتيدينا الوطن الغالي
بلاد الذكرياتُ
وتكاتفنا
وكنا كلنا صفاً موحدُ
للجهاد
فاسألوهم
اسألوا عنا الجناهُ
عن دمانا
فوق شطآن القناهُ
أي ذنب قد جنينا
حينما جاؤوا إلينا
ولماذا؟

* * * *

حصدونا
ورموا أشلاءنا
في الجزائرُ
ولنا في كل يومُ
قصة ثائرُ
في الجزائرُ

غير أنا
سوف نمضي
في الطريق الوعر
ستروي الأمم الحية عنا
قصص الأبطال منا
ونفاخر
وستروي
قصصاً أروع من كل خيال
قصصاً يكتبها
في كل يوم
بالدم الغالي رجال
في الجزائر
وغداً..
وغداً يوم قريب
توميء الدنيا إلينا
ونقول:
كل هذا المجد من صنع يدينا
كل هذا

جدة ١٣٧٦/٨/٩ هـ

* * * *

هتف البشر

هذه نظمت بناء على طلب أحد الأصدقاء^(١) لم أعد أذكره وربما لزفاف ابنه أو قريبه ، ويبدو أن اسمه أحمد، فقد نسيت الاسم والغرض.. أو نسيت المناسبة والغرض من إنشادها في الحفل.

هتف البشر والسرور تجدد	ومضى السعد في ركابك ينشد:
هتف العندليب في يومك الزا	هر شدوا ويلبل الأيك غرد
بالقران السعيد تزهو الأماني	والليالي على زفافك تسعد
يالليالي السرور لا زال معنا	ك على الدهر خالداً ليس ينفد
ويناديك يثمر الأمل الحد	و على أيكة الحبور المجدد
والأحباء في رياضك يمتا	حون من حوضك الشهي المبرد
ورياح الأيام تمشي رخاء	عطرات، من عطرها الطيب والنّد
وحبا الله بالسعادة والبش	ر أخانا بحفله وبأحمد
	١٣٧٧/٢/٧ هـ

* * * *

(١) وعلق عليها في ١٤٠٥/٧/٣ هـ «حبذا لو تنشر في (الأربعاء) مثلاً تحت عنوان (من سمع هذه الأبيات أو من حضر هذه المناسبة أو من يعرف مناسبتها)».

جميلة^(١)

«جميلة بوحريب .. مثل من أمثلة الكفاح المجيد في الجزائر»

جميلة

وكاسمها الجميل

جميلة

جميلة الكفاح

وتحمل السلاح

بيدها النحيلة

وخصرها الضئيل

ينوء بالسلاح

لكنه الصراع

وشرف القبيلة

وشرف العروبة النبيلة

* * * *

الثأر لن يُضاع

وهذه الدماء

دماؤنا الطليعة

(١) نشرت في جريدة عرفت في ١٣/٨/١٣٧٧هـ.

دم الشقيق الحاني

والوالد الشفوقُ

دم الخطيب الغالي

الثَّارُ لن يضاعُ

وهذه الدماءُ

غالية عزيزه

لن أسكب الدموعُ

فشأنها مشاعُ

فالدمة الهزيلة

أماراة الضياعُ

بل أبذل الدماء

وأرسل القنابل

وأشعل الفتيلة

* * * *

بيدي النحيلة

وقلبي الكبير

أحب أن أقاتل

فالثَّارُ لن يضاع

ما دام في وجودي

عروبة أصيلة

ومحتد أصيل
يمتد من جدودي
فهذه الجبال
وهذه التلال
وهذه الرمال
من وطن الجزائر
قد سقيت دماء
وغذيت فداء
من محتد نبيل
لنصرة الفضيلة

* * * *

والآن يا فرنسا
يا بلد الرذيلة
سنصدق الكفاح
ونحمل السلاح
النسوة الثكالى
صفاً مع الرجال
سنكشف القناع
لننبذ الدخيل
فالتأر لن يضاع

سأحمل السلاح
بيدي النحيلة
سأشهد الدنى
أني أنا
وإخوتي القلائل
وعدتي القليلة
سنهزم الخنا
والعدد الكبير
ونحرز البطولة
فالتأر لن يضاع

١٣٧٧/٨/٥ هـ

* * * *

وصدى عتاب

مهداة للصديق الشاعر الأستاذ سراج خراز

ماله بلبل الرياض الذي غنى زماناً يعاف صوغ الأغاني؟
ماله ..؟ لحنه من الطلّ أندى ، إن مشى الطل في ربيع الجنان
ماله ..؟ وهو إن شدا تخرس الطير احتفاءً بعبقري المثاني
وتواصت سواجع الأيك ، في الأيك : أصيخي لرائع الألحان
ماله اليوم لا يريق الأغاني ، عذبةً في مسامع الأزمان؟

* * * *

قال: إن البلبال اليوم تنأى ، عازفات عن عالم الغريان
همّها أن تعيش في الروض غناءً حلواً ينساب في الوجدان
والغراب الخسيس ينعب في القف ر إزاء الأشلاء والديدان
إيه شتآن بين بلبل دوح ونعيب يقسو على الآذان
قال : إن الأجواء رعب ثقيل بين نار مسعورة ودخان!
وقساة القلوب ، قد وزعوا الموت رشاشاً يطوف بالأكوان!
أترى أنت في ضجيج الصواريخ مكاناً يضم صوت البيان؟
(ولي العذر إن صمتُ كما ارتاح إلى الصمت شاعر الأغصان)^(١)

* * * *

(١) هذا البيت مقتبس، وبدل السياق على أنه لسراج خراز وأن هذه القصيدة ردّ على قصيدة للخراز.
ولم أعثر عليها.

ياسراج القريض ، لا يسكت البلبل حتى الحبيس في القضبان
أرسل اللحن واملأ الجو غناءً عذباً يهزُّ سمعَ الزمان
إن سرَّ الغناء أن يرفع الشجورَ ويجلو كوامنَ الأحزان
لاتدعنا نعيش في زمن الذعر خليين من رقيق الأماني
إن معنى الحياة ، أن يلتقي الضدان .. فالخوف في ركاب الأمان
فاصدح الآن بالأغاريد نشوى كي ننفذ السلام للإنسان
خلَّ عُتبي يا شاعر الوجدان فلقد جف شاعر الأغصان

١٣٧٨/٥/٤ هـ

* * * *

صدي عتاب^(١)

« إلى صديقي الأستاذ عبدالفتاح أبو مدين »

سَأَلْتَنِي عَنْ شَاعِرِ الْأَغْصَانِ ؟
أَيَّنَ أَشْعَارُهُ وَأَيَّنَ الْأَغَانِي ؟
أَتَرَى جَفَّ نَبْعُهُ أَمْ تَمَادَى
مُغْنِئاً فِي مَعَارِجِ النَّسِيَّانِ ؟
أَيَّنَ أَيَّامُهُ وَأَيَّنَ شَوَادِيهِ
ذَلِكَ الشَّاعِرُ الطَّرُوبُ الْبَيَّانِ ؟
الرَّقِيقُ الْحَشَا .. "رَقِيقُ الْحَوَاشِي"
إِذَا يُغْنِي الْغُصَّوْنَ بِالْأَلْحَانِ

(١) نشرت بمجلة الرائد، بالعدد الثامن، الصادر في ١٦ جمادى الآخرة ١٣٧٩هـ ردأ على ما كتبه صاحبها في عدد سابق من تساؤل عن شاعر الأغصان.. وكان قد كتب في العدد السادس الصادر في ١٦/٥/١٣٧٩هـ، ص ٦ ما نصه « في أيام مضت، ليست ببعيدة كان - ولا يزال بالطبع- شاعراً رقيق الحواشي، وما أدري هل تعجبه (رقيق الحواشي) هذه أم يراها ثقيلة، هذا الشاعر الطروب كان يغني أغصانه اللدنة بأغاريد الطروية، ثم ولّى عن هذه الأغصان، أو ولت عنه، لا أدري، ولم نعد نرى حواراً وتديلاً، وربما قلت : مغازلة، وحاولت أن أعرف هذا الجفاء، ولكنني لم أصل إلى ما يشبع فضولي، اللهم إلا مشاغل شاعرنا . غير أن المشاغل لا تصرف كل الناس عما ألفوا.

إن تلكم الأغصان، إخالها تشكو الهجر، من شاعرها المبدع، وهو حي، كريم النفس، يأبى الجور والهجر، فهل هو عائد إلى جدوله وفروعه المائسة، يجدد معها العهد، ويثير فيها الشوق، ويواسي فيها الحنين والشجن بأناشيد وأغاريد؟! ».

أَتَرَى يَهْجُرُ الْغُصُونُ مَلَالاً
أَمْ تَرَى مَلْ نُضْرَةَ الْأَغْصَانِ
مَا لَنَا لَا نَرَى حِوَاراً رَقِيقاً
غَزْلاً شَفَّ عَنْ رَقِيقِ الْمَعَانِي
أَتَرَاهَا مَشَاغِلُ غَيْبِ تَه
أَيْنَ عَنْهُ مَشَاغِلُ الْوُجْدَانِ
كَيْفَ يَقْوَى عَلَى الْعَتَابِ إِذَا مَا
رَفَّ غُصْنٌ يَشْكُو مِنَ الْهَجْرَانِ
أَتَرَاهُ يُطِيقُ إِنْ بَدَرَ الشُّوقُ
وَضَجَّ الْحَنَنِ بِالْأَشْجَانِ
أَمْ تَرَاهُ يَعُودُ كَالْعَهْدِ يَشْدُو
وَيَبُثُّ الْغُصُونُ صَفْوَ الْحَنَانِ

* * * *

قُلْتُ مَا قُلْتَ يَغْفِرُ اللَّهُ ذَنْبِي
وَهُوَ ذُو رَحْمَةٍ وَذُو غَفْرَانِ
لَمْ يَعُدْ فِي رَحَابِ صَاحِبِكَ الْيَوْمَ
بَقَايَا مِنْ عَاطِفِ الْأَقْنَانِ
قُلْ إِذَا شِئْتَ : إِنَّهَا هَجَرَتْهُ
بَعْدَ صَفْوٍ مِنَ الْهَوَى وَالزَّمَانِ
وَإِذَا شِئْتَ قُلْ هَجَرَ الْغُصْنُ

وَمَلُّ الْغِنَاءِ فِي التَّحْنَانِ
أَنَا يَا صَاحِبِي تَيْقُظْتُ - وَهْنًا -
وَأَمَطْتُ النَّعَاسَ عَن أَجْفَانِي
كَأَنَّ حُلُمًا .. وَكَأَنَّ ثَمَّ سَرَابًا
وَحِجَابًا يَفْغُرُ بِي بِهِ شَيْطَانِي
أَنَا يَا صَاحِبِي تَيْقُظْتُ وَارْتَعْتُ
لِهَذَا الضِّيَاعِ فِي أَوْطَانِي
لِلْجَهَالَاتِ .. لِلتَّأَخُّرِ .. لِلْبُؤْسِ
وَلِلْأَجْسَانِ فِي الْكُثْبَانِ
لِنُضَالِ فَوْقِ الْجُزَائِرِ دَامَ
وَعَلَى شَامِخِ الرِّبَى فِي عَمَّانِ
إِنَّنِي الْآنَ شَاعِرُ الْإِنْسَانِ
بَعْدَ مَا كُنْتُ : شَاعِرُ الْأَغْصَانِ
شاعر الأغصان

١٣٧٩/٥/٢٣ هـ

* * * *

عجبت . . !

مهداة لقلم المرور بجدة

عجبت لسائق التاكسي يشكو
مزاحمة الغريب، ومنه نشكو
جلاً عنه الغريب فراح يجلو
ويرهف سيفه والبغي هلك
تحكم يبتغي أجراً كبيراً
لمكة ، زاعماً والزعم إفك
بأن الموسم المرجو غنم
ونحن غنيمة .. فيما نشك
أبر عزة : ١٣٧٩/١١/٢٥ هـ

* * * *

عجبت . . !

مهداة إلى قلم المرور

عجبت لها ! لشارات المرور
أراها في الطريق على عبوري
تقاسمها المقاطع، كل درب
تزينه فيزهر كالزهور
ولكن الكمائم ما تراءى
لها زهر ، وما شعت بنور
أضيئوها ليعرف كل سار
مداه ويهتدي عند المسير
١٣٧٩/١١/٢٦ هـ

* * * *

عجبت .. !

مهداة إلى بلدية جدة

عجبت .. ! إلى الشوارع في الحواري
مطبات .. ملفآت .. مجاري
ظلام دامس لا نور فيه
سوى ضوء يُوضّو فوق دار
وإن رَحَب الطريقُ أتى جريء
ليسرق .. فالمرقب غير داري
أليس لساكِن الحارات حق
ولو معشار ميدان المطار
١٣٧٩/١١/٢٧هـ

* * * *

عجبت .. !

مهداة إلى بلدية جدة

عجبت .. ! إذا استقام لنا طريق
توسّد وسطه خلل عميق
بأفخم شارع عرضت ثلاث
مطبات بها نفسي تضيق
إذا استرسلت في حلم لذيذ
يراجعك المطب ! فهل تفيق ؟
وما أحلامنا غير الأمانى
بأن يجري على السُنن الطريق
١٣٧٩/١١/٢٨هـ

* * * *

جَدُول^(١)

يَا جَدُولَا .. مِنْ السُّنَا وَالْأَلْقِ
عَلَى يَدِي تَرْقُرُقِي .. تَدْفُقِي
تَجْمَعِي بَيْنَ يَدِي .. وَافْتَرُقِي
تَبَاعِدِي عَنْ خَافِقِي وَالتَّصْقِي
وَاحْتَجِبِي مَعَ الدَّلَالِ .. وَارْفُقِي
بَلْ يَهْمِسُ الدَّلَالُ : أَنْ تَأْلُقِي

* * * *

تَأْرَجَحِي عَلَى الشُّذَى وَانْطَلِقِي
يَا بَاقِلَةً تَأْرَجَحْتِ مِنْ عَبَقِ
تَلَمَّعْتِ مِنْ السُّنَا .. وَالشُّفَقِ
تَبَاعَدْتِ وَافْتَرَحْتِ كَالْأَفْقِ

* * * *

هَذِي الرُّبَى .. مَمَّعَارِجُ لِلْأَلْقِ
وَتَوَمَّى السُّهُولُ لِي .. اخْتَرَقِ
يَقُولُ مَا ارْتَقَى لِمَا لَمْ يَرْتَقِ:
عَلَى شَفَا مَضْرَعِهِ سَنَلْتَقِي
مَا أَتَفَّاهُ الْعَيْشَ لِمَنْ لَمْ يَعْشَقِ
مَنْ لَمْ يَذُقْكَ يَا هَوَى .. لَمْ يَذُقِ

صفر ١٣٨١ هـ

(١) كتبها الشاعر مرة بعنوان جدول، ومرة بعنوان «بين الربي والسهول».

بَائِعَةُ الشَّذَى

فَاتَتَنِي
مَا أَجْمَلَ اللَّقَاءَ
بَلْ ..
يَارَوْعَةَ الثُّوَانِي
يَا طَيِّبَهَا ..
هُنَيْهَةً
جَادَ بِهَا زَمَانِي

* * * *

أَتَذْكُرِينَ ؟!
أَنْنِي ..
أَعِيذُ
قَلْبِكَ الصَّغِيرَ
مِنْ نَسْيَانِي
بَيْنَ يَدَي
بَطَاقَةٍ
حُرُوفُهَا حَوَانِي
كَتَبْتُهَا
بِخَطِّكَ الرُّقِيقِ
بِالْأَنَامِلِ الْحَسَّانِ

ضمت ..
وَمَا ضَمْتُ سِوَى ..
أَحِبُّ
مَا أَحِبُّ مِنْ عُنْوَانِ

* * * *

أَتَذْكُرِينَ شَاعِرًا
جَمُّ الرُّؤْيَى
مُغْرُورِقِ الْوَجْدَانِ
طَافَ بِهِ صَاحِبُهُ
فِي رَائِعِ الْمَكَانِ ..
الْعَطْرُ ..
وَالشُّذَى ..
وَأَحْمَرُ الشَّفَاهِ
لِلغَوَانِي
وَمَا اشْتَهَتْ ..
أَنَاقَةَ الرَّجَالِ
مِنْ رَوَائِعِ الْمَجَانِي
وَأَنْتِ ..
يَا فَاتِنَتِي ..
وَأَنْتِ
أَجْمَلُ
مَا تُبْصِرُهُ عَيْنَانِ

* * * *

سَأَلْتُ
يَا لِرُوعَةِ السُّؤَالِ
يَا لِهٖ ؟

مِنَ الْقَمِ الْفَتَّانِ
- هَلْ لَكَ فِي رَوَائِعِي ؟
رَوَائِعِي دَوَائِي ..
عَرَفَكَ الصَّدِيقُ
بَلْ قَدَّمَنِي :

- مُفَرَّدَ الْأَغْصَانِ
قُلْتُ :
إِذَنْ يَا شَاعِرِي ..
أَنَا الَّتِي ..
أَتَوَقُّ لِلْأَغْنَانِي ..

* * * *

وَالشُّعْرُ ..
يَا فَاتِنَتِي
عَلَى الْمَدَى ..
يَتَوَقُّ لِلْحِسَانِ

* * * *

طِيبِي ..
كَمَا طَابَ الشُّذَى ..
أَمَا أَنَا ..
فَنَشْوَةُ الْأَمَانِي

الرياض ٢٧/٨/١٣٨١ هـ

* * * *

إِرْمَا

إِرْمَا فَدَيْتُكَ إِرْمَا
يَا أُعَذِّبَ الْغِيْدَ أَسْمَا
يَا طَلَسَ الْبِدْرَ لُمَا
أَطْلَل .. وَالْفَجْرُ لُمَا ..
يَا خَفَقَ الطَّيْبَ سَمَحَا
سَرَى .. وَطَابَ .. وَتَمَا
يَا أَمِيلَ الْغِيْدِ جِيْدَا
وَأَعَذِّبَ الْغِيْدَ فَمَا
أَوْمَاتِ ، قُلْتُ : رَيْعُ
هَفَا إِلَهِي فَأَوْمَا ..
وَلَحُوتِ هَلْ لَاحَ غُضُنُ
أَمْ طِيْنُهُمَا إِذَا أَلُمَا ؟
خَلَطْتُ صَحْوِي بِحُلُمِي
بَلْ عَادَ صَحْوِي حُلُمَا
بَسَمْتُ قَافِئَتِ نَجْمُ
فَنُظْتُ فِي الْأَفْقِ نَجْمَا
وَخَلَلْتُ دُنْيَايَ أَضْحَا
مِنْ بَعْدِ بَاسَاءِ نُعْمَى

.. وَأَنْ تَمَّ .. نَعِيْمًا
 وَأَنْ تُمَّةً .. غُنْمًا ..
 وَأَنْ كُـلُّ غَـرَامٍ ..
 سِوَاكَ قَدْ عَادَ وَهَمًا
 مَاذَا فَعَلْتَ بِقَلْبِي؟
 حَاشَاكَ تَرْضَىٰ ظِلْمًا
 أَحْصَيْتَ فِيكَ الْإِلَهِي
 أَعْدُ يَوْمًا .. فَيَوْمًا
 لَعَلَّ يَوْمَ .. لِقَاءِ
 يَدُوثِ .. فَأَعْصِرْ كَرَمًا
 وَأَقْطِفْ الْكَرَزَ حُلْوًا
 وَأَشْبِعِ اللَّوْزَ لَثْمًا
 تَدُوثِ .. إِذَا مَا التَّقِينَا
 رُوحًا وَقَلْبًا .. وَجِسْمًا
 حَتَّىٰ اخْتَلَطْنَا .. كِلَانَا
 وَضَعْتَ .. أَوْضَعْتَ ضَمًّا
 إِنْ قِيلَ : أَيْنَ قَتَاهَا؟
 لَبِيتَ عَنِّي اسْمًا
 وَإِنْ دَعَاكَ - مُنَادٍ
 حَسِبْتَ نَفْسِي ... إِرْمًا

الرياض ٢٩/١٠/١٣٨١ هـ

* * * *

رحلة

قَطَعَ السَّيْرُ نَفْسَهُ وَتَمَزَّقَ
وَمَضَى الدِّينَمُو يَطْبِرُقُ حَتَّى
وَنَظَرِيقُ الطَّوِيلُ بَيْنَ الْفَيَافِي
وَمَضَى (أَحْمَدُ) إِلَى (السَّيْرِ) بَاكِ
وَرَأَى ثَالِثَ الْأَثَافِي أَخُونَا
نَظَرُوا كُلُّهُمْ إِلَى السَّيْرِ يَنْشَقُّ
نَسْتَفَاثُوا وَكَانَ ثَمَّ مَغِيثٌ
فَرَجَعْنَا أَدْرَاجَنَا لِمَقَرِّ
بِهِ الْمَاءُ وَالظَّلَالُ وَقُومُ
يَطْوُوهُ وَأَصْلَحُوا مَا تَدَاعَى
فَمَضَى يَسْرَعُ الْمَسِيرَ حَثِيثًا
رَفَعَا رَأْسَهُ كَدِيدِكِ فَخُورُ
خَرَجَ الْآلَةُ الَّتِي تَعْرِفُ الضَّغْطَ
وَنَقْدَ حَارَ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا
نَهْ غَنَى (عَبْدُ الْعَزِيزِ) بِصَوْتِ
وَوَصَلْنَا (الظَّهْرَانَ) وَاللَّيْلُ سَاجِرُ

وَبَدَا ظَاهِرَ الشَّرَاسَةِ أَحْمَقُ^(١)
كُلُّ قَرْدٍ مِنَّا اسْتَشَاطَ وَطَبِرُقُ^(٢)
مَقْفَرُ مَوْحَشُ الْجَوَانِبِ أُبْلَقُ
وَتَخَلَّى (عَبْدُ الْعَزِيزِ) وَأَطْرَقُ^(٣)
الْحَسِيبُ النَّسِيبُ ذُو الْمَجْدِ فَدَعَقُ^(٤)
عَلَى سَيْرِهِمْ يَثُورُ وَيَنْشَقُّ
قَالَ عَوْدُوا فَالْعَوْدُ أُحْتَى وَأَرْقُقُ
(لِلْقَصِيبِ) بِهِ مَكَانٌ مُوْفِقُ^(٥)
أَسْعَفُونَا بِالسَّيْرِ سِيرُ مَوْثِقُ
لِخَرَابِ "الدِّينَمُو" لَيْسَ يُخْفِقُ
الْفَتَى ، الزَّاكِنُ النَّبِيَهُ الْمُدْقَدُقُ^(٦)
شَامَخَا عُرْفَهُ وَبِالشَّدَقِ يَنْعِقُ
وَشَيْءٌ لِلْوَقْتِ إِنْ حَانَ دَقْدَقُ^(٧)
خَبْرَةُ تَوْرَثُ الْبَلَى وَالْحَبِيبِ^(٨)
مَوْحَشٍ لِلْغَنَاءِ وَقَدَعَقُ صَفْقُ
مُدْلِهِمْ عَلَى الْمَدَائِنِ أَطْبَقُ

١. السَّيْرُ : سِيرَ مَحْرُكُ السَّيَّارَةِ. (٢) طَبِرُقَ : أَحْدَثَ صَوْتًا. (٣) أَحْمَدُ : هُوَ صَدِيقُهُ أَحْمَدُ عَبَّاسٍ.

٤. فَدَعَقَ : هُوَ عَلِيٌّ حَسَنُ قَدَعَقٍ. (٥) الْقَصِيبِ : فَنَدَقَ الْقَصِيبِ فِي الْخَبْرِ.

٦. الْمُدْقَدُقُ : الدَّقِيقُ النَّحِيفُ. (٧) دَقْدَقَ : دَقَّ وَنَبَّهَ. (٨) الْحَبِيبِ : كَذَا وَلَمْ أَتَكُنْ مِنْ مَعْرِفَةِ مَعْنَاهَا.

وَدَلَّفْنَا إِلَى الْمَطَارِ وَنَعْنِي
وَطَلَبْنَا الْعِشَاءَ فَأَعْتَذَرَ النَّدْلُ
فَمَضَيْنَا بِغُصَّةٍ نَبْلَعُ الْعَيْشَ
مَا طَعَامُ (الْأَتِيل) بِاللَّيْنِ الْفَخْمِ
كُلُّ مَا فِيهِ خَرْدَةٌ وَقَدِيمٌ
وَفُطُورُ (الْأَتِيل) فِي الصَّبْحِ "بَرَضُو"
ثُمَّ بَعْدَ الْإِفْطَارِ حَلَّ سَوَالُ
جَمْعَةٍ ذَلِكَ النَّهَارُ وَدَوَّمَا
عُقْدَةً حَلَّهَا عَلَى الْفُورِنَدَبُ
هُوَ (عَبْدَاللَّهِ الْخَرِيجِي) وَأَنْعَمَ
جَا بِنَا لِلْمَطَارِ حَيْثُ امْتَطَيْنَا
الْخَلِيجُ الْبَدِيعُ يَزْهُو بَلُونِ
لَا نَطِيلُ الْحَدِيثَ هَذَا (أَوَالُ)
فَنَزَلْنَا الْمَطَارَ وَالْجَوْ عَذَبُ

فُنْدُقًا بِالْمَطَارِ، لَا كَانَ فُنْدُقُ
سَوَى (الشَّاطِرِ الْمَشْطَرِ) دُقْدُقُ^(١)
عَلَى أَنَّهُ خَيَالُ الْمُطْبِقِ^(٢)
وَلَا فَرَشُهُ الْجَمِيلُ الْمُؤْتَقُ
كُلُّ مَا فِيهِ - يَا خَلِيلُ - مُخْرِقُ^(٣)
(سَنْدُوتَشُ) يَا نَاسَ، يَا "هُوَ" نَزَعُ^(٤)
كَيْفَ نَغْدُو الْبَحْرَيْنِ أَوْ كَيْفَ نَمُرُقُ؟
عَطْلَةٌ فِيهِ وَالِدَوَائِرُ تُغْلِقُ
سَيِّدُ مَا جِدُّ كَرِيمٌ مُوقِفُ
بَنِيْلُ إِلَى الْمَكَارِمِ يَسْبِقُ
ظَهَرَ طَيَّارَةٌ مِنَ اللَّاتِي دُقْدُقُ^(٥)
نَادِرٌ فِي الْجَمَالِ أَخْضَرَ أَرْزُقُ
وَبَهَا الْبَحْرُ قَدْ أَحَاطَ وَأَحْدَقُ^(٦)
مَسْتَرَقُ النَّسِيمِ وَالنَّاسُ أَرْفَقُ^(٧)
البحرين ١٣٨١/١١/١٠ هـ

* * * *

(١) الدقْدُق: الصغير. (٢) المطْبِقُ: نوع معروف من الفطائر. (٣) مخْرِقُ: خرب وتالف.

(٤) برضو: كلمة عامية حجازية تعني أيضاً، يا هو: كلمة عامية أيضاً تعني يا هؤلاء.

(٥) دقْدُق: أي صغيرة. (٦) أَوَالُ: الاسم القديم لجزيرة البحرين.

(٧) علق الشاعر بعد هذا البيت كاتباً "لمثل هذه القصائد قواعدها الخاصة، وقد احتفظ بها لنفسه

حسين شفيق المصري".

الموسيقى المتجول^(١)

نظمت هذه القطعة في الإسكندرية في ١٣٨١ / ٥ / ٢٧ هـ من وحي مشهد عازف غود ، بصير يستجدي الناس بألحانه :

مَعِيَ غُودِي أَجُوبُ الْأَر
أُغْنِي النَّاسَ أَلْحَانَا
وَمَا شَيْءٌ مِّنَ الْأَشْيَا
يُؤَيِّ سَفْبِي فَهَلْ تَدْرُو

ضَ ، مِّنْ دَرْبٍ إِلَى دَرْبٍ
مَعْطَرَةٌ عَنِ الْحَبِّ
قِرْفَافٍ عَلَى قَلْبِي
نَ يَا سَمَّارَ مَا سَفْبِي؟!

* *

* *

مَعِيَ غُودِي أَجُوبُ اللَّيْلِ
أَذُقُ الْعُودَ أَحْيَانًا
تَمَرُ مُوَكَبُّ الْأَفْرَا
وَيَسْرِي مِّنْ عَبِيرِ الْفَتَا
وَتَعْبُرُ فِي طَرِيقِ اللَّيْلِ
يَمْرُ اثْنَانِ .. إِثْرَ اثْنَيْنِ
دَاعِبٌ عِنْدَهَا وَتَرِي
وَيُنْضِي الرُّكْبَ عَجَلَانًا
يُؤَيِّ وَشَلَّ تَجُودُ بِهِ

لَ .. مَلَّ اللَّيْلُ مِنْ جَوْبِي
أَذُقُ الْأَرْضَ مِنْ عَتَبِي
حِ نَشْوَى .. مِنْ هُنَا قُرْبِي
نَةِ الْفَوَاحِ مَا يُضْبِي
لَ أَسْرَابُ الْهَوَى الْعَذْبِ
نَ صَبُّ هَامٍ فِي صَبِّ
أَحْيِي نَشْوَةَ الرُّكْبِ
فَلَا تَسْأَلْهُ عَنْ خَطْبِي
يَدُ مَخْضَلَةِ الْخُصْبِ

* *

* *

إِذَا مَا الصَّمْتُ لَفَّ اللَّيْلِ
وَطَافَ النَّوْمُ بِالسُّمَّا
جَرَّرَ خَيْبَتِي وَالْعَوَا
أَعُودُ لَأَنْفَكْتُ الْآهَا
وَكَمْ فِي اللَّيْلِ أَمْثَالِي

لَ ، فِي شَيْءٍ مِنَ الرُّغْبِ
رَ ، يُغْلِقُ نَاعَسَ الْهَدْبِ
دُ - حَيْرَانَ الْأَسَى - جَنْبِي
تَ ! لَوْ تَنْفَكْتُ مِنْ كَرْنِي
وَكَمْ فِي اللَّيْلِ يَا رَتْنِي!!

١ - نُشِرَتْ فِي الْبِلَادِ السُّعُودِيَّةِ ، الْعَدَدُ ٣٣٢١ الصَّادِرَةُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ١٣٨٩ هـ.

ذات الرداء الأزرق

ذات الرداء الأزرق
مُرِّي بطاولتي هنا
وترفقي

لا تحرمي عيني إشراق المني
إنني فديتك - يا جميلة - أشريقي
عبر الربيع هنا
فأية قلة بينضاء

تخطُرُ في غلائل زنبق
لو يسمع الوردُ الجميلُ بعطرها
لهفا إليها في حنين الشبق
ما بال صحرائي ، على ظمأ الهوى
- يا مُزنتي - عطشي؟
ففيضي .. أغدقي

* * * *

الشعرُ ؟

لا ذكر الحرير مُهفّف
مرحُ التماوج
في الجبين المشرق
والجيدُ

بعضُ لدائنٍ مِنْ نرجسٍ
غضُّ الملامِسِ - موق
تهفُّو الخصائلُ فوقهُ
رفاقهُ

كالظِّلِّ .. فوقَ الجدولِ المتَرَقِّقِ
قد كَانَ قَبْلَ رَبِيعِهَا مُغْسَوْسِقاً
مِنْ بعدِ ما رَفَّ السَنَا... لم يَغْشِقْ
شعُ الصَّبَاحِ به
فلا هُوَ فَاحِمٌ
كلأُ .. ولا هُوَ فِي الضِّياءِ بِمَغْرَقِ
ما بَيْنَ .. بَيْنَ
تَنَاسَقَتْ خِصَلَاتُهُ
فِي بَعْضِهَا
والبعضُ غَيْرُ مُنْسَقِ
يَدْنُو مِنَ النُّورِ المُشِعِّ مَدْلَهَا
وِيلُوذُ بِالكَتِفَيْنِ
بعدَ المَفْرِقِ
خَطَوَاتُهَا مَرُّ النِّسِيمِ وَهَمْسُهُ
تِهْ يَا نَسِيمُ
عَلَى الرُّبَى وَتَأَلَّقِ

بون - عبر الراين ١٢/أغسطس ١٩٦٢م - ١٢/٣/١٣٨٢هـ

* * * *

لُغَة ..

لَمْ أَكُنْ أَفْهَمُ .. مِنْهَا
وَهِيَ .. لَا تَفْهَمُ .. مِنِّي
كُلَّمَا قَرَرْتُ مِنْهَا
لَمْ تَكُنْ .. تَبْعُدُ عَنِّي
طَرِبَ الشَّوْقُ .. فَعَنِي
حُسْنَهَا أَعَذَّبَ لَحْنًا
وَتَمَنَّاها .. فُؤَادِي
وَلَكَّمْ بُوْحُ التَّمَنِّي
وَتَوَلَّى الشَّوْحُ عَنْهُ
شَبِيقٌ مِنْ طَرَفِ عَيْنِي
وَرَفِيفٌ ظِلٌّ يَهْفُو
بِحَنِينٍ فَوْقَ جَنْفِي
وَهِيَ .. تَلْهُو بِالتَّدْنِي
تَارَةً .. أَوْ بِالتُّجْنِي
شَأْنٌ حَرَاءٌ قَدِيمًا
وَأَنَا آدَمُ شَيْءٌ أَنِي
ثُمَّ لَمَّا طَفَحَ الشَّوْقُ

وَأَلْقَى مِنْ مِصْرَ جَنِّي
 قَدْ تَلَاَقَتْ .. شَفَتَانَا
 فِي حَدِيثٍ مُطْمَئِنٍّ
 شَفَتَايَا : . شَفَتَاهَا
 فَهَمَّتْ مِنْهَا .. وَمِنِّي
 فَهَمَّتْ مِنْهَا وَمِنِّي

في الطريق إلى (اشتوت جاردن) بالقطار،

هايد برج ، ٢٥/٣/١٣٨٢هـ

* * * *

كانت جميلة^(١)

والشَّبَابُ النُّضِيرُ كَيْفَ تَخْلَى؟
 مِنْ وَأَشْهَى مِنَ الشَّبَابِ وَأَحْلَى
 لِرَأْهَا مِنْ قِمَّةِ الْحُسْنِ أَعْلَى
 رَأَى خُلْدًا لِرَأْمِهَا فَهِيَ أَغْلَى
 غَيْبَةُ الْحُسْنِ يَوْمَ غَابَ وَوَلَّى؟
 وَرَعْتَ مَعْجَبًا بِهَا... يَتَمَلَّى؟
 وَمَلَالًا... وَكِبْرِيَاءَ... وَدَلَا؟
 نَ وَهَلْ يَشْمَتُ الْمُحِبُّونَ؟ كَلَّا
 أَبْدَلْتَهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَضَلَا؟
 عَبَثَ الدَّهْرُ بِالْجَمَالِ فَأَبْلَى
 غَيْدَ أَيْضًا هَلْ شَمَتَ لِلْقَوْمِ ظَلَا؟
 كُلُّ غَاوٍ بِحُبِّ غَيْدَاءٍ مُصَلَّى

* *

وَأَمَالَ الْجَنَاحَ فِي الرُّوضِ مَهْلًا
 نَعٍ مِنْ حُسْنِكُنْ إِذْ يَتَجَلَّى
 وَأَمْنَحِيهِ مِنْ عَاطِرِ الزَّهْرِ قُلًّا
 تَمْلِكُ الْيَوْمَ لَهْيَ بِالْبَذْلِ أَوْلَى
 مِ سَرَابٍ، مَا أَضْيَعَ الْعَمْرَ مَطْلًا

برايون ١٣٨٢/٤/٣٠ هـ

* * * *

كَيْفَ وَلَّى جَمَالَهَا كَيْفَ وَلَّى
 يَوْمَ كَانَتْ أَسْنَى وَأَبْهَى مِنَ الْحَسَدِ
 لَوْ تَمَنَّى الْجَمَالَ قِمَّةَ حُسْنٍ
 لَوْ أَنَّ الشَّبَابَ - وَهُوَ ثَمِين -
 كَيْفَ بِاللَّهِ عَاشَقُوهَا أَطَاقُوا
 أَتَرَاهَا فِي مَجْدَهَا رَحِمَتْهُمْ
 أَمْ تَرَاهَا قَدْ أَشْبَعَتْهُمْ جَفَاءَ
 أَمْ تَرَاهُمْ قَدْ يَشْمَتُونَ بِهَا الْآ
 أَمْ تَرَاهَا لَوْ يَرْجِعُ الْحُسْنُ يَوْمًا
 لَا أَرَاهَا .. وَلَا أَرَاهُمْ فَكَمْ ذَا
 عَبْرَ الْغَيْدِ ذَرِيَّةَ وَغَوَاةِ الْـ
 ذَكَرَ الْغَيْدَ إِنْ جَفَوْنَ وَذَكَرُ

* *

يَا غُصُونِ الرَّبِيِّ إِذَا مَرَّ شَادٍ
 وَهَفَا.. وَاسْتَرَا حَ لِلْفَاتِنِ الرَّا
 فَا مَنَحِيهِ مِنْ زَاهِرِ الْعَطْرِ طِيبًا
 لَا تَقْلَنْ الْغَدَاةَ .. إِنْ يَمِينًا
 قَعْدًا.. مَا غَدُ؟ ظِلَالٌ مِنَ الْوَه

(١) نشرتها جريدة البلاد في عددها ١١١٦ الصادر في يوم الأحد غرة جمادى الأولى ١٣٨٢ هـ، ٣٠ سبتمبر ١٩٦٢ م، وقدمت لها بما نصه «شاعر الأغصان .. شاعر كبير من شعراء العاطفة الرقيقة . ويسر دنيا الأدب أن تقدم له اليوم إحدى الروائع التي تعود قراء هذه الصفحة قراءتها له، وأعادتنا نشرها جريدة المدينة في عددها ٦١٤١، الصادر في ١٦ ربيع الآخر ١٤٠٤ هـ بعنوان «ما أضيع العمر».

خطاب

لحضرة الأجل أخي الأعز عبدالعزيز الرفاعي - المحترم
تحية وأرجو لك دوام الهنا ، تلقيت خطابك وبطيه المبلغ ثلاثون ريالاً عربياً

فحال وصولها حررت وصلاً وها هو يا عزيزي في الخطاب
وكان بودنا : الرد شعراً ليبقى الرد في طعم اللباب
لُباب الشعر حتى تقرأوه ويسعدني أنا رد الجواب

أما الدار فسيبقى بها التيار حسب طلبكم وحسبما كتبتُ للشركة ، وقَبِلُوا بقاءه :

ودارك يا صديقي سوف يبقى بنور مثل نورك يستضيئ
ويوم رجوعكم للدار تلقى جميع النور منكم يستضيئ
لأنك يا رفاعي خليك وقلبك بالتقى عداً مليء

ولك تحياتي وخالص أمنياتي والله يحفظك ويرعاك .. وسأحاول إجابة طلبكم إن شاء الله قريباً ..

محمد عبدالقادر فقيه

١٣٨٢/٥/٢١ هـ

* * * *

تلقيت الخطاب

تلقيت الخطاب فألف شكر
عليه .. ألف شكر للمساعي
وللوصل الجميل .. دليل ثم
وتسديد .. ومألنا بعدُ داعي
ومادام الضياء .. يجيئ داري
فأنواراً عليك بكل ساعي^(١)
وجاء الشعر ، شعراً قُطُطياً
فخفتُ بأن أتوتو في المراعي
وكنت سمعته من فم راوٍ
فجاء الخط مصداق السماع
رواه وكان يروي قبل شعراً
عن البَغْلَا .. مكسرة الذراع
وكنا معجبين به جميعاً
نردّده على كل البقاع
فإنك في الفكاهة عبقري
وفنان بها عن طول باع
فأبدع ما تشاء وذو التحايا
تزف إليك من عند الرفاعي
عبدالعزیز الرفاعي ١٣٨٢/٥/٢٦ هـ

* * * *

(١) ساعي: ساعة

رد على الخطاب

إلى حضرة أخي الكريم عبدالعزيز الرفاعي - المحترم
تحية ، وأبعث إليك بأزكى السلام - وقد حاولت أن أرد عليكم في يوم وصول خطابكم
كريم إلا أنني شغلت بصرف الرواتب.
ثم وأنا آخذ في تحرير الرد إليك شعراً كالآتي جاءني خطابكم الأخير فتناولته بفرح لعلني
حد البشري، وفعلاً قد طمأنتم خاطري - وأنا في انتظار البشري منكم بما يسرني إن شاء الله.
وهذا ما جادت به القريحة كما يأتي :

لأن الخط جاء من الرفاعي	نشرفنا بخطكم فابتهجنا
فأخرجنا خطابك بالصُّباع ^(١)	وجاء مغلفاً في وسط ظرف
وكنت مع الجماعة في الكُّراع ^(٢)	وفعلاً قد جلست وصرت أقرا
وكان البعض يفرد في الشراع	وكان الوقت صحواً حيث كنا
بوسط البحر من فوق السواعي	وهذا الشعر أكتبه إليكم
وأصبح في دمائي ومن طباعي	وقلبي قد هواه الشعر فعلاً
بشعرك مثل حبي لليراع	وإني معجب والله جداً
خلطت الشعر هذا بالنخاع	وهل تدري بأني من زمان
غذاء للعقول وكالشعاع	ويدخل في العروق لأن هذا
مع الأشعار نفسي في صراع	وثق أني بليل أو نهـار
أرى قلبي يسابق كالمطاع	وأشعر حين أكتب أي شيء
لمثلي حين أكتب للرفاعي	وهذي في الحقيقة خير سلوى

وكفاية - وأكرر الرجاء عما كتبته إليكم مع تحياتي وأشواقي ..

محمد عبدالقادر فقيه ١٣٨٢/٦/٤ هـ

* * * *

الصُّباع: الإصبع .
الكُّراع: موضع قرب جدة على البحر.

إلى مجهولة^(١)

مناسبة ما ينشره الأستاذان محمد حسين زيدان ، وفؤاد شاكر هذه الأيام عن « ألمانيا » ، هذه إحدى ذكرياتي عن زيارتي لهذا البلد العظيم الجميل ، أبعثها استجابة للصديق الكريم محرر هذه الصفحة الأدبية .

« هايدلبرج » .. مدينة جميلة جدا ، من مدن ألمانيا الغربية .. بل هي ساحرة الطبيعة، أخاذة المناظر ، تطل على نهرها المنساب قلعة تاريخية أثرية ، فيها من الآثار ما يبهر ويعجب..

ويوم صعدنا الجبل الذي تكمن القلعة في سفحه الأخضر حيث تتسلق الأشجار كل مساحاته .. كانت هناك فتاة تقف إلى جوار تمثال صامد القلب والجسم من آثار تلك القلعة، تكاد أن تكون طفلة وتبدو كاسفة البال .. وكأن في مآقيها النظرة دمعاً لم تسفحه .

أما الطبيعة .. فكانت السماء تحتجب أحيانا وراء غيم رقيق شفاف .. تسفر من ورائه حيناً .. وتنتقب به حيناً .. وترسل أحيانا دمعها رذاذاً ..

وأما الناس .. فكلهم مرح وصخب وبشاشة وانطلاق ، على اختلاف جنسياتهم .. وكم تلتقى هناك من جنسيات .. وكنت أنا .. وصاحبي الأستاذ السيد علي فدعق .. وعصاه .. فمثل الملكة في ذلك اللقاء العفوي ..

كانت الطبيعة وغيرها تنطق الجماد .. فلا غرو أن نطقت :

أَنْتَ حَزَنِي هُنَا ؟ لِمَاذَا لِمَاذَا ؟	كُلُّ هَذَا الْأَسَى هُنَا .. كُلُّ هَذَا
يُضْحِكُ النَّاسَ هَاهُنَا وَالرُّوَابِي	وَالْمَرْجُ الْخَضِرَاءُ طَابَتْ مَلَاذَا
لَيْسَ إِلَّا السَّمَاءُ .. تَبْكِي فِيهِمِي	دَمْعَهَا بَيْنَ نَازِرِيهَا رَدَاذَا
فَاضْحَكِي تَضْحَكُ السَّمَاءُ وَتُخْفِي	دَمْعَهَا .. وَالْهَمُومُ تَجْرِي لِوَاذَا
يَا مَعَاذَ السَّنَا .. أَرَاهُ مَعَ الْحُزْنِ	نَجِيَيْنَ فِي الْجَوَى .. يَا مَعَاذَا

* * * *

(١) نشرت الثلاثاء ٢٤ رجب ١٣٨٣ هـ الندوة - العدد ١٤٧٨ ، ونظمها الشاعر في ١٣٨٢/١٢/٢١ هـ ، وقد كتبها الشاعر مرة بهذا العنوان ومرة بعنوان (حزنى).

الأنسة عزة الرفاعية^(١)

من أنور العطار إلى أخيه الأديب الكبير الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي تُهدى هذه
الآبيات ابتهاجاً بابنته الأنسة عزة الرفاعية:

عَزَّةُ يَا أَنْصَرَ أَحْلَامِيَّةُ	عَزَّةُ يَا أَعَذَّبَ أَنْغَامِيَّةُ
تُغْرِكِ دُنْيَا الْحُبِّ كَنْزُ الْهَوَى	مَهْبِطُ إِحْثَائِي وَالْهَامِيَّةُ
صَبَايَ فِي وَجْهِكَ أَبْصَرْتُهُ	كَأَنَّ أَيَّامَكَ أَيَّامِيَّةُ
إِذَا تَطَلَّعْتُ إِلَى بَشْرِهِ	نَسِيتُ أَسْقَامِي وَآلَامِيَّةُ
يَا غَايَةَ الْحُبِّ وَأَقْصَى الْمُنَى	وَيَا أَحَادِيثِي وَتَهْنِئَاتِيَّةُ
عَامُكَ هَذَا قَرَحٌ شَامِلٌ	رَأَيْتُ فِي ذِكْرَاهُ أَعْوَامِيَّةُ

أنور العطار

الرياض في ١٢ شوال سنة ١٣٨٤هـ

* * * *

(١) كتب الأستاذ الرفاعي عليها «وجدتها في ديوان ظلال الأيام للشاعر أنور العطار، رحمه الله».

هشام

هذه القطعة أهديت للشاعر أنور العطار - رحمه الله - تحية لابنه هشام ، رداً لتحيته الشعرية لابنتي عزة وكانا طفلين .

هشامُ نفحةٌ عطرٍ	من أنور العطارِ
ودفقةٌ من ضياءٍ	تُزري بضوءِ النهارِ
وشعلةٌ من زكاءٍ	أعني زكاءِ الخبارِ
ينسابُ كالماءِ لطفاً	أو كالنسيمِ الجاري

* * * *

أروممةٌ من كرامٍ	سبيكةٌ من نضارِ
بشاشةٌ في المحيا	كما تبشُّ الدُّراري

* * * *

ماذا أقولُ وإني	أصقيتُ من أشعاري
تباعدَ الوحيُ عني	وقد نبأ قيثاري
فاقبلْ نشاز المعاني	في ثوبها النهارِ
هديةٌ لك عـجلى	من ذكريات ديارِ
وعشتَ نفحةً عطرٍ	في ظلِّ العطارِ

هـ ١٣٨٥/٢/١

* * * *

من وحي اللحظة

في عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) رحل الشاعر إلى الشرق الأقصى، في رحلة كانت بدايتها ماليزيا بدعوة من حكومتها لحضور عدة مناسبات، وقد كتب عنها الإصدار الثالث في المكتبة الصغيرة بعنوان « ٥ أيام في ماليزيا » ثم امتدت الرحلة إلى البلدان الأخرى وقد كتب عنها حلقات مسلسل في جريدة البلاد بعنوان « ثلاثون يوماً في الشرق الأقصى » نشرت ١٣٨٦هـ.

وقد كتب عن رحلة (هونج كونج) في البلاد، في عددها ٢٢٥٧ الصادر يوم الأربعاء ٢٤ ربيع الأول ١٣٨٦هـ، وكان معه في تلك الرحلة الشاعران محمود عارف وعلي فدق، وأثناء جلوسهم في منتزه فيكتوريا على قمة جبل أخذ السحاب يدنو منهم رويداً رويداً، حتى تسلل بين صفوف الجالسين وتعذرت رؤية أحدهم للآخر وهو منه قاب قوسين أو أدنى، عندها لذ له أن يستشير شاعرية زميله: فكان الحوار الآتي^(١):

الرفاعي:

قَبْلَ البحر جبين الشجر أنا مفتون بسحر المنظر

عارف:

أترى الذكرى مجالاً للهوى أم ترى الذكرى مجال الصور

فدق:

مَرَّتْ السحب بنا هيئة واستراحت فوق صدر الزهر

عارف:

يا حبيبي في سويحات المنى أتمنأك بأشهى الذكر

والعذارى حوْم من حولنا فائنات لقلوب البشر

الرفاعي:

والروابي الخضر ترتاح على مسبح الفتنة فوق البحر

* * * *

(١) لخصنا هذه المقدمة من مقدّمة كتابه (٥ أيام في ماليزيا) ص ٣، وما كتبه في عدد البلاد المشار إليه حيث تضمن الشعر).

أنا أهواه^(١)

أنا أهواه ، كل يوم ، وأهوى
أستزيد الغرام فيه ، وأدري
فيه أستعذب العذاب ودائي
هو في صحتي أنيس يقيني
وهو في نشوتي صباة صحو
كلما أظلمت عليّ الليالي
وإذا ما ظمئت من جمره القيظ
أنت يا بهجتي وفرحة أيامي
ونديمي إذا تعزّ الندامى
خافقي في يدك يا خفقة الور
يا اندياح الربيع في المجدب القحل،
كل يوم بأن يزيد هيامي
ما ألاقي من حرقة في غرامي
من دوائي، وصحتي من سقامي
وهو طيف محبب في منامي
وهو في غيبة المنى، أحلامي
كان فجر السنا على أيامي
أطل الندى يبل أوامي
وأنسي، ولذتي ومدامي
وسميري إذا ادلهم ظلامي
د ندياً يعيش للأتساءل
.....

* * * *

(١) كتبت على ورق فندق امبريل في هونج كونج، ولم يثبت عليها تاريخ، لكن رحلته إلى هونج كونج كانت عام ١٣٨٥هـ، وقد وجدت في ملف رحلة إلى الشرق الأقصى، وانظر ما سبق في (من وحي اللحظة قبلها).

(٢) هكذا لم يتمه الشاعر، ويظهر أنها المسودة الأولى، حيث إن بعض الأبيات طمس وتكتب التعديل فوقها.

بي ظمأ^(١)

بي ظمأ ، بي ظمأ
وارفـلا ينطفئ
أود لو يخف لو
يقل، لو ينفـتئ
لو انه يرجع عن
غي الهوى .. ينكفى
إذا ارتوى من رشأ
رد الصدى لي رشأ
أرهقني سيف الهوى
وما عراه الصدا
إذا أنتهى لغاية
لغاية .. يبتدى
يخجل في دنيا الورى
على الهوى مجترئ

* * * *

١. وجدت في ملف رحلة إلى الشرق الأقصى، ولم تزوخ ولكن رحلته كانت عام ١٣٨٥هـ، وقد كتبت المسودة على ورق المخطوط الأندونيسية.

نامي على الكتف^(١)

نامي على الكتف الحنون وهددي أحلامه
ودعي هنالك حلمتيك تدغدغان عظامه
وعلى الضلوع دعي يديك تداعبان غرامه
إن كان شاعرنا القديم غرامه قدامه
هذا الفتى من خلفه يأتي الهوى ، وأمامه

* * * *

(١) وجدتھا في ملف رحلة إلى الشرق الأقصى، وقد كتبھا ثلاث مرّات الأولى مسوّدة، وفيها الكثير من الطمس والتعديل، ثم أعاد كتابتها مرتين، وشرح على إحداها ما تحفظ في ملف رحلة الشرق الأقصى، وكانت رحلته عام ١٣٨٥هـ، انظر محاوره من (وحي اللحظة) السابقة.

أوراق قديمة^(١)

بين أوراقي القديمة.. عثرت على هذه الأبيات.. كمشروع لقصيدة يبدو أنني
كنت أنوي أن أنظمها آنذاك، عندما زرت لبنان لأول مرة.. ففتنتني مناظره الساحرة..
في الجبل الأخضر..

كان هذا عام ١٣٧٠هـ، قبل أن تطفئ موجة الغلاء على لبنان. فتشوه بعض مفاتنه:

حنانك .. ما صنعت هنا بلبّي
ألبنان الأشم؟ وأين قلبي؟
وأين الشعر..؟ إن الخصب ثرّ
ولكنني منيت هنا بجذب
أرى الصخر الأصم يبضّ شعراً
وينثر آية في كل درب
تراني دون هذا الصخر حساً
وعهدي إن دعا حسن ألبّي..

١٣٨٦/٥/٢٥هـ

يبدو .. أنني لم ألبّ فعلاً.. لأنني وقفت من القصيدة عند هذه الأبيات كالصخر
الأصم.. إيه.. رياه...

* * * *

(١) نشرت فيما بعد في جريدة الجزيرة ١٨/٢/١٤١٠هـ

عبدالعزیز الرفاعي

كان الشيخ سعيد الطنطاوي ، شقيق الشيخ علي الطنطاوي ، عضواً في لجنة تجديد مناهج التعليم ، وكنت عضواً في هذه اللجنة ، التي استمرت تجتمع خمس مرات أسبوعياً لسنوات أحسبها سبعة .

وكنت أهديت للشيخ سعيد ديوان فؤاد الخطيب ، فكتب إليّ أبياته المرافقه ، وكان يجري بينه وبين مساجلات شعرية ..

عبدالعزیز الرفاعي	يهدي عزيز الرقاع
وينشر الريّ منها	على الصوادي الجياع
ديوان شعر فؤاد الـ	خطيب مثل الشعاع
لزورق الشعر عندي	به يطيب اجتماعي
أهديتنيـه فشكراً	ودمت في الخير ساعي
وزادك الله فضلاً	ونعمة في ارتفاع
شكرت لا بلساني	لكن أنبت يراعي
مع أن ذا فيـه عي	وذا سريع التداعي
لكن أقول - وفاء -	جهدي وما مدّ باعي
بأن أؤرخ حمـدي	له بدون اتساع
أقول ذا : حاز شكراً	عبدالعزیز الرفاعي
١٣٧ + ٧٠١ + ١٥ + ٥٢١ +	٧٦ + ١٢٥ + ٣٩٢ = ١٩٦٧

١٣٨٦/١١/٢٥ هـ

* * * *

(١) هذا التاريخ بحساب الجُمَّل (التاريخ الشعري) وهو مقابلة كل حرف برقم ثم يكون من مجموعها التاريخ.

يا شعر

وقد أجبته الشيخ سيعد الطنطاوي بالأبيات التالية:

يا شعر جدت دواعي	إليك بعمد وداع
وبعد ما جف حبري	على قديم الرقاع
وبعد ما ند عني	وصد عمداً يراعي

* * * *

يا شعر هذا كريم	من خيرة الوراع
من صفوة الفضل يدعو	للخير إن شذّ واعي
له من العلم باع	ينم عن طول باع
وعن رحيب اطلاع	يبذل كل اطلاع
له على الفضل فضل	وعزيمة في المساعي

* * * *

يا شعر هذي تحايا	ه فأين عني ابتداعي؟
وأين منك المعاني	روائعاً في تداعي؟
هلا اطعت وقدماً	قد كنت من أشياعي؟

* * * *

حي السعيد وحي	من آله كل واعي
أروضة النبل تسمو	أغصانها في ارتفاع
أما السعيد فمنها	ومن ذراها الراعي

* * * *

يا شعر فاهد شعاعاً	بل أهد أسنى شعاع
وقل له : ذاك قطر	من فيضه الممرع
وقل له : غض طرفاً	عن المقل الرفاعي

١٣٨٦/١١/٢٥ هـ

* * * *

عدت للشعر

إلى أخي العزيز الأستاذ محمد سراج خراز:

عدت للشعر ، إن عودك أحمد
فالدراي الحسان جاءت لتشهد
وارقـصي يا بلابل الدوح زهواً
فبيان الخراز غنى فأسعد
وأدر راحك الحلال ، أيا جدول
يا بدر في سمائك واشهد
ذلك الشاعر الذي قال شعراً
أين منه بين المعارف عسجد
عاد للشعر مثلما عاد للروض
ربيعُ حلو الشذى يتورد
وشدا .. بعد صمته فشجانا
وحبانا من البيان المخلد
قال : إن الشباب ولّى سعيداً
والقوافي كالعمر لهو ورد
لم يعد للحون معنى ومغنى
وجفاني الهوى وغصني تأود

لم يعد في الغصون غصن حفي
مائس فوق روضه يتأود
ذاك ظني ، والظن حق زماناً
وزماناً وهم كما الليل أسود
بقيت من صباة الكأس بقيا
فاغتبقتها فإنها سوف تنفد
وتفرّد ما دام في الروض زهر
يتغنى ما دام للحن «معبد»^(١)
إنما الشاعر المغني شباب
دائم لا يشيخ بل يتجدد
وكعهدي .. «السراج» شعلة نور
فليكن ضوؤه كما كان يُعهد
وليكن شعلة الهداة إلى الدرب
إذا الدرب بالضلالة أريد
لا ينير الطريق ، كالشعر فن
حادي الأمس ، مشعل اليوم والغد
فاقتل اليأس ، يا صديقي وبدد
ظلمة اليأس بالنشيد المردد
أنت قيّارة .. تصوغ القوافي
نغماً مبدعاً يرق ويشتد

(١) معبد: مغن عاش في العصر الأموي.

وحرام صمت القوافي فإن لم
تسطع البوح .. خلها تتنهد
إن عمراً يعيش من غير شعر
لهو عمر من الجمال مجرد
يا صديق الصبا .. أثرت شجوني
بحديث عذب ، وشعر مجود
عدت بي للصبا رفيفاً طليقاً
عدت بي للشباب ريان أغيد
لليالي قرّ بيضاً ، وتدني
أملأ مسعداً وآخر أسعد
ليس فيها من السواد تراه
بهجة كالسنا سوى الشعر أسود
.. ذاك عهد ولى ، وجاءت عهود
كالحيات كما تجهم فرقد
فإذا أبيض الشباب سواد
وإذا الشعر جمرة تتوقد
وإذا نحن والأمانى ضدا
ن أقاما ليعرض الضد للضد

* * * *

أسكتتني شواغل العيش والبيت
فما عدت للأناشيد أنهد

ليس إلا الفراغ يملأ قلبي
ليس إلا الفراغ ياصاح لا الجد
غير أني بالرغم من ومضة اليأس
طموح لعزيمة تتردد

* * * *

ما سلوت الرياض ، والغصن والدوح
وزاكي الشباب إذ يتورد
ما سلوت النجوم ، والبدر ، والليل
ولا سامر الحديث إذ يتجدد
ما سلوت الدموع ، والطيف ، والوعد
ولا ماطل الوصال ولا الصد
قد سلتنني جميعها .. ثم أبقت
جذوة في رمادها تتوقد

* * * *

يا أخي في وفائك الفذ معنى
ضاع في غمرة الجحود فأبعد
أنت أرجعتني إلى الشعر حيناً
بعد أن صال تائهاً وقرود
فلك الفضل أولاً ، وأخيراً
ولك الشكر سائغاً ولك الود
١٣٩٠/٥/٣هـ

* * * *

عَنَابَة^(١)

لئن شبهوا بالربيع الشباب فإن شباب الربيع هنا
لقد مد كفال له لدنة يصافح كفاً لها ألدا
فأبقى على كفها قلبه وأغفى، فما استكثر الأزما
وقال هنا يستلان المقام أيا ورد، فأنثر بها الأعينا
فإن تسألوا أين يأوى الربيع فإن بعنابة الموطنا

* * * *

(١) نشرت في مجلة الإذاعة والتلفزة التونسية في ١٣٩٠هـ، وكانت بمناسبة زيارته لمدينة عنابة الجزائرية وقد سرّ بلطف أهلها.

المرفأ الأخير

قَالَ لِي : كَمْ عَشَقْتَ مِنْ قَبْلُ ؟
قُلْتُ : مِنْ قَبْلُ
مَلِئُونَ مَـرَّه ..

كُلَّمَا قُلْتُ : قَدْ مَلَلْتُ كُؤُوسِي
إِنْ هَذَا الْكُؤُوسُ حَرَى وَمِرَّة
جَدُّ لِي مِنْهُ .. مَا يَلْذُ وَيُغْـرِي ..
لَفَتَهُ ..
بَسَمَهُ ..

وَوَضَعَهُ نَظَرَهُ
فَتَلَفْتُ لِلْقَدِيمِ مِنَ الشُّجُو ..
وَأَتَّبَعْتُهُ بِمَا جَدُّ إِثَرَهُ
وَتَحِيرْتُ إِنْ مِنْ ذَاقَ كَأْساً
مِنْ هَوَاهُ أَسِيرَ شُجُو وَحِيرَةٍ
* * * *

كُنْتُ مِنْ قَبْلُ .. فِي غَرَامٍ وَثِيقٍ ..
لَدِيَارٍ ..
صَبَايَ فِيهَا رَقِيقِي ..
وَعَلَى أَرْضِهَا
غُلَاكَةُ نَوْرٍ ..
شَعَّ فِيهَا السُّنَا .. بِكُلِّ طَرِيقٍ
وَهِيَ مَهْدُ النَّبِيِّ
نَبْعُ الْقَدَاسَاتِ

وَمَهْوَى الْهَوَى لِبَيْتِ عَتِيقٍ ..
فَتَعْرِقْتُ فِي رُبَاهَا بِنُغْمٍ
وَبِعَفْرَاءٍ فِي لِقَاءِ رَقِيقٍ ..
عَبْرَ شَغَرٍ
مِنْ عَبَقٍ
عَبْهَرِي الشُّذِيِّ ..
رَقِيقٍ أَنْيَقٍ ..
صَاحِبِي فِيهِ صَاحِبُ نُغْمٍ
وَمَعِينِي عَلَيْهِ .. ابْنُ عَتِيقٍ ..
هَذِهِ قِصَّةُ الْهَوَى يَا صَدِيقِي
هِيَ دُنِي وَصَحْبَتِي وَرَحِيقِي

* * * *

ثم ..
دَارَ الْهَوَى .. مَدَاراً لَطِيفاً
وَهَوَّ حِيناً
يَدُورُ غَيْرَ لَطِيفٍ ..
فَأَتَى وَادِياً حَنِياً رَقِيفاً
مَا تَرَى السَّحَرَ ؟
غَيْرَ وَادِي ثَقِيفٍ !
عُجْ بِوَجٍّ وَاتْرَكَ مَسِيلَ حَوَايَا^(١)
عِنْدَ يُسْنَرَاك

(١) وج: وادٍ بالطائف. حوايا : يقصد الحوية.

فِي الْمَطْلِ الْوَرِيفِ ..
 وَأَصِخْ .. هَذِهِ مَنَاجَاةُ رَمْلٍ ..
 فَتَمَهَّلْ وَسِرْ بِخَطْوٍ خَفِيفٍ ..
 إِنَّهَا هَمْسَةُ الْهَوَى .. عَذْرَاءُ
 هَلْ تَذْكُرْتِ يَا رَمَالُ وَقُوفِي .. ؟
 وَخَنِينِي وَهَيْئَتَاتُ هَيَامِي
 وَأَغَانِي فِي هَوَايَ اللَّهِيْفِ
 أَمْ تَرَى يَا عُكَاطُ ..
 قِمَّةُ شَجَرِ الْأَمْسِ أَنْسَتَكَ
 كُلُّ شَجَرٍ طَرِيفٍ ؟
 يَا رَوَّابِي الْمَصِيفِ ..
 أَلْفُ تَحَايَا ..
 لِمَغَانِيكَ .. يَا رَوَّابِي الْمَصِيفِ ..
 هَذِهِ قِصَّةُ الْهَوَى يَا صَدِيقِي ..
 هِيَ دُنِي وَصَحْبَتِي وَرَفِيقِي
 ثُمَّ ..
 طَافَ الْهَوَى عَلَى أَرْضِ نَجْدٍ
 وَقَدِيمًا ..
 كَانَ الْهَوَى أَرْضَ نَجْدٍ
 الصُّبَا .. عِنْدَهَا ..
 عَبِيرُ الْخَزَامَى ..
 وَالصُّبَا فَوْقَهَا لَوَافِحُ وَجَدٍ

وَإِذَا أَمْرَعُ الرَّيْبِ عُ فَأُورِقُ
يَا رَوَاقَ الْهَوَى عَلَى كُلِّ صَلْدٍ ..
النَّسِيمُ الَّذِي يَمُرُّ بِقَائِلَا
خَفَقَ تَنْهِيدَةَ لَقَيْسٍ وَدَعْدٍ ..
وَالْبَطُولَاتُ وَالرَّئِىَ وَالْمَرَاغِي
وَالْعَشِيَّاتُ مِنْ أَطَايِبِ رَنْدٍ ..
مَا لَهُ لَا يَكُونُ مَجْنُونٌ لِيَكْلَى
وَعُيُونُ الْمَهَا .. تَفُوقُ التَّحْدِيَّ ؟ ..

* * * *

ثُمَّ طَالَ الْحَدِيثُ ..
وَاسْتَعَرَ الشُّوقُ ..
إِلَى قِصَّةِ الْهَوَى يَا صَدِيقِي

* * * *

فِي مَسَاءٍ ..
مِنْ أَمْسِيَّاتِ الضُّفَّافِ ..
فَاتِنَ .. رَائِعَ الْمَسْرَةِ .. صَافِي ..
بَذَرَهُ فَضْضُ الْمَرَابِيعِ بِالسَّحَرِ
وَأَهْدَى الرَّؤْيَى الْجَفُونَ الْغَوَافِي ..
نَخْلَهُ الْبَاسِقَاتُ حُلْمَ الثُّرَيَّا
وَنُسَيْمَاتِهِ طُيُوبُ اللَّطَافِ ..
طَاطَنِي الرَّأْسِ .. يَا قَوَافِي
إِنِّي فِي رِيَاضٍ ..
تَصْفُو لَدَيْهَا الْقَوَافِي ..

أَنْتَ فِي تُونَسِ .. حَيْثُمَا يُنْثَرُ السَّحَرُ
كَمَا الزُّهْرُ .. بِالرِّيحِ السَّوَافِي
فَعَلَى الْبَحْرِ .. خَفَقَتْ مِنْ جَنَانِ
شَاعِرِ الْمَوْجِ .. سَاحِرِ الْمَجْدَانِ ..
كَلَّمَا دَاعَبَ الْكَوَاعِبَ صَدْرًا
عَامِرًا .. هَزَّ مَوْجَهُ فِي انْعِطَافِ ..
يَا حَنَائِيَا الْحَرِيرِ رَفَقًا بِخَضِرِ
ضَامِرِ .. ضَبَّقَ الْمَدَى .. هَفَّ هَافِ
دَاعَبِيهِ بِغَيْرِ عُنْفٍ وَصُونِيهِ
صُونِيهِ فِي حَشَايَا الْعَفَافِ ..

وَعَلَى طُلَّةِ الْجِبَالِ رِيْعُ
دَائِمِ الشُّوْقِ
حَالِمِ الْعَطْرِ .. رَائِعِ الرُّفَرِافِ ..
إِنْ وَدَيَانَهُ انْشَقَّاقُ الْحَنَائِيَا
كُلُّ ضَلَعٍ بِهِ مَشَقُّقُ مُوَافِي
حُبِّ خَضِرَاءَ قَدْ أَحَاطَ الْحَنَائِيَا^(١)
وَمَضَى مُمَعْنًا فَضَّمَّ شَغَافِي ..
إِنْ قَلْبِي اسْتَطَابَ
مَرْفَأَهَا الْخُلُوءِ ..
فَأَرَسَى .. بِرَائِعَاتِ الْمَرَافِي

تونس ١٣٩٣/٢/١١ هـ

* * * *

(١) خضراء : تونس

كلمة وداع..

«جورج».. أمير الفندق في فنه ما أحذقه
يَبْشُ للضيوف كالريد بيع كالزنايق المحذقه
فأنت في أخلاقه بروضة.. مورتقه

* * * *

«جورج» أمير الفندق في فنه ما أحذقه
يسبق فيها غيره.. ممن يرى أن يلحقه
إلا «مدامه»... التي توشك في أن تسبقه
أخلاقها رفّ النسيم في الطافه المرققه

* * * *

أكرم بها من أسرة كريمة مذكوه
«جوزيف» من نجومها نجمة خير مشرقه
ولست أنسى «ماية» فما أرقّ الزنبقه !
ولا «الفؤاد» والكرا م من غصونها المورقه
بكفيا - أوتيل غرانادا

١٩٧٤/٧/١٢ م

* * * *

سوداء^(١)

للمرة الثالثة أكتب من الجو، هذه المرة فوق بحر الصين، مغادراً طوكيو التي وصلت إليها مساء يوم الإثنين، ولقد ضاع مني يوم الاثنين جميعه، لقد غادرت هاواي ظهر يوم الأحد، وأمضت الطائرة حوالي سبع ساعات في الجو. فلما وصلت بعدها إلى طوكيو كان الوقت مساء الاثنين لا مساء الأحد، لقد كان فرق التوقيت نهائياً كاملاً.. لقد أفلت مني يوم، يوم من العمر، ولكن ما هو العمر؟ ألم تفلت قبله آلاف الأيام؟

أكتب من الجو على متن الرحلة ٦٣٧، طائرة من الخطوط السنغفورية "سانغبور إير لاينز" تتوجه من طوكيو إلى تايبيه عاصمة الصين الوطنية، ثم إلى هونغ كونج، ثم إلى سنغفورة، حيث أُغِيرَ الطائرة إلى أخرى سنغفورية أيضاً تذهب إلى جاكارتا. حيث الحالة العزيزة. أكتب وفي أذني سماعتان لسماع الموسيقى بأكثر من لغة، وأمامي لوحة الفلم الملون، إنها أفانين الحضارة الغربية. لقد قضيت ليلتين متعبتين في طوكيو، استعصى عليّ فيهما النوم إلى حد عجيب، ليلة الثلاثاء لم أنم إلا حوالي ثلاث ساعات، وكذلك ليلة البارحة، ومع ذلك لم أنشط فيهما للكتابة، ولكن سهد ليلة البارحة جعلني أتوجه إلى نظم قصيدة تلوب في نفسي، أسميتها "سوداء"، القصيدة من وحي فتاة سوداء معتدلة الملامح إلى حد عجيب، رقيقة رقيقة، معتدلة القوام، ليس بينها وبين الزنوج أية صلة في ملامحها. تبدو وكأنها عربية، ذات أنف أقتنى دقيق، وعينين ساجيتين حالمتين، وثغر صغير، ليس في شفتيها اكتناز شفاء الزنوج، كانت تبدو جميلة في كل شيء، ولو كانت بيضاء لكانت إحدى ملكات الجمال.

كانت هذه المضيقة على طائرة بان أمريكيان، تتحدث الإنجليزية باللهجة الأمريكية كما يتحدثها البنات الأمريكيات..

الصورة أثارتنني، كما يشير أي منظر له أبعاد معينة شاعراً من الشعراء، هذا إن صح أن أطلق على نفسي لقب شاعر، واختزنها عقلي الباطن، وانفعل بها، وكان من حصاد هذا الانفعال القصيدة التي سأوردها فيما يلي، وقد سميتها "نثرية"؛ لأن ألفاظها كألفاظ النثر، ليس فيها ذلك التجنيح الذي يوشي ألفاظ الشعر ليجعلها أرق و أطف، ويفيض على الصورة الشعرية جمالاً معيناً.

وبعد فهذا النص أثبتته هنا خشية من ضياع الورقة الرقيقة التي كتبتها بها، وربما كنتُ مثلي.. محتاج أن تقرأ هذه النثرية أكثر من مرة لتدرك أبعادها.

سوداء .. بلون الكليل الباهت .. عند الفجر

والفجر الصادق مبسمها ... يا مبسم حقا أنت الثغر

(١) وُجِدَتْ فِي مَسْوَدَةٍ «قِصَّة حَيَاة تَافِهَةٌ» وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ مَذْكَرَاتِهِ، وَهِيَ مِنْ شَعْرِ التَّغْفِيلَةِ.

والفجرُ هنالكَ عيناها... معنى يَغْمُضُ .. لو تُغْمِضُ
وبيِّنَ إذا ابتسمَ .. البدرُ .
الليلُ .. النهر الدافقُ .. للعشاق الشعراءُ
لو سكنَ الليلُ يفيضُ بشلالِ الأفكارِ البيضاءِ
وتعيشُ الأفكارُ نهاراً ... لا ينفدُ طولُ الدهرِ
وكذلكَ كانتَ تلكَ الحسنةُ

* * * *

الحسنُ بها .. ياروعةُ ما أبدعَ خلاقُ الحسنِ
أبدعَ خدَّينِ صغيرينِ ليرتاحا في رُفْرِ قَن
أبدعَ شفتينِ - كما يجمعُ للبرعمِ مشروعَ القبلَةِ
لو أَعَرَفَ نكهةَ تلكَ القهوةِ

* * * *

والغصنُ الأسودُ قامتها ، وقديماً أُحِبَّتِ الغصنُ
أُحِبَّتِ الأبيضُ منه ، وأسمرهُ ألهمني اللحنُ
لكن الأسودُ تجرئةُ ما غناها من قبلِ قصيدي
ويحقُ يعشقُ ليلَ العينِ

* * * *

ويلفّ الخصرَ نطاقُ حلاوتها بسياج ضيقٍ
يبرز ، من فوق الربوة ، بلبها الأسمر ليزقزق
والتُّرب الآخر يسأل أفئدة العشاق ..
عن الحان (العين ... الليل)

* * * *

حسناء وماذا ينقص هذي الحسناء ؟
أيشين حلاوة صورتها إن قالوا : سوداء ؟
الحسن بدنيا الناس فنونٌ ، والفن له ألوان
والفنان المبدع يختار اللون !

شاعر الأغصان

طوكيو، ليلة ٣ ديسمبر ١٩٧٥م

الأربعاء ٣٠/١١/١٣٩٥هـ

* * * *

في دارة عبدالعزيز الرفاعي^(١)

حي الأفاضل، رواداً وجلاساً
في دارة الشيخ صان الله سدتها
يسعون بالأدب العالي إلى علم
يلقاك بالبشر والترحاب محتفلاً
في دارة الفضل رعيانا وسواساً
تلقى الوفود بها لطفاً وإيناساً
من الكرام صفا ذوقاً وإحساساً
ينسى الغريب من اللوعات ماقاساً

* * * *

عبد العزيز الرفاعي يا ابن بجدها
تسعى إليك وفود النور ما برحت
تلقى القطوف من الآداب دانية
تلقى القرى من صحاف البر غادية
ورداً طهوراً تروي الروح شفته
هذي مصاحبة الأبرار ديدنهم
السكر من أدب، والخمر من خلق
ولست ساهد شرب غرهم حبيب
شرب ترنج واغتالت حلوقهم
ولت مروءتهم، باعوا كرامتهم
أشرفت في النبل مشكاة ونبراساً
ضم جحافلها صيداً وأكياساً
والعلم في عرصات الدار قد ماساً
«عمار» يحبوك أشكالاً وأجناساً^(٢)
عذباً فراتاً زكا روحاً وأنفاساً
ري العقول ، وما يرضون أرجاساً
لا من عقار تغول القلب والراسا
وما لثمت لها ثغرا ولا كاسا
كانوا غصونا فصاروا بعد، أقواسا
باتوا أذلاء للنكراء أنكاسا

* * * *

(١) وجدتھا منشورة في مجلة المنهل، العدد ١٢٠٦، المجلد ٣٨، رجب وشعبان ١٣٩٧هـ.

(٢) عمار: هو نجل صاحب الدارة الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي.

وذات دل كأن الشمس طلعتها
رنت إليّ بعين السحر حاملة
صبت تجاذبني وصلاً فقلت لها:
وما سبتني ذات الدلّ أن خطرت
ليلاي في مصر، حاشا أن أخون لها
سليلة البيت والظهر التي كرمت
صحبتها العمر في حب ، وفي ثقة
صاروا رجالاً يصون الله قدرهم

مادت بقدر كغصن البان مياسا
وسنى وما رمداً تشكو ولا باسا
بيني فما كنت في الصبوات غماسا
وأسمعت من صليل الحلي وسواسا
عهد الوفاء إذا ما صاحب خاسا
وأبرمت من وثيق العهد أمراسا
ترعى بني وآمالي فما آسى
وأسلفت من جميل الرفق ما واسى

* * * *

مالي وللشعر ، قالوا إنه نكد
قالوا: وأعذب هذا الشعر أكذبه
وما تقول سوى صدق يصعده
خل القريض لأهل الشعر ينشده
مالي وللشعر : تسبيني عرائسه
وما مدحت كبيراً هان ما ملكت

يجود في الشر كالشيطان خناسا
إن الغواية فيه تفتن الناسا
إحساس لبك أصداء وأجواسا
ذو الغواية طلابا وأحلاسا
وما أقيمت لها حفلا وأعراسا
كفاه إن فاضت دراً وألماسا

* * * *

أذوى شبابي طلاب العز في دأب
وعشت للحب بين الناس أنشره
الفن للفن ، لا للجيب يملؤه
والعلم للعلم ، يحيا في ذرى أنف
صدعت بالحق أرويه على ملاء

لا عاش للعز من قد عاش مكاسا
ولم أعش بينهم بالشر أساسا
فيض الدنانير للمداح أكداسا
وإن شكا حاملوه الدهر إفلاسا
وما خشيت من الساعين دساسا

ولست من معشر باعوا مواهبهم
والعز بين حنايا القلب ما علقت

* * * *

أبيت أضرب أخماسا وأسداسا
نفسى سواه، وما حاولت أبساسا

قالوا الرياض رياض في مفاتها
ما روضة غير هذا الروض يعرفه
ما روضة غير هذي الدار يعمرها
عزّت على الصيد والأنداد منزلة
راموا بلوغ ذراها، وهي سامقة
وارتدّ فارسهم، يلوي على كمد
تحمى حماها، وتنفي الزيف صامدة

* * *

تلقى بها الروح والريحان والآسا
أهل المكارم زواراً وأناسا
الألمعي عصيات النهى ساسا
بُوتتها، وتلاشوا دونها ياسا
وجردوا لبلوغ الشهب أفراسا
وما درى أن للأمجاد أحراسا
تذب عن وردها الفياض أنجاسا

* * *

عمار ، يا ابن الألى صانوا مآثرهم
هذا السبيل سبيل المجد قد رسمت
قد رسخوا المجد أعلوا من منارته
درب طويل تحاشاه الذين غدوا
المجد بالبذل، لا بالصيد قد شحذت

* * *

وأشرقوا في سماء المجد أشماسا
أيدي الرجال له حدا ومقياسا
ووطدوه دعامات وآساسا
ظنوا الرجال دنانيرا وأكياسا
له الكواسر أنيابا وأضراسا

* * *

عبدالعزیز ، وهذا الصفو يجمعنا
ماذا أقول ؟ ولبت الشعر يسعفني
خذها من القلب الحانا قبست لها
من وحي دارتكم صيغت مزاهرها

في دارة الصفو ، رق القلب حساسا
أفنت مآثركم حبرا وقرطاسا
من صادق الحب أنغاما وأقباسا
عشتم لركب الحجا والنبل حراسا
بدوي طبانة

* * * *

إلى الدكتور بدوي طبانة^(١)

رداً على تحيته الشعرية الماتعة

يوم كنا - ولا سوانا - الناسا
وكم صعد الشذا الأنفاسا
لهفة الشوق ، كلما الغصن ماسا
وحدنا كل وردها والآسا
فمن علم الجلال انبجاسا
ومن أنعم الذرى إحساسا
ر فإن وليا فقل : لا مساسا
طويا .. ثم أبدلاني انتكاسا
رفعا في حياتي النبراسا
قد مشى الليل في رياه وجاسا
كيف ليل الشباب ينفي الياسا ؟ !
مال .. كلما جلل المشيب الراسا
قد كفاني من السراب التباسا
يتغنى .. فعاد يشكو احتباسا
شيد النقد .. أعمداً وأساسا
والمصفى من القصائد خاسا ..
مرّ باللغو مشفقاً .. ثم واسى !
راضه بالحجا .. فلان اثتناسا
زادها العلم حنكة ومراسا
لم لا نستزيده .. أعراسا
في المعاني .. لا تطلبن الجناسا
ديه .. فقد أبدع البيان .. قياسا

هـ ١٣٩٧/٤/٢٣

* * * *

أفتنسى العهود أم تتناسى
كم تركنا الربيع يشعر بالخصب ،
كم تركنا على شفاه الخزامى
كم ظننا أن الرياض حبتنا
وي كأن الجبال تهمس بالشعر
من ترى رقرق المعاني في الصم
الهوى والشباب ، أسطورة - العم
وهما في الحياة يقظة روحي
وهما الشعر يا صديق القوافي
وليأ .. فالحياة درب عمل
عجبي .. فالدجى أمانة يأس
والبياض المثير .. يلتهم الآ
إنه خدعة السراب فدعني
كان شعري في مبيعة العمر لحنا
لا تلمني .. وأنت في النقد فذ
إن رأيت القصيد مني أصفى
قل : سلاماً .. ومُرْ شأن كريم
بدوي .. يبني الحضارة حرفاً
في تأليفه البيان نقياً
شعره كالربيع .. موكب عرس
إن يشب شعره ، فما شاب شعراً
بل إذا أبرق البيان بفو

(١) نشرت في مجلة المنهل، المجلد ٣٨، رجب وشعبان ١٣٩٧هـ ..

شاعر النيل^(١)

تحية للأديب الكبير الأستاذ محمد عبد الغني حسن، بمناسبة زيارته للمملكة العربية السعودية

من هنا.. من مسارح الإلهام	حي يا شعر شاعر (الأهرام)
حيه من مسير بوح الخزامى	همست بالأريج للأكاء
حيه.. من ملاعب الريم في السب	سب حباته القلوب الدوامي
واستعر لفتة الطباء لتزجي	لغة الشعر من لغى الآراء
لملم السحر من عيون المها الحو	ر ومن هديها ولحظ السهاد
من عشيات كل صاحب ليلى	رقرق الشوق في قصيد غرام
من أناهيد كل ليلى أباحت	طيفها .. عاشقاً من الأحلام
حلمت بالنسيب يسري مع العيد	س وينساب في ليالي التمام
وقعته الحداة رائق لحن	فغدا خطوها من الأنغام
لم تزل في الرى بقايا الأغاريد	د وفيها صباة من هيام

* * * *

شاعر النيل إن تَلَفْتُ للأر	ض فلم تبصر الربيع النامي
أو ترَ السندس النضير عليها	فارشاً من بساطه المترامي
ولئن فاتك العرار ونفع الط	يب في سيره مع الأنساء
إنها غيبة الغمام عن الرو	ض وما حيلة لنا في الغمام

(١) نشرت في جريدة الرياض في ١٣ ذي القعدة ١٣٩٧ هـ / ١٥ أكتوبر ١٩٧٧ م.

يا قلوب الدعاة عودي إلى الله
ولتكن هذه ضراعة شعري
به فما غيره ملاذ اعتصام
لكريم.. منه عطاء الكرام

* * * *

حي يا شعر شاعر الأهرام
صحف العصر آية العصر حقاً
أنت من مجدها على الصدر منها
علم أنت في البيان وفي الشع
لم تزل ترفد الصحائف نوراً
أنت من سخر اليراعة للح
فسلام عليك رائد صدق
شامخاً.. مثلها سني المقام
غير أن الخلود للأقلام
وبعهد (الزيات) في الأعلام
ر وفي خدمة التراث السامي
تتوارى منه طيوف الظلام
ق أديباً يرعى هدى الإسلام
تتمناه طيبات السلام..

١٣٩٧/١١/١٠ هـ

* * * *

ظْمَانُ ..

ظْمَانُ ..

ظْمَانُ .. رَغَمَ صَدَى الْخَرِيرِ بِمَسْمَعِي
رَغَمَ انْهِمَارِ الْمَاءِ بَيْنَ أَصَابِعِي
رَغَمِي أَعْيِي .. أَنِّي الْحَقِيقَةُ لَا أَعْيِي
أَنِّي .. عَلَى رِيٍّ ، نَعَمَ رِيٍّ أَعْلَى مَدَامِعِي
ظْمَانُ ..

* * * *

ظْمَانُ ..

وَالظِّلُّ الظَّلِيلُ وَخَفَقَ أَجْنَحَةَ السُّحَابِ
فَوَقِي .. وَتَحْتَ سَنَابِكِي يعلو العُبابُ
وَقَمِي .. عَلَى كَأْسٍ بِهَا شَرِقَ الشَّرَابُ
أَهُوَ الشَّرَابُ .. ؟ وَلَيْسَ فِي أَرْضِي الشَّرَابُ ؟
ظْمَانُ ..

* * * *

ظْمَانُ ..

والتَفَقَّتْ ، مُسَائِلُهُ غُصُونُ مَرَايِعِي
واهْتَزَّ فِي جَنْبِي خَفَاقٌ .. يَدُقُّ أَضْأَلِعِي

تَحْتَارُ أَشْوَاقِي .. وَتُبْهِمُ فِي الْغُمُوضِ نَوَازِعِي !
عَيْنَايَ تَنْشُدُهُنَّ .. تَنْشُدَانِ فَوْقَ مَطَالِعِي !
ظَمَانُ ..

* * * *

ظَمَانُ ..
لَهْفَانُ .. يَدْلِفُ لِلشَّوَاطِيءِ ظَمَامِي
يَدْنُو .. فَيَسْنُو بِالزُّلَالِ وَلَا يَصْدُ .. الشَّاطِي
لَكِنَّهُ .. يَرْتَدُّ .. لَا تَمْتَدُّ مِنْهُ مَوَاطِي
أَيْضَلُ .. وَالشُّطُّ السَّخِي مُوَائِي
ظَمَانُ ..

* * * *

ظَمَانُ ..
ظَمَانُ .. لَا عُتْبَى عَلَى الْهُدْبِ الظِّلِيلَةِ
الْلَيْلُ .. مَا أَرْخَى عَلَى فَجْرِي سُدُولَهُ
لَكِنْ فِي أَعْمَاقِ أَعْمَاقِي مَوْلَاهُ عَلِيلَةُ
الْلَيْلُ .. لَقَعَهَا .. يُصَاحِبُهَا .. فَمَا لِلْفَجْرِ حِيلُهُ !
ظَمَانُ ..

شاعر الأغصان - جدة ١٣٩٨/١١/٩ هـ

* * * *

روضتي قد أمحلت^(١)

أخي الحبيب الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي - سلمه الله
.. كنت قد تسلمت رسالتك العاتبة على استعمالي لكلمة (معالي) والحقيقة أنت جدير بها
من قبل أن يصدر مرسوم بها لخلقك الكريم ومثاليتهك إهدائك التحيات للورود قد
جاءت منها هذه القصيدة المرفقة التي تشتمل منها رائحة الشيخوخة والهرم.
محمد عبدالقادر فقيه : ١٣٩٩/٥/٢١ هـ

أيها المهيدي سلاماً للورود
روضتي قد أمحلت منذ عهد
أمحلت واستبدلت أغصانها
عوسجاً، والريم أشباه القروء
كل غصن كان للقلب منى
موكباً للحسن رفاف البنود
موكباً للحسن مخضلاً الجنى
عاد من بعد ليلان للوقود
روضتي قد أمحلت حتى المنى
ما تغاديتها بأطياف الوعود

(١) وضعت لها هذا العنوان استرشاداً بعنوان القصيدة التالية.

ما عليها أن نضت أغصانها

وتعـرّت من زهورٍ ويرودُ

ما على الوافين ألا يذكروا

ما على الناسين عتبٌ للجحودُ

ما على قلبٍ شجيٍّ لو غفا

متعباً واجتاحه ليلُ الرقودُ

ما عليهم أسدلَ السترُ على

سامرٍ أقوى وخائنه الجدودُ

* * * *

اغرس غيرها

مهدة للصديق الشاعر الأستاذ محمد عبدالقادر فقيه عن حديقته التي كان يرتادها
نفر من الأدباء والشعراء من الشباب اللدات للدراسة وجواباً لأبياته:

شَارَكْتُنَا ، وَلَمْ تَمَلِّ الْوُرُودُ
عُمْراً ، مِثْلَهَا نَضِيرُ نَضِيدُ
إِنْ فَرَحْنَا ، يَنْسَاقُ مِنْهَا أَرْبَجُ
نَاغِمٌ ، زَقْفُهُ بِهِ الْأَمْلُودُ
وَإِذَا اسْتَحْوَذَ الْوُجُومُ عَلَيْنَا
طَاطَأَ الْغُصْنُ ، وَاسْتَكَانَ الْجِيدُ

* * * *

كُلُّ لَبْلٍ ، يَطْلُ بِدَرْ عَلَيْنَا
فَإِذَا غُمٌ ، فَلْيَغْمِ الْوُجُودُ
لَا تَسَلْ عَنْ مِهَادِنَا فَهِيَ بَشْرُ
يَتَنَزَّى ، وَفَرَحَهُ ، وَتَشِيدُ

* * * *

كَيْفَ- يَا صَاحِبِي- أُمَحِلَ وَرَدُ
قَدْ عَشِقْنَاهُ .. وَاسْتَبَدَّتْ بِيْدُ؟
وَمَضَتْ بِالرَّبِيعِ أَشْبَاحُ جَدْبِ
وَاسْتَقَرَّتْ ، بَعْدَ الْمَهَاةِ ، الْقُرُودُ؟

يَا لَهَا مِنْ فَجِيعَةٍ - يَا صَدِيقِي
أَنْ يَذُوبَ النَّدَى ، وَتَذْوِي الْوُرُودُ؟
أَنْ تَذُوبَ الْمَنَى ، وَكَانَتْ حَيَاةً
فِي أَحَاسِيسِنَا .. لَهَا تَرْدِيدُ
صَاحٍ ! لَا تُطْعِمِ الْوُرُودَ لَظَى النَّا
رِ ، وَدَعْ عَنْكَ سَاقَهَا يَا وَقُودُ
وَإِذَا صَوَّحَتْ ، فَدُونِكَ فَابْذُرْ
غَيْرَهَا ، وَانْتَظِرْ ، لِيُورِقَ عُودُ
هَكَذَا نَحْنُ .. إِنْ تَوَلَّى رَعِيلٌ
جَدُّ ، مِنْ بَعْدِهِ رَعِيلٌ جَدِيدُ
وَحِصَادِ الْأَيَّامِ نَحْنُ دَوَا
لِيكَ ، عَلَى رَغْمِنَا يَتِمُّ الْحَصِيدُ
مَا عَلَيْنَا .. إِذَا تَنَكَّرَ قَدَمُ
أَوْ تَنَاسَى عَهْدُ الصَّفَاءِ جَحُودُ^(١)
هَكَذَا يَسْخَرُ الزَّمَانُ مِنَ النَّا
سِ قَبْلَ فَنَى عَهْدُ ، وَيَغْفَى رُقُودُ
وَإِذَا اسْتَبَقَ الْغَفَاةُ فَقَدْ
لَمَلَمَ عَنَّا الشُّعَاعُ بَرْقُ شَرُودُ
الرياض ١٣٩٩/٧/١٧ هـ

* * * *

(١) القدم: الرجل الثقيل الأحمق.

أحث الخطي^(١)

أحثُ الخطي ، يا حبيذا حشةُ الخطي
إلى ساعة أرتاح فيها من العنا
ولا تعباً أشكو بجسمي ، فطالما
تجشَّم أعباء السنين فما وني
ولكنها نفسي ، تعيش غريبةً
عن الناس، حتى قد تساءلتُ من أنا؟
يندُّ بها غمطُ الحقوق وغفلةُ
عن الدرب والإيغال في طلب الغنى
لقد أبطر المال النفوسَ وبادرت
بأي مآل سوف يفضي بها الخنا ؟
وكم بشمت منهم بطون وأسفبت
مقابلها أخرى فأودى بها الضنى
ولو عدلت كانت سواء على السرى
فبينس هنا المجني عليه ومن جنى
إذا سلك الناس الطريق سليمة
فقد سلموا ديناً وقد سلموا دنى
وعاشوا وفيض من عناهم لمُعْتَفٍ
وما شاع حقد في الربوع مهيمنا
* * * *

(١) كتبها على ورق مائل للورق الذي كتبت عليه قصيدته السابقة (اغرس غيرها) ولهذا أتوقع أنها
في عام ١٣٩٩هـ.

خَالٌ

خَالِكَ هَذَا الَّذِي يَشْرَبُ مِنْ وَرْدَةٍ بِإِذْخَانِهِ
أَرَاهُ لَا يَفْتَأُ فِي قُبْلَةٍ طَوِيلَةٍ .. رَاسِخَةٍ .. رَاسِخَةٍ
حَسْبَكَ هَذَا الْخَدُّ لَا تَنْتَقِلُ لِلْكُرْزَةِ الْمَلْمُومَةِ الصَّارِخَةِ
دَعَهَا لِمَنْ غَنَى عَلَى حُسْنِهَا قَصِيدَةً فَوْقَ الْمَدَى شَامِخَةٍ
١٣٩٩/١٢/١٥ هـ

* * * *

يَا عَصَامَا^(١)

يَا عَصَامَا لَكَ التَّهْنِائِي تَزْجِي
بِالْفَضِيلِ الْكَرِيمِ شَهْرَ الصِّيَامِ
أَتَمْنَى لَكَ الْمَعَادَ إِلَيْهِ
فِي مَدَارِ الْأَيَّامِ مِنْ كُلِّ عَامٍ
وَلَكَ الشُّعْرَ فَائِقًا بِالْمَعَانِي
ثَرَّةً ، مِنْ مَعِينِ نَفْسِي عَصَامِ
الطَائِفِ ٦-٧/٩/١٤٠٠ هـ

* * * *

(١) كتبها تعليقاً على بطاقة تهنئة أرسلها له عصام الغزالي من الرياض في غرة رمضان المبارك عام ١٤٠٠ هـ

مثال الوفاء والصدق

أخي الوفي المكرم ، حفظه الله ورعاه ،
معالي الشيخ عبدالعزيز الرفاعي - المحترم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،
هذه نفثة أوجت بها التفاتتكم الحبيبة ببعث الأخ المعمر^(١) إليّ مستفسراً عني ، ومن
إلهامكم من خلال حديثكم عبر الهاتف ، آمل قبولها - وهي وإن تفهت إلا أنها تعبر عن
مشاعري تجاه أخ قلّ ضريبه في الإخوان شهامة ونباله ووفاءً ، وإن جاء تقصيري فيها ،
لأنني لا أجيد شعر (الإخوانيات) على حبه إليّ ، لأنني شغلت بمصائب الأمة والديار .
حفظك الله ورعاك وأجزل ثوابك وأحسن عاقبتك ، وحسن العاقبة خير من الدنيا
وما فيها والسلام .

عَجَمْتُ الصُّحْبَ أَلْوَاناً ضُرُوباً
وَقِيّاً فِي الحُطُوبِ أَخاً ، وَذِيباً
عَزِيزُ فِي الْوَفَاءِ حَلِيفَ صِدْقٍ
يَرَى هَضْمَ الْعُهُودِ خَتْنِي مَعِيباً
كَرِيماً ، لَا يَتْنِي عَنْ فَكِّ عَانٍ
بَعِيداً ، إِنَّ عَدَوّاً ، أَوْ قَرِيباً
أَخِي «عبدالعزيز» إِلَيْكَ شُكْرِي
مَدَى الْأَيَّامِ يَعْبُقُ مِنْكَ طَيْباً
جُبِلْتَ عَلَى الشُّهَامَةِ وَالْمَعَالِي
كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ لَهَا حَبِيباً

(١) المعمر: عبدالرحمن بن فيصل المعمر.

إذا غاض الوفاء ، وناء خلٌّ
 وجدتك نوءً تُحْيِي الجُوديا^(١)
 فيا زَيْنَ الرِّجَالِ ، هُدًى ولُطْفاً
 ويا فخر الكرام ، حِمًى رَحِيباً
 نَمَتَكَ «رِفَاعَةً» لا غَرُوَ مِنْهَا
 بِصُوغِ المَجْدِ أَوْسَمَةً ضُرُوباً
 رَعَتَكَ أَرْوَمَةً ، شَمَخَتْ فُطَابَتُ
 وضاعت كالأريج ندى رَطِيباً^(٢)
 فإِنِّي قد خَبَرْتُ بك السَّجَايا
 يُضَمُّخُهُنَّ مِنْ شَرَفٍ طُيُوباً
 سَجَايا الغُرِّ مِنْ كَرَمٍ وَخَيْرِ
 تَهَبُّ مَدَى الزَّمَانِ سَناً ، هُبُوباً^(٣)
 سَجَايا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ رَقَّتْ
 كَنُوءِ الرِّبْعِ ، شَذَى وَطِيباً
 وَصَلَتْ بِهِنَّ سَابِقَةً زَمَاناً
 بِأَسْبَابِ الطَّرِيفِ أَباً نَجِيباً
 فَأَكْرَمَ بِالْأَبْوَةِ إِذْ نَمَتَهَا
 أَصُولُ فِي الْعُلَا مُرْداً وَشِيباً
 أخوك د. عبدالله الجبوري
 الرياض ٢٩ ذو القعدة ١٤٠٠هـ - ١٠/٧/١٩٨٠م

* * * *

(١) ضمير (نوء) يعود على الوفاء.

(٢) ضاع العطر: انتشرت رائحته.

(٣) الحخير: بكسر الحاء المعجمة. سناً: السناء الرفعة والمجد.

سعى بالود

وقد أرسل إليه الرد في ١٧/١٢/١٤٠٠هـ

سعى بالود رفرافاً حبيباً
كما يسري النسيم ينثُ طيباً
ليبذل من صداقته صفاءً
ويأسر في محبته القلوبا
ويجمع فوق فضل العلم فضلاً
من الأخلاق مقدماً رحيباً
فكم نشر المعارف في كتاب
وكم نشر الفضائل والطبوا
على الحالين حلبة المعى
وفي الحالين كان هو الأديبا
توهج علمه فهدى عقولاً
أنار به المسالك والدروبا
وجاءت من شمائله طيوف
لتقطار المحبة والحبيبا
ولا عجب فذلك دأب قوم
شمائلهم سرت طيباً عجيباً
فمن آل الجبوري كل شهم
يورث مجده الشهم النجيبا
فإنك إن سمعت بذكر شخص
جبوري فدونكه الأريباً

جدة ١٧/١٢/١٤٠٠هـ

* * * *

حقية الأحساء^(١)

ذكرى زيارة

مَنْ كَرَامٌ عَلَى الْكَرَامِ أَنَا فَوَا
تَنْبِت الْأَرْضَ بِالرَّبِيعِ سَخَاءً
مَا تُرَاهَا زِدَ سَمِيعُ أَحْسَاءَ
قَدْ أَجْنَدَتْ كَنْزَ الْحَضَارَةِ قَدِمَطاً
فَإِذَا الْعَالَمِ، اسْتَدْفِرَ إِلَيْهَا
زَيْغُهَا، نَوْرُهُ، وَقُوَّتُهُ الْكَبِيرُ
قَطَرُهُمْ، مِثْلُ أَهْلِهِ، مُضَيَّافُ
فَهِيَ الْقَلْبِ، وَالرَّبِيعِ الشَّغَافُ
لَدَنُو مِنَ السَّخَاءِ، يَضَافُ
وَأَفَاضَتْهُ، فَاسْتَلَانَ الْجَفَافُ
رَاكِضاً، لَاهِثاً، لَهُ أَرْجَافُ
رَى، وَمَسْرَى صِرَاعِهِ وَالْمَطَافُ

* * * *

مَنْ كَرَامٌ عَلَى الْكَرَامِ أَنَا فَوَا
وَبِشَاشَاتِهِمْ لِقَاءَ رَّبِيعٍ
دَامَ هَذَا الرَّبِيعُ يَخْضُلُ بِالْبِشِ
ضَيْفُهُمْ، بَلْ مُضَيِّفُهُمْ مَنْ أَضَافُوا
وَحَدِيثُ كَمَا تَدْبُ السَّلَافُ
رَ نَضِيرًا، مِنْ عَطْرِهِ نَسْتَا فِ
١٧/٥/١٤٠١ هـ

* * * *

(١) انظر القصيدة بعدها.

رد التحية

بمناسبة زيارة معالي الشيخ عبدالعزيز الرفاعي لإخوانه في الأحساء يرافقه الأخوان الكريمان الأستاذ عبدالرحمن المعمر والأستاذ محمد العلي لإجراء حوار أدبي مفتوح حول أصالة الأدب العربي وتجديده في قاعة جامعة الملك فيصل وكذلك الندوة الثانية للحوار المفتوح المطلق في قاعة المحاضرات بهيئة مشروع الري والصرف بالأحساء فقد تفضل معالي الشيخ الرفاعي وتحف أهالي الأحساء بقصيدة تحية للأحساء ولأهلها وذكرى تخلد هذه الزيارة الكريمة وألقاها حفظه الله على مسمع جمع غفير من الحضور في الحوار المفتوح في هيئة المشروع، وقوبلت بالشكر والتقدير والامتنان.

وقد حركت مشاعري تلك القصيدة العصماء فابتدرت بنظم أبيات رداً للتحية وتعبيراً عن عظيم التقدير والشكر لمعالي الشيخ عبدالعزيز والزملاء الأفاضل وها هي كما جاءت على السجية بدون تكلف ولا كد ذهن.

شَوْقٌ وَإِكْبَارٌ تَلَاهُ هَتَافُ
تُزْجِي بِهِ الْأَحْسَاءُ وَالْأَرْفَافُ
لِرَجَالٍ عَلِمَ شَرْقُوا أَوْطَانَهُمْ
فَهُمْ بِهَا الْأَهْلُونَ وَالْأَضْيَافُ
شُكْرًا يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ وَمَنْ لَهُ
حَقُّ الصُّدَارَةِ قَالَهُ الْإِنْصَافُ
أَتَحَفَّتُمُونَا بِالزِّيَارَةِ مَعَ فَتَى
آلِ الْمُعَمَّرِ فَيُصَلِّ كَشَافُ

* * * *

وَأَعِدْتُمُو عَهْدَ الْحِوَارِ لِنَسْتَقِي
نَهْلًا وَعَلَا قَالَ الْعُلُومُ سُلَاقُ
وَمُحَمَّدٌ نِعَمَ الزَّمِيلُ فَإِنَّهُ
عَضُدٌ أَدِيبٌ طَبِيعُ مَنْسَلَقُ
لَمَّا رَأَى إِخْوَانَنَا أَدَبَاءَنَا
لَمْ يَحْضُرُوا أَبَدَى هُنَا الْإِسْعَافُ
فَتَبَلَّوْرَتْ عِنْدَ الْحِوَارِ مَسَائِلُ
شَتَّى لَهَا أَثَرٌ لَهَا أَغْرَافُ
أَخْبِتْ لَنَا مَآمِرٌ مِنْ تَارِيخِنَا
مَا قَدْ بَنَاهُ السَّادَةُ الْأَسْلَافُ
فَعَسَى الْبِدَايَةُ أَنْ تَكُونَ كَهَمَزَةٌ
لِلْوَصْلِ يَعْقِبُهَا اللَّقَاءُ يُضَافُ
حَتَّى نَتَابَعَ حَلَقَةً مَفْقُودَةً
كَيْلَا يُبَدِّدَ كَثَرَتُهَا الْإِتْلَافُ
وَأَعُوذُ أَشْكُرُ لِلرِّفَاعِي شُكْرَهُ
وَتُسَاءَلُ فَقَرِيبُضُهُ مِفْوَافُ
أَثْنَى جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا بِالَّذِي
هُوَ أَهْلُهُ إِنَّ السَّمَمَاتِ ظِرَافُ

محمد بن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف المبارك

الأحساء المكتبة العامة

ليلة الأربعاء ١٨/٥/١٤٠١هـ

* * * *

في غمرة الثراء ..

إن ضاع عمر الناس ما
والأرض يستهمون فيه
فـهناك في وسط الزحـا
عكفوا على شرف العلو
الأرض قد ملكوا مفا
قد شيدوا فيها القـصو
فقـصـورهم أبقي فإن
الريح عندهم أجل
بين الدراهم والعمائر
ها والمزارع والمتاجر
م من الألى قـوم نوادر
م فهم بسدتها مآثر
خرها إذا سألت عن المفاخر
ر من الحابر والدفـاتر
الخلد ما حوت القمـاطر
فَطِرْ إليهم يا مبادر
١٤٠١/٦/٧ هـ

* * * *

حَية جَازان ..

دعا نادي جازان الأدبي معالي الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي إلى جازان تكريماً له، وتقديراً لأدبه النفسي والدرسي، وقد ألقى القصيدة العامرة (التي نشرها هنا) بنادي جازان الأدبي.. وقد قوبلت القصيدة العصماء بالاستحسان والتقدير^(١)

جازان والفن .. شحرور وأيكته
والشعر .. في فنه .. تعلو أريكته
العاشقان هما .. حتى لو اعتنقا
ظلّ المولّه .. والتاعت شريكته
الشعر .. في أرضكم تبر فلا عجب
للمبدعيه .. إذا انصاعت سبيكته
من خصبكم .. جاء خصباً ناعماً غدقاً
لانت قوافيه ، وانقادت عريكته
كأنما مهر ليلي عند قيسكمو
قصيدة ، تتمناها .. مليكته
رسالة الشعر ، ألحان منغمة
على الشفاء .. إذ انسابت أليكته
رقت أناشيدكم .. رقت حناجركم
فما أرق الصبّ فيها .. ودوكته
هذا السنوسي من آيات فنكمو
شحرور جازانكم .. جازان أيكته
١٤٠٢/٢/١١ هـ * * * *

(١) نشرتها مجلة المنهل ، السنة ٤٨ ، العدد ٤٤ ، المحرم وصفر ١٤٠٢ هـ ، وهذا ما قدمت به المجلة لنشرها .

حَقِّقِ الحَلْمَ بَعْدَ لَأَيِّ زَمَانِي

يا صديقي .. ما أرى .. أيقظاني
حَقِّقِ الحَلْمَ - بعد لأي - زماني
إن تيقظت .. لا أريد سباتي
يقظتي كالرؤى لدى الوسنان
نسي الدهر ساعة أنه الدهر
فجئنا في صحبة النسيان
فاصطحبنا، وما اصطحبنا سوى الحـ
باً ويا حـبذا ربيع الجنان
قرية قد تنامى الحسن فيها
وجئت بين ساعديها الأمانى
ما تمنيت أن ترى من جمال
ها هنا، مائلٌ ، لطرفك، دان
نثر الفن زهره في الحفافى
ومشى في مشارف الوديان
أُتراها من الورود اللواتى
صنعتها فأبدعت يدُ الفنان؟؟

إنهـا آية من الله جلت
أن تُضاهى بصنعة الإنسان
فتأمل ، ما شئت أن تتملى
وامتع الطرف من بديع المجاني
كل مسرى ، عينيك مسرى جمال
رائع فوق رائعات المعاني
نفرت وسطها مياه النوا
فيرِ فألقت بنفسها في الجمان
نغم ها هنا من الماء سار
وهنا رنة لوقع المثاني
جوقة في اليمين تعزف لحناً
نتلقاه بالقلوب الحواني
كلما تهدأ المعازف حيناً
نستحث الأنغام للآذان
وعلى مسرح الشمال خرير
نتصّباه بين آن وآن
نغمة من هنا وهاتيك أخرى
أنت في جنة من الألفان
شَطْرَنج ، اللاعبوه بأرض
خيف من سوحها جموح الحصان

يا وزيري .. ما بالنا جرؤ القو
م على هيبتي .. على سلطاني؟
نزلوا ساحتي .. كأنني منهم
في عداد .. أو أننا سيان
قلعتي حصنت وجندي كثير
كيف يا ويحهم تخطوا مكاني؟
أصخ السمع، بلبل الأيك غنى
فاستجابت بلابل الأغصان
يا صديقي أي منظر حسن
أتغنى فهل تطيع الأغاني؟
مشقة الروح والفؤاد فهيا
ها هنا نغتسل من الأدرا
في وصف قرية بألمانيا بقرب فرانكفورت

شعبان ١٤٠٢هـ

* * * *

يا شوق .. لا

إلى الصديقين العزيزين : عبدالرحمن المعمر وعبدالله بامقدم اللذين شهدا مولد هذه الأبيات

قد نسيتُ الهوى.. فَمَاذَا جَرَى لِي كَيْ أَعِيدَ الهَوَى لِقَلْبٍ خَالٍ
سَهَرْتُ قَبْلِي اللَّيَالِي فَلَمَّا عدتُ للشوق.. رَجَبْتُ بِي اللَّيَالِي
كنتُ أضئُهَا فَأَضْنْتُ جُفُونِي فاصطحبْنَا على بَقَايَا احْتِمَالٍ

* * * *

قد نسيتُ الوعودَ تُعْطَى وتُنْسَى واشتعالُ الفؤَادِ بَعْدَ اشتعالِ
واشتغالي بَعَاذِلِ وِرْقَيْبٍ لَيْتَ صَفْوَ الهَوَى بِلا عُذَالٍ
غيرتِي .. نَارُهَا بِقَلْبِي تَلْطُتُ فَأَنَا مِنْ رَمَادِهَا اليَوْمَ صَالٍ
مِنْ بَقَايَا صَبَابَتِي أَتَنْزَى كَيْفَ لَوَعَادَ لِلصَّبَابَةِ بِأَلِي؟؟

* * * *

أحسنْتَ صنعَهَا اللَّيَالِي لَمَّا قَطَعْتَ مِنْ حَبَالِهَا وَحِبَالِي
رُبَّمَا يَعْذُبُ الْعَذَابُ وَلَكِنْ عِنْدَ غَيْرِ الْعُشَّاقِ لَيْسَ بِحَالٍ
فَسَلَامٌ عَلَيْكَ يَا شَوْقُ لَا عُذْتُ وَلَا عَادَتِ اللَّيَالِي الْخَوَالِي

نزل العرائس - تونس

١٤٠٢ / ٨ / ٢ هـ

* * * *

تاب .. ولم يتب^(١)

ضاحكة العينين ..

ما أغراك بي؟

بمرهق

من السنين

من ركाम التعب

يكاد لا يبصر

في الطريق

ومضةً لكوكب

جاوزتُ ..

يا فاتنتي

حدّ الصبا واللعب

ما عاد يلهو بي الهوى

الإرماد اللهب

بخافقٍ

جمّ الصبايات

عفيف المشرب

يزعم لي :

بأنه تاب ..

وإن لم يتب

(١) مرة كتبها بهذا العنوان ومرة بعنوان «ناعمة العينين» وبدأها بقوله «ناعمة...».

من عجب ..
فاتنتي ..
لا أنقصي من عجبي!
أسأل ..
هل يمشي الصبا
على دروب الأشيب؟
والوردة البيضاء ..
هل تهفو لجذع الحطب؟
هل يحلم الخصب الندي
بالجفاف المجدب؟
وهل يحب الفجر
وهو الفجر
ظل المغرب؟
ضدان ..
يا فاتنتي
نحن ..
فلا تقتري
لا تشعلي ميت الرماد
من بقايا الأحقب
أو .. فاشعلي
فاتنتي ..
إن شئت أن تجربي!

تونس ١٢/١/١٤٠٢ هـ

* * * *

لو كان لي قدرة^(١)

لو كان لي قدرة في الشعر طيعة
مدحتُ .. ولكن مثلما أنت عارفٌ ..
يقصّر باعي عن نوالِ بـُحورِهِ
فيكفيكَ (محمود) ويكفيكَ (عارفُ)

عبدالعزیز الرفاعي

١٤٠٣/٧/١٩ هـ

* * * *

(١) أرسلها في تاريخها إلى محمود عارف، فردَّ عليها بالقصيدة التالية، ثم رد الرفاعي، بالرسالة الملحقة بقصيدة عارف في الهامش.

تهنئة بالعيد !!

معالي المكرم الفاضل الأستاذ الجليل عبدالعزيز الرفاعي - المحترم

بعد التحية :

وصلتني منكم أبيات رقيقة فيها نبل ومشاعر رقيقة نحوي، وبالنسبة أبعث لكم القصيدة التالية من البحر والقافية .

أرجو أن أرد لكم بعض ما غمرقوني به من وفاء وجميل ، وقبل فوات المناسبة أهنتكم بالعيد أعاده الله عليكم والأسرة بالصحة والسعادة ، وهذه مشاعري بالاشتراك مع الأستاذ عبدالفتاح أبو مدين ومع الخجل أرجو غرض النظر عما تقرؤون في هذه القصيدة من شطحات الخيال والوجدان .
تحياتي لكم ولكل من يضمه مجلسكم العامر .. وشكراً من الأعماق

يقولون إن الحب رهو وجارفُ	وإنني بهذا القول أدري وعارفُ
رضعتُ الهوى من ثدي أمي براءة	حلاوته نبض من الأم عاطفُ
لعلك مثلي .. والهوى في شبابنا	ندي كزهر الرّوض . والبعض عاصفُ
مشينا إليه بالفتوة نحتفي	بأوله .. نلهو به وهو عارفُ
قطعنا على نعماء رحلة صابر	وصبر الهوى آت ، ونعماء سالفُ
على أيسر الأحوال كانت مسيرة	ميسرة التوفيق ، والسعد وارفُ
على أنني ألقاك فيما تجيده	من الشعر يحلو نسجه وهو طارفُ
ولولا صفاء الود ما فاض بيننا	شعور سماح منك والصدق واصفُ
أخي وصديقي لست أنسى مودة	هي الحزن مجلاه الرضا والتألفُ
على أنني ما زلت ألقاك مخلصا	وفاؤك عندي للحقيقة كاشفُ
ومما يهز النفس أنك ملهم	بواكيره مزهوه والطرائفُ
وفي منتهى الإبداع صوّرت خاطراً	من الشعر يسمو نبضه المتعاطفُ
فزدني من الإبداع شعراً مؤصلاً	شماريخه الإعجاز والجذر هادفُ

حَنَانِكَ لَا تَبْخُلْ فَقَدْ كُنْتَ دَائِمًا
وَمِثْلُكَ عِنْدِي صَادِقٌ فِي شَعُورِهِ
إِذَا قَاضَ مِنْكَ النَّبْعُ وَهُوَ مُسْلَسَلٌ
كَلَامًا عَلَى جُرْحِ الْهَوَى مُتَعَوِّدٌ
وَأَصْغَبُ مَا فِي الْحُبِّ أَنْ يَحْكُمَ الْهَوَى
لَقَدْ فَاتَ غَضُّ الْعُمَرِ وَالشَّيْبُ وَاخْطَأَ
كَلَامًا عَلَى زَحْفِ الشُّبَابِ مَعَايِشُ
وَأَحْلَى حَيَاةِ الْعُمَرِ رِحْلَةَ شَاعِرٍ
وَفِي سَاحَةِ الْأَحْلَامِ قِصَّةٌ مُلْهِمٌ
وَلَوْ كُنْتُ فِي دُنْيَايَ أَلْقَى حَبِيبَتِي
أَبَادِلُهَا حُبًّا بِحَبِّ وَأَرْتَجِي
هَنِيئًا بَعِيدَ الصُّومِ تَلْقَى سَعَادَةً
تَعِيشُ قَرِيرَ الْعَيْنِ نَسْلًا وَأُسْرَةً
«عَزِيزٌ» وَأَنْتَ الدَّهْرُ عَنَوَانُ عِزَّةٍ

رَفِيقَ طَرِيقٍ يَحْتَوِينَا التَّحَالُفُ
وَأَحْلَاهُ شَهِدٌ يَشْتَفِي مِنْهُ رَاشِفُ
وَرَدْنَا عَلَيْهِ يَرْتَوِي مِنْهُ لَاهِفُ
إِذَا طَابَ جُرْحُ بَعْدَةِ سَالٍ رَاعِفُ
عَلَى الْقَلْبِ يَنْسَى - حَاشَا - وَالِدْمَعُ ذَارِفُ
كَاشِعَاعِ فَجْرٍ وَالدُّجَى عَنْهُ زَاحِفُ
تَجَارِبُهُ وَالشَّيْبُ بِالْعِزِّمِ وَاقِفُ
يَعِيشُ مَعَ الْأَحْلَامِ وَهِيَ مَوَاقِفُ
عَوَالِمُهُ مَسْحُورَةٌ وَالْمَشَارِفُ
قَفِي قُرْبَهَا يَحْلُو الْهَوَى وَالْعَوَاطِفُ
رِضَاهَا حَنَانًا وَهُوَ حُلُوٌّ وَرَائِفُ
وَمِنْ حَوْلِكَ الْأَمْالُ وَهِيَ طَوَائِفُ
وَيَذْكُرُكَ الْإِخْوَانُ «فَتَحِي وَعَارِفُ»^(١)
بِكَ الْمَجْدُ يَزْهُو وَالْحُجَا وَالْمَعَارِفُ

محمود عارف ١٤/١٠/١٤٠٣هـ

* * * *

(١) بعد أن تلقى القصيدة بعث إليه بالرسالة الآتية:

أستاذنا الشاعر الرقيق محمود عارف - رعاها الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. ولكم أحسنُ المنى بعيد الأضحى ، ثم بالعام الهجري الجديد الذي يوشك أن يبرز .

وهكذا قدر لرسالتكم المؤرخة في ١٤/١٠/١٤٠٣هـ، المشتعلة على هذه التهنئة الشعرية الرائعة بعيد الفطر، قدر لها أن لا تصل إلا بعد عيد الأضحى، ولم أطلع عليها إلا بعد عودتي من إجازة قصيرة عدت بعدها اسطامبولياً أصيلاً ، أتكلم التركية الفصحى ، ولكن مرور الزمن لا يقلل من شكري العميق لهذه العواطف، التي تجلت رقيقة نبيلة في قصيدتك الهفافة الرفرافة .. وكأنها أقحوانة ندية شذية تنث العطر والطيب! لكم الشكر المضاعف، وللأستاذ فتحي التحايا زكيةً مع الشوق الكثير إلى لقاءكما. والله يرعاكم جميعاً .

عبدالعزيز الرفاعي ٢٥/١٢/١٤٠٣هـ

حقية من العامودي

سيدي الأخ الجليل الأستاذ الكبير عبدالعزيز الرفاعي - حفظه الله.
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فشاكرأ لكم على هديتكم الغالية: كتاب
الجمهرة؛ والذي هو جوهرة حقاً ..

فما أجمل ما تختارونه يا أخي من نفائس تراثنا الخالد لآلئ تراثنا العظيم!
أكرر لكم شكري ويسرني أن أقدم لكم نسخة من كتاب جليل ظهر في أم القرى
وأعني به «فقه عمر بن الخطاب»^(١) في أجزاء ثلاثة وسيصل إليكم عن طريق الابن أحمد
سعيد العامودي، وربما يكون قد وصل قبل وصول هذا الخطاب والله يرفعكم .

المخلص / محمد سعيد العامودي

مكة المكرمة ١٤٠٤/٨/٤هـ

يَا صَدِيقِي مَتَى سَيَخْرُجُ نَشْرُ	النُّورِ لِلنُّورِ بَعْدَ طَوْلِ اخْتِجَابٍ؟ ^(٢)
يَسْأَلُ النَّاسُ عَنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ	وَيَقُولُونَ: طَالَ عَهْدُ الْغِيَابِ
يُكْثِرُونَ الْحَدِيثَ دَوْمًا وَفِي شَوْ	قِ الْوَالِوَتْنَا بِحُلُو الْعِتَابِ
إِيهِ عَبْدَ الْعَزِيزِ، هَيَّا وَخَيْرُ	الْبَرِّ مَا كَانَ عَاجِلًا فِي الْجَوَابِ
«أبو عمر»	

* * * *

(١) هو فقه عمر بن الخطاب موازناً بفقه أشهر المجتهدين من تأليف الدكتور رويحي بن راجح الرحيلي،
وقد طبعته جامعة أم القرى عام ١٤٠٣هـ.

(٢) هو كتاب «المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن
الرابع عشر» تأليف عبدالله مرداد أبو الخير، اختصار وترتيب محمد سعيد العامودي وأحمد علي،
وقد طبعه نادي الطائف الأدبي عام ١٣٩٨هـ. وكما يظهر من رد الأستاذ الرفاعي التالي أنه وعد
بإعادة طباعة الكتاب ، ولكن كساد سوق الكتاب حال دون ذلك.

إلى أبي عمر العامودي

سعادة الأستاذ الجليل الشيخ محمد سعيد العامودي - المحترم
وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

شكراً على الرسالة الكريمة المؤرخة ١٤٠٤/٨/٤هـ وعلى تشجيعكم لما تصدره
الدار، وإن كانت أحوالها الآن ليست على ما يرام بعد كساد سوق الكتاب، وتقلص الحركة
الشرائية، ولكن نرجو أن يمدنا الله بالصمود والصبر.
وصل كتاب (فقه عمر) وإنه لهدية قيمة بحق، شكر الله لكم فضلكم - وأغدق
عليكم من واسع فضله، ولا زلت .

المخلص بحبكم
عبدالعزیز الرفاعي

إلى أبي عمر الشيخ محمد سعيد العامودي:

يا صديقي بي رغبة أشتيها

هي نشر الكتاب دون احتجاب

غَيْرَ أَنْ السَّحَابَ يَغْشَى سَمَائِي وَأَرْجَى السَّنَا خِلَالَ السُّحَابِ

يُكْثِرُ النَّاسَ لِلْأَمَانِي وَلَكِنْ قَدْ تَحَوَّلَ الصُّعَابُ دُونَ الرُّغَابِ

كُلَّمَا تَفَغَّرَ الْمَطَابَعُ فَأَهَا لِكِتَابِ الْقِمْتِ بِكِتَابِ

١٤٠٤/٨/١٢هـ

* * * *

الحلم الأعظم

الورقة أمامي بيضاء ..
الصفحة بيضاء .. ليس بها حرف واحد..
ومن الخير تظل الصفحة بيضاء ..
لا نقطة حبر زرقاء
لا نقطة حبر سوداء ..
لو كان القلم الجبار ..
القلم الذي خطَّ القدر الكائن ..
لو ترك لي الصفحة بيضاء ..
لا .. لن يفعل ..
فمهمته أن يملأ كل الصفحات ..
لكن .. من يجعلني أملأ هذي الصفحة؟
وأنا المختار ..
بل إنني المختار ..
القلم الأكبر جبار
يكتب عني كل الكلمات ..
وأنا عنه المستول ..
ما كنت المختار
والأقدر
تخط الحرف .. تخط الكلمة

وأنا رهن الأقدارُ
وشراعي .. بسفيني لن يجنحُ
إن راح الموج .. وجاء الموج
بما لا يرُضي البحَّارُ ..
في يوم ما ..
يقلب ذاك القلم الجبارُ
بل يكتبُ
لا يقلبُ ..
آخر حرف ..
ثم يسود الصمتُ ..
وتكون الصفحة سوداءُ
لكنَّ القلم الأعظمُ
يمحو كيف يشاء ..
من كل الصحف السوداء ..
لتكون هناك الصفحة بيضاء ..
ويكون رضاء ..
أو أني أحلم ؟
من حقي أن أحلم كيف أشاء ..
فالقلم الأعظمُ
أهلُّ للحلم الأعظم !

جدة ١٤٠٤/١٢/٦ هـ

* * * *

إلى الشاعر.. الفقيه! (١)

«مهداة الى الصديق الأستاذ / محمد عبدالقادر فقيه»

شاعِراً كُنْتَ مِنْ قَدِيمِ الزُّمَانِ
تَتَغَنَّى بِالْوَرْدِ وَالْغَزَلَانِ
صِرْتَ بَعْدَ الْمَشِيبِ تَفْزِلُ نَسْجاً
مُخْمَلِيّاً لَكِنْ لِغَيْرِ الْحِسَانِ
لِلزُّمَانِ الْحَرُونَ ، لِلنَّاسِ لِلْعَيْنِ —
شِ ، وَلِلْمُشْكِلَاتِ ، وَالْأَحْزَانِ
فِي كَلَا بُرْدَتَيْكَ بُلْبُلُ رَوْضِ
طَارَ مِنْ قُنْهِ إِلَى أَفْتَانِ

* * * *

(١) نشرت في الندوة ، العدد ٧٧٨٥ ، الصادر في ٢١ المحرم ١٤٠٥ هـ.

حياة الشيخ بلخوجة^(١)

قلت للروض سائلاً يا مروجه
أنت هذا المساء جداً بهيجة
وأرى يا نسيم أنك تُهدي
لي أريجاً .. من ذا حملت أريجك؟
فأجابا : أما ترانا نعمنا
بحديث (الحبيب بن بلخوجة)

* * * *

قد قلت للمجد

قَد قَلْتُ لِلْمَجْدِ ، وَالْأَيَّامُ مَن ذَا حَلِيفُكَ ؟ قَالَ : الْمَلِكُ يُدَوِّكُ^(٢)
أَلَوْكُنْ وَجَدْتُ فِيهِ مَلِكاً تَاجُهُ سَامٌ مِنَ النَّبْلِ ، وَالْأَخْلَاقُ تَبْجَانُ
خُلِقَ « فَاخْتَرْتَهُ صَاحِباً ، وَاخْتَارَ يَزْهُو بِهَا الْحُسْنُ ، وَالْإِخْلَاصُ عُنْوَانُ
صَاحِبَةً خَمْسَ وَعِشْرُونَ ، تَزْهُو فِي بِكُلِّ مَفْخَرَةٍ ، يَعْلُو بِهَا الشَّانُ
أُرِيكَتِهِ إِنِّي أَهْنِيكُمَا فِيهَا وَلِي أَمَلُ بِمِثْلِ مِثْلِهِمَا تَنْدَاحُ أَرْمَانُ !

الرياض ١٤٠٦/٣/٢١ هـ

١٩٨٥/١٢/٢ م

* * * *

(١) حياً بها مفتي تونس في الاحتفال به في اثنيينية عبدالمقصود خوجة ليلة الاثنين ١٤٠٥/٤/٣٠ هـ، وقد علّق عليها بخطه «نظمت في جلسة العشاء بمناسبة تكريمه في اثنيينية (خوجة) عبدالمقصود، وكنا نجلس على مائدة واحدة».

(٢) بدوان : ملك بلجيكا

يا ويح جرحك

كان الشاعر في رحلة فكتب في مذكراته عنها:
وقد يعرف بعض القراء، أنني كنت في بعض الأحيان أعلق (نظماً) على ما أقرأه
من شعر أخي وصديقي الأستاذ محمد عبدالقادر فقيه.. وكان يعنّ له أيضاً أن يرد على
(نظمي) بأبيات من شعره.. ويبدو أن عاداتي القديمة قد عاودتني، ووجدت أن وقتي في
الرحلة ينفس لمحاولة النظم ، فكانت هذه الأبيات التي أهديتها للأستاذ الصديق.

يا ويح جرحك كم يمضي به الزمن
فما يطيب وما يسري له وهنُ
ينسى الأناسي أحداث الهوى وأرى
حديث ودك كالأيام مرتهن
غض ، شباب ، إذا مثلتُهُ وفتى
تهفو لأعطافه الدنيا فتفتن
الليل من روضه فجر بأوله
تضيء أفراحه ، والفجر ممتن
يُطوى البساط ولكن من مرابعهم
أما إليك فمبسوط لك الزمن
فليهنك الود ، كالصبار طلعتَه
خضراء ، والمرّ في أوراقه شجن
لن يرجع الزمن الماضي ونضرته
لكن بحسبك منه ذكره الحسن
الدار البيضاء - ١٤٠٧/٦/٢٢ هـ

* * * *

لا عودة

وأثرت من شجني ، وكنتُ مَحوتُ من عُمرِي شجوني
ومضيتُ أَلتمسُ العِزَّاءَ فَمَا التمسْتُ سِوَى ظُنُونِي
وأعادني بَرَحُ الحنينِ ، لِكُلِّ جَانِحَةِ الحنينِ
يَجْتَاحُنِي أَمَلٌ ، فيمضي بي ، ويخبو بَعْدَ حِينِ
أنا مَنْ أنا ؟ يا وَمَضَةُ الشُّوقِ المَلْحُ عَلَى عِيُونِي
مَنْ ذا أَثَارِكَ بَعْدَ مَا نَامَتْ عَلَى يَاسِي جُفُونِي
عُودِي فَمَا عَادَ الهَوَى رطباً كَمَا كَانَتْ سِنِينِي
لَفُ الضُّبَابِ صَبَابَتِي ، يمضي إلى دَرَبِ اليَقِينِ
عُودِي .. وَلَكِنْ لَنْ أَعُودَ (فَقَدْ بَرِثْتُ مِنَ الجُنُونِ)
لَنْ أَسْتَطِيعَ .. وَلَوْ أَرَدْتُ فَلَمَلِمِي شَوْقِي وَبِئَنِي
الرياض ١٠ / ١٠ / ١٤٠٨ هـ

* * * *

يَا نَذِيرًا

أخي حاتم، أبقاه الله،

شُكْرًا عَلَى السَّيَّارَةِ ، وَقَدْ وَجَدْتُ السَّائِقَ هِنْدِيًّا مُهَذَّبًا سَأَلْتُهُ عَنْ اسْمِهِ فَقَالَ : نَذِيرٌ
هَكَذَا بِالذَّكْرِ ، فَقُلْتُ فِي ذَلِكَ عَلَى طَرِيقِهِ أَجْدَادِنَا ، وَتَعْبِيرًا عَنْ شُكْرِي الْجَزِيلِ ، أَهْدَيْكُمْ
هَذِهِ الْأَبْيَاتِ مِنْ بَابِ التَّفَكُّهِ وَلَا عَدِمْتُكُمْ ..

يَا نَذِيرًا وَأَنْتَ حَقًّا نَذِيرُ
غَيْرَ أَنِّي - وَقَدْ تَوَلَّى زَمَانِي -
وَحَمَدْتُ الْآلَةَ حَمْدًا كَثِيرًا
وَتَفَاءَلْتُ ، وَالتَّفَاوُلُ طَبْعِي :
وَالنُّظِيرُ : الْمُقِيمُ ، عُلِّلْتُ نَفْسِي
كُنْتُ أَرْجُو بِأَنْ يَجِيءَ الْبَشِيرُ
مَا تَعَجَّبْتُ أَنْ يَجِيءَ النَّذِيرُ !
بَعْدَ ، لَمْ يَأْتِ مِنْكَ أَوْ نَكِيرُ
إِنَّمَا إِسْمُكَ الصَّحِيحُ (نُظِيرُ)
وَهُوَ مَهْمَا يَكُنْ فَشِيءٌ (يَسِيرُ)
أخوكم عبدالعزيز الرفاعي

١٤٠٩/٤/٢ هـ.

* * * *

رسالة زائر^(١)

حضر لزيارتي في القاهرة ، حيث أقيم في أحد فنادقها الصديق الشاعر الفريق
يحيى المعلمي ، وذلك في رجب عام ١٤٠٩ هـ فلم يجدني فترك الرسالة الشعرية التالية :

أليسَ عَجِيباً أن نكونَ ببلدَةٍ لِبِـضْعَةٍ أَيَّامٍ ولا نتزاورُ
ولو أَتَني قَدْ كُنتُ عنْكُمْ مَغِيباً صَبَرْتُ ، وإني في الحُطوبِ لَصَابِرُ
ولكنَّ مَا أَلْقَاهُ مِنْ أَلَمِ الجَوَى بعاد حبيبٍ وهو جَارٌ مُجَاوِرُ

فأجبت بهذه الأبيات :

صَدَقْتَ ولكنَّ العَجَائِبَ كَثُورَةٌ وأعْجَبُهَا أن قَلَّ فينا التَّزاورُ
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّا بِعَصْرِ تَكَاثُرَتْ وَسَائِلُهُ ، بَلْ قَدْ أَضَرَ التَّكَاثُرُ
تُفَرِّقُنَا هَذِي الوَسَائِلُ بَعْدَ مَا تَبَاعَدَتِ الجِيرَانُ ، وانْفَضَّ سَامِرُ
وَقَبِيتَ وَأَدَيْتَ الزِّيَارَةَ رَغْمَ مَا يُقَاسِيهِ مِنْ بُعْدِ المَسَافَاتِ زَائِرُ
جَزَاكَ الَّذِي حَلَاكَ بِالنُّبْلِ حَلِيَّةٌ مُعَزِّزَةٌ بِالعِلْمِ ، والجَمْعِ نَادِرُ
وَإِنِّي الَّذِي قَصُرْتُ نَحْوَكَ مُكْرَهَا فَعَفُوكَ مَأْمُولٌ ، فَهَلْ أَنْتَ عَاذِرُ؟

عبدالعزیز الرفاعي

جدة ١٤٠٩/٩/٢٦ هـ

* * * *

(١) نشرت بعد وفاته في ملحق الأربعاء ، الصادر عن جريدة المدينة يوم ٤ ذي الحجة ١٤١٥ هـ الموافق ٣

مايو ١٩٩٥ م.

الفريسة .. تصيد

بَكَى مِنْ أَجْلِهَا قَلْبِي
أَحَاطَ بِهَا فَطَوَّحَهَا
وَأَلْقَاهَا لِمَهْوَى الْقَا
وَخَلَّى لِحْمَهَا الْفَتَا
إِذَا مَا اللَّيْلُ آوَاهَا
وَهَامَتْ فِي مَجَاهِلِهِ

وَلَكِنْ مَا بَكَى الْقَدْرُ
لِمَوْجِ اللَّيْلِ .. يَعْتَكِرُ
عَ يَطْوِيهَا فَتَنَحْدِرُ
نَ يَنْهَشُ بَضُّهُ وَغَيْرُ
تَبْقُظَ عِنْدَهَا وَطَرُ
عَسَى يَصْطَادُهَا نَمِرُ

* *

* *

وَمَسَّ اللَّيْلُ أُرْدَانَ
يَلْفُ غَلَالَةَ الظُّلَمَا
وَمَقُودُ صَاحِبِي الْمِرَا
تَلْفُ مَلَامِحَ الطَّرْقَا
رَأَى أَشْوَاقَهَا حَايِرَى
فَهْدَى مِنْ شَكِيمَتِهِ
وَقَالَتْ عَيْنُهَا : يَا لَيْلُ

النَّسِيمِ الرُّطْبِ .. يَنْتَشِرُ
لَكِنْ .. سِيرُهُ عَطِرُ
حَ يَدْعُوهُ .. فَيَأْتِمِرُ
تَ عَيْنٌ .. كُلُّهَا نَظَرُ
(وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الْحَبِيرِ)
وَهَشَّ الشَّغَرُ وَالْبَصَرُ
قَالَ: اللَّيْلُ يَنْتَظِرُ

* *

* *

وَأُسْرَعَ فَتِيَةً لَاهُورَ
فَرَفَّ بِشَغَرِهَا الْبَسَا
وَغَابَ بِأَفْقِهِمْ قَمَرُ

نَ لَا يَشْنِيهِمْ حَـذَرُ
مَ مِنْ إِشْرَاقِهِ .. عُذْرُ
لِيُشْرِقَ عِنْدَنَا .. الْقَمَرُ

فَمَنْ يَصْطَادُ صَيْادًا
وَمَاذَا فِي يَدِ الصَّبِيَا

قَمَرٌ كَيْفَ يَخْتَبِرُ؟
نِ إِلَّا الْفَقْرُ وَالْأَشْرُ؟

* *

* *

وَسَالَ حَدِيثُهَا خَمْرًا
نَشَاوَى نَحْنُ يَا (بَاخُو
وَحَدِيثُهَا لِيُغْرِهَا
تَزَاخَمَ عِنْدَ سِدَّتِهِ
وَبَابُ حَيْسَالِهِ الْوُثَا
يُقَالُ لِبِإِقَةِ الْآهَا
إِذَا مَا قَالَ قَافِيَةً
فَشَدَّ حَدِيثُهُ زَنْدًا
وَلَفَّتْ مِنْ حَبَائِلِهَا
وَمَالَ الْجَبِيدُ تُتْلَعُهُ
تَلَوَّى صَدْرُهَا شَوْقًا
وَأَرْخَتْ لِبَلِّهَا الْمَغْنَا

بِكَاسٍ مَسَالَهُ كَدْرُ
سُ) لَكِنْ مَا بِنَا سَكْرُ^(١)
بِأَنِّي شَاعِرٌ .. خَطِرُ
عَذَارَى النُّجْمِ .. وَالزَّهْرُ
بِ تَجَنُّو عِنْدَهُ الصُّورُ
تِ مِنْ أَشْجَانِهِ : الدَّرُ
مَشَى فِي رَكْبِهَا الْبَشْرُ
يَتَوَقَّ لَوْقَدِهِ الشَّرُّ
لَتَلَقَّفَ مَا رَمَى عُمَرُ
وَرَفَّ الْحَاجِبُ الْخَدْرُ
وَفِي أَحْضَانِهِ الثَّمَرُ
ج، كَيْفَ اللَّيْلُ يَسْتَعْرِ؟

* *

* *

وَلَكِنْ ثَوْرَةُ الْإِعْصَا
فَهَذَا الشَّاعِرُ الْمَزْعُو
تَدَاعَبُهُ صَبَايَا الشُّعَا
إِذَا مَا جَدَّ جَدَّ الشُّو

رَلِمَ يَأْبَهُ بِهَا الْحَجَرُ
مُ لَيْسَ بَغَيْمِهِ مَطَرُ
رِ عَذْرِيًّا وَتَنْحَسِرُ
قِ رَدُّ جِمَاحَةِ الْقَدَرُ

١٤٠٩/١١/٧هـ

* *

* *

(١) باخوس : إله الخمر عند الإغريق القدماء .

أيتكلم الصخر^(١)

حنانك ما صنعت هنا بلبي ألبنان الأشم .. وأين قلبي؟
وأين الشعر...؟ إن الخصب ثر ولكنني منيت هنا بجدب
أرى الصخر الأصم يفيض شعراً وينشـر آية في كل درب
تراني دون هذا الصخر حساً وعهدي إن دعا حسن ألبني

* * * *

المجدُ للشَّيْبِ^(٢)

يا أجملَ الحلواتِ مالى وللحبِّ عهدُ الهوى ولى والمجدُ للشَّيْبِ^(٣)
وما طمعتُ بوصلِ يا معلّتي وأنتَ كفَّ عن الأشواقِ يا قلبي
وإنَّ بدا لك طيفٌ من ملاطفةٍ هذي السُّحابةُ برقها حسبي
لا يخصبُ الغيثُ إلا في مراتبه أمّا الصحارى فلا تخضلُ بالخصبِ

* * * *

(١) نشرت في جريدة الجزيرة ١٨/٢/١٤١٠هـ.

(٢) انظر مقدمة القصيدة التالية لها لمحمد عبدالقادر فقيه.

(٣) هكذا في الأصل.

المجد للحب!!

صديقنا الورع الأستاذ الكبير عبدالعزيز الرفاعي ، في إحدى رحلاته إلى الخارج تعرض لمعاكسة من حسناء وشقراء أيضاً، إلا أنه بما عرف عنه من ورع والتزام زجرها وصدّها، معتزلاً بشيئته، وسجل الحادثة في مقطوعة شعرية، بعنوان (المجلد للشيب...) وخرج من المعركة ظافراً بتاجه الأبيض المهيّب الذي لم تستطع الحسناء أن تلمس شعرة واحدة منه، وفي القصيد التالية استعراض مرح ودعابة وتعزية للحسناء الفاشلة ، وإيعاز لها بأن تقوم بجولة أخرى لمهاجمة المعقل الأشيب لعل وعسى!!

وعنوان قصيدة أخي الأكبر وأستاذي الجليل عبدالعزيز الرفاعي هو (المجد للشيب) وهو عنوان يتلاءم مع سن الأستاذ وشيئته المهيبة وشيخوخته ووقاره . ولما كنتُ ما أزال متسكعاً في دروب الشيخوخة ولم أصل بعد إلى المستويات الثلاثة التي وصل إليها الصديق الكبير، فقد جعلت عنوان قصيدتي المعارضة: المجد للحب..! وأهديتها إليه ، بعضاً من فضل، وقليلاً من شكر، ولعله يغفر لي ما بدر فيها من رعونة الشباب وتوفزه ، فإن للسن أحكامها، وهو أهل لكل جميل.

محمد عبدالقادر فقيه: ١٤١٠/٣/٢٨هـ

يا أجمل الحلّوات في الغرب	هبي على شرق الهوى هبي
هبي كما هبت مُجلجلةً	لهزمها برقُ إلى السّحب
ولسحّها خبّ الجياد على	ميثاء قد حنّت إلى الخصب
وتحيزي بعض التلاع فإنّ	شمت الشيوخ فعندهم صبي

* * * *

شقراء بل يا يمة سمحت	بحنانها لمواقع الجذب
للمصحرين ومَ بهم لهف	وضنى يلوب لموردٍ عذب
المختين .. گمن إذا اشتجرت	أشواقهم فرّوا من الرعب

* * * *

هامت نار حباحب العشب
ناراً وبركاناً من الشهب
عزم وإن عزمتم على الوثب
ثلثت صوارمها من الضرب
ناب ولا ظفر من الصلب
عنها ولا أثر على الدرب
تهدى وإن هديت إلى الشعب
لهزيمة تشكو من الشغب

* *

وتعجبت من ذلك العجب
وحسبتها حنت من العتب
وعلى الذرى من غارب صعباً^(١)
في بعضهم كنز من الحب
لكنها خسفت من الصلب
من بعد ما سبحوا على السحب..
والبعض منهم صار كالذب
وجه الضفادع.. ملمس الضب

* *

لتألق عيناك بالحَبِ
وسنا على السارين بالركب
وشكت مقاتلها إلى الترب

شقراء يا أخت الفراش إذا
فتظنها والظن يخدعها
لا تأملي منها فليس لها
تلك الخوادر في حقائبها
لا تأملي منها فليس لها
تلك التي أفتت فلا خبر
أمست كما يد الضرير فما
أولى بهر أن يروح بها

* *

فتبسمت عن لؤلؤ نضد
فطمعت فيها بعد ما بسمت
فطفقت أفتل في ذوائبها
قلت أرفقي بالمصحرين فلي
بشوامخ للفن شامخة
صحبى ومن أزرى الزمان بهم
صاروا مهازيلاً فقد هرموا
مسخ (التقاعد) وجههم فغدا

* *

لو شمتهم والعمر مقتبل
عطر المجالس إن همو جلسوا
كم غادة هامت بطلعتهم

(١) إشارة إلى قولهم «قتل في الذروة والغارب».

ودماؤها تجري على التُّرب
بُحْتُ حناجرهم من الندب
إلاً وقد هرموا من الدُّب
تلقين ما يُغني عن اللَّب
فمشتُ تدقُّ الأرضَ بالكعب

* *

فحملنها ودموعها صيباً
حتى إذا بردت مفاصلها
أنجى شبابك ما اتصلت بهم
فتمسحي بقشورهم فعسى
فاستظرفتي قولي وطاب لها

* *

إلاً الحنان يُضغّ عن كـثب
من نظرةٍ أو مبسم عذب
تهمي وما تشفي من الجذب

* *

قلت اسمعي مني فما طلبوا
يكفيهمو عند العشي سنا
ورشاش غاديةٍ ورائحةٍ

* *

فتزيدني كرباً على الكرب
بثواكلٍ كالألم في القلب
من قحّة مشنى على العبّ
بعض الحياء لصفوة العُرب
وسلاسلٍ عن معشرٍ غلب
قد توجّعت بالمجد والشيب

* *

قالت رويدك لا تكن سمجاً
ما شأن شقراء تفيض صبا
واستضحكت لكنها بصقت
فصفعتها كفاً وقلت لها
لخدين محبرةٍ ومرسمةٍ
متفرغٍ للعلم هامته

* *

وتوثبت كالرمح للضرب
عند العيال وشلة الصحب

* *

حورية كالمهر قد أرنت
فهرت منها إن لي ذمماً

* *

أنور العطار

هذه قطعة كنت حبيت^(١) بها الشاعر السوري الشهير الأستاذ (أنور العطار) كان صديقاً حميماً، لم يكن يتخلف طوال بقائه في الرياض عن ارتياد هذه الجلسة الخميسية^(٢) أقدمها للإخوة روادها ذكرى واحد من مشاهير أصدقائها ووفاء لوفاته، ولعلها تدفع عني مطالبة بعض الإخوة الأعزاء الذين يتهمونني -سامحهم الله- بالشعر وأنا منه بريء.

أرأيتَ كَيْفَ يَفْتَحُ النُّوَارُ	وتنمُّ عَنْ أَرْجٍ بِهَا الْأَزْهَارُ
أرأيتَ إِنْ فَرَشَ الْأَشْعَةُ بِالرُّبَى	فَجَرُّوا إِنْ عَمَّ الْبِطَاحُ نُضَارُ
أرأيتَ إِنْ ضَمَّ النَّدَامَى كَأْسَهُمْ	لِذَا، بِهِ صَفَوُ الرَّحِيقِ يُدَارُ
سَكَّرَ النَّدَامَى كُلَّهُمْ إِلَّا الَّذِي	سَكَبَ الرَّحِيقَ فَمَا عَرَاهُ خُمَارُ
أرأيتَ مَا صَنَعَ الْخِيَالُ بِشَاعِرٍ	فَذُ الرُّؤْيَى تَزْفُو بِهِ الْأَشْعَارُ
أُسْلُوهُ الْخَمْرُ الَّتِي لَا كَأْسُهَا	نَزَفُ وَلَا رُوَادُهَا أَشْرَارُ ^(٣)
مُتَدَفِّقُ كَالنَّهْرِ لَا أَمْوَاجُهُ	صَخَبٌ وَلَا تَسْيَارُهُ هَدَارُ
يُعْطِي كَمَا يُعْطِي السَّنَا آثَارُهُ	جُلَى وَتَأْسَرُ قَوْمُهُ الْآثَارُ
هُوَ شَاعِرٌ مَلَأَ الْخُلُودَ وَذِكْرُهُ	مِلَأَ الْعُرُوبَةَ أَنْوَارُ الْعِطَارُ

* * * *

(١) كتب هذه المقدمة في ١٤/٤/١٤١١هـ، ولم أعثر على تاريخ القصيدة ، مع أنه قد كتبها بخطه ٣ مرات.

(٢) الجلسة الخميسية : هي ندوة الرفاعي التي كان يعقدها في منزله على مدى أكثر من ثلاثين عاماً مساء كل خميس ، وقد أصدرت عنها كتاباً بعنوان (ندوة الرفاعي).

(٣) النزف: الخمرة المسكرة . قال تعالى : ﴿ لَا يُصَدِّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ﴾ .

باقتان

أفضل الأديب الشاعرُ الفقيهُ العلامةُ معالي الشيخ عبد الله بن بيّه فأهدى إلي كتابَ
(طبقات الشعراء) لابن المعتز ، وتلطّف فجعلَ عبارةَ إهدائه بيتين جميلين من شعره
هما :

ذي باقةٍ من زهورِ الشعرِ أهديتها
إلى جنابكم السامي وأسديها
مِمّا تنخلُ ذو عزٍّ ومعرفةٍ
بأضربِ الشعرِ ينشئها ويُدِيها

وقد حاولتُ أن أشحذَ الذهنَ الكليلَ، لتكونَ كلمةُ شكري العميقِ شيئاً من الشعرِ،
فلم يستجبْ إلا بهذه الأبيات المهيضة التي لا تستطيعُ أن تباري شعرَه المخلِّق . . ولكن
العذرَ إليه أنّي لا أملكُ للشعرِ أداةً تمكّني من ناصيته.

أهديتني باقتين	من الزهورِ الزكية
هذا كتابُ لشعر	شذوره عسجديه
وقد جئناها أميرُ	وشاعرُ ذو حميّه
وتلك كانت وروداً	من شعركم في الهدية
طابت ولا غرو كانت	من النبيل ابن بيّه

١٤١١/٨/٢١ هـ

* * * *

المعجمي^(١)

ناسج الفجر من شعاع المدا	كحلّ الليل جفنه بالسهاد
الليالي من حوله ساهرات	بالملاهي أو ناعمات الرقاد
وتراه كالعاشقين مشوقاً	يوقظ الصبح في انسداد السواد
لذة الفكر عنده خمرة الرو	رح ، وأحبابه بلا تعداد
وعلى صدره ترامى الغواني	يتناهينّه بلا ميعاد
كلما صدّت الغواني تصدّت	لهواه من المعاني شوادي
فعدارى الأفكار تفتن عشقاً	كافتنان الأوانس المياد

* * * *

حبره خمره، ولا يحتسيها	فهي وقف على القلوب الصوادي
السكرارى قد يرقدون ولكن	عاشق الفكر دائم الإيراد
كأسه في يمينه للندامى	تنعش العقل من رحيق الرشاد
إنه الظامئ الوحيد فؤاداً	زاده أن يظل من غير زاد
نهمّ كلما تزود علماً	عرف النقص كامناً في ازدياد
صحة الحبر حوكت منه حبراً	فاق في علمه على الأنداد

* * * *

(١) كتبها على ورقة تقويم تحمل تاريخ يوم ٢٢ صفر ١٤١٢هـ، وخطها غير واضح، وفيها كثير من الحذف والطمس والتعديل.

أَيْنَ نَصِيبِي ؟

في رحلة إلى لندن ، نزلت في أحد فنادق ضواحيها .. وذات يوم كنت في المصعد
صحبة الشاعر الكبير السيد أحمد الشامي ، وكان معنا في المصعد أحد العاملين في
الفندق يحمل في يده صينية عليها ثلاث باقات من الورد ، مع بيان بتوزيعها على بعض
غُرَف الفندق ، فسألته هل لي نصيب في هذه الباقات ... ؟ فأجاب بالنفي ! وحينما وصلتُ
إلى غرفتي جاءت هذه الأبيات الثلاثة :

قَسَمُوا الْوَرْدَ فَمَا بَالُهُمْ	لَيْسَ لِي مِنْ وَرْدِهِمْ أَيُّ نَصِيبٍ
وَأَنَا الْعَاشِقُ لِلْوَرْدِ وَلِي	فِيهِ أَشْوَاقُ مُحِبٍّ لِحَبِيبٍ
مَنْ تُرَى أَبْعَدُهُ عَن سَاحَتِي ؟	وَمَنْ الْوَاشِي ؟ وَمَنْ كَانَ الرُّقِيب ؟

لندن ١٤١٢/٥/٢٣ هـ

* * * *

آخِن^(١)

جمعت بين جنتين ونار
أنها الخلد ، وهي دار قرار
من رحيق الربيع كأس العُقار
وهي سكرى من الربيع المدار

* *

لوحة فذة الرؤى والإطار
ثم وشى البساط بالأزهار
في حفاني هذا اللجين الجاري
تعلقن في ذيول البراري
وصل (الإيفل) استراح الساري

* *

من حديث عن جنة الأبرار
فهم نخبة من الأخيار
لم أزل ناعماً بأهلي وداري
كم تحسيت فروى أوارى
بين برديه نفحة العطار^(٢)
إنه بسمه الصفا والوقار

* *

هذه الأرض من عجيب الديار
جنة تزعم البلايل فيها
فإذا جنتها وقد دب فيها
قلت : لا عجب فالبلايل تشدو

* *

جنتها والربيع يرسم فيها
فرش المخمل النضير بساطاً
قال للدوح : ها هنا قفن صفاً
وعلى السفح والقنال تألقن
موكب للجمال يسري فلماً

* *

هذه جنة الطبيعة ماذا
لي صحاب بها وأنعم بصحي
كلما جنتهم تيقنت أني
ودهم خالص وصفونمير
وعلى رأسهم وأنعم بشهم
ونديم، وكان خير نديم

* *

(١) كتبت على ورقة تقويم تحمل يوم ٢٠ ذي الحجة ١٤١٢هـ، وفيها كثير من الطمس والتبديل مما يدل على أنها مسودة أولى.

(٢) يريد عصام العطار.

شَفَق^(١)

ولئى زمائلك فاسأل عن بقيته
لو في بقيته شيء من الرُمقِ
واحرص على ما تبقي من صبايته
وضع بقاياها بين الجفن والحدقِ
وإن ظننت بأن العمر راجعة
أيامه التهقرى فاسأل عن الحمقِ
إن تشرق الشمس تدلف نحو مغربها
فاشفق على الشمس إن مالت إلى الشفقِ

خَضْرَاوان^(٢)

يا حلوة العَيْنَيْنِ ! أية غابة
لا تأبهي بالشَّيْبِ إن وراءه
تحت الرَّمَادِ تضيء ومضة شاعِرٍ
لا حظ لي في الحُسْنِ إلا أنه
خضراء غلغل في مداها خاطري
قلبا توثب للجمال الناضِرِ
بالحُسْنِ تخفق في ركام مشاعِرٍ
برق يجاذب في نظرة شاعِرٍ

الأندلس ١٤١٣/٢/٢٣ هـ .

(١) كتبت على ورقة تقويم تحمل يوم ٢٢ صفر ١٤١٣ هـ.

(٢) وردت ضمن رسالة كتبها من الأندلس (وكان عائدًا من ألمانيا) إلى محمد عبدالقادر فقيه ردًا على رسالة وصلته منه بالفاكس مرفقًا بها قصيدة له بعنوان «عينك يا ولدي» التي قالها على لسان والد هطلت دموعه حين وقع على وثيقة تنازله عن عيني ابنه المتوفي للاستفادة منهما . وقد علق عليها الرفاعي «قصيدتك الإنسانية رائعة المعنى والفكرة .. ولعل أروع بيت فيها هو قولك:
أيام كنت أرى بهما جمال غدي

أما إذا سألتني عن أحدث ما قلت فهو أيضاً عينان .. ولكن شتان، عنوان هذه «خضراوان» ولم يرد في الرسالة البيت الرابع ولكنه ورد في نسخة أخرى منها بخط الشاعر أيضاً.

كلمة حب

مهداة إلى الصديق النبيل الأستاذ بشير كردي بمناسبة ترقبته إلى المرتبة الخامسة عشرة واحتفال أصدقائه به^(١):

من مروءاتِكَ الكثيرا الكثيرا	الصحابُ الذينَ أغدقتَ فيهم
ليهادُوكَ حبُّهم تَقديرا	جمعُوا شَمْلهم وجاؤوا سِراعا
إنما تنطقُ الوجوهُ سرورا	ليسَ في وسعِهِم وفاؤُكَ شكرا
لقلوبٍ تَضُمُّ حُبًّا كبيرا	فالوجهُ التي تراها مَرايا
فابقَ فيها مُبشِّرا وبَشيرا	بشَرَتنا بما يَسُرُّ اللبالي
قُنْصلا كُنْتَ أو غَدوتَ سفيرا	أنتَ في حالتينِكَ تبذلُ حُبًّا

الأندلس، سهيل ١١/٣/١٤١٣هـ

* * * *

عودةُ الجَمْر^(٢)

بُ الَّذِي بَيْنَ أَضْلعِي	أيُّها المَرَجَلُ العَجِيبُ
يَنَ فَمَا بِأَلْها مَعِي؟	تَخْمَدُ النّارُ بالسَّنَدِ
وَنَ ، يُوَجِّجَنَ مَضْجَعِي	كُلَّمَا مَرَّتِ السَّنَدُ
دِ بِجَسْمِ مَصْرَعِ	تُرْجِعُ الجَمْرَ للرَّما

* * * *

(١) دون الشاعر بخطه أن القصيدة كُتبت بماء الذهب بخط نسخي جميل داخل إطار مزخرف مزود بذراع ساند لكي توضع على ماصة أمام المهدي إليه.

(٢) كُتبت على ورقة تقويم تحمل يوم ١٥ ربيع الأول عام ١٤١٣هـ، الموافق ١٢ سبتمبر ١٩٩٢م.

صباحان^(١)

يا أيُّها الوجهُ الجميلُ صباحُهِ يَسْبِي العيونَ، ويُنعشُ الأرواحَ
هَلَا أضفتَ إلى جمالِكَ بسمَةً كيما تضيفُ إلى الصباحِ- صباحًا
المعجبون إذا رأوا بَرَقَ اللَّمَى يترشفون من الخيالِ الرَّاحَا
الحبُّ ديدنُهُمْ طوَالَ حَيَاتِهِمْ شَبَّوا وشَابَّوا يعشقون ملاحَا

* * * *

(١) كتبت على ورقة تقويم تحمل تاريخ ٦ ربيع الثاني ١٤١٣ هـ ، الموافق السبت ٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٢ م.

سَبْعُونَ

سَبْعُونَ يَا صَاحِبِي وَجَلَّ مُصَابُ
وَلَدَى الشَّدَائِدِ تُعْرِفُ الْأَصْحَابُ
سَبْعُونَ يَا لِلْهَوْلِ أَيْةُ حَقْبَةٍ
طَالَتْ، وَرَأَى عَلَى الرَّحِيقِ الصَّابُ
تَتْرَاكُمُ الْأَعْوَامُ فَوْقَ رُءُوسِنَا
حَتَّى تَتَنُّ مِنَ الرُّكَامِ رِقَابُ
لَا تَعْجَبُوا إِنْ نَدَّ خَاطِرُ مُتَعَبٍ
بَعْدَ السَّرَى وَشَكَا إِلَيْهِ رِكَابُ

* * * *

سَبْعُونَ فِي دَرْبِ الطُّفُولَةِ شَوْكُهُ
أَمَّا الشَّبَابُ فَلَيْسَ ثُمَّ شَبَابُ
الْجِدِّ أَغْرَانِي بِرَغْمِ جَفَافِهِ
فَظَمِنْتُ حَتَّى لَوْ أُتِيحَ شَرَابُ

* * * *

سَبْعُونَ ظَنُّ أَحْبَبْتِي أَنَّى بِهَا
أَنَا مَا خَدَعْتَهُمْ وَلَكِنْ غَرَّهُمْ
أَنَا مَنْ بَنَيْتُ عَلَى الْخَيَالِ قَوَاعِدِي
أَعْلَى الْقِبَابِ وَمَا هُنَاكَ قِبَابُ
حَظِّي لَدَيْهِمْ وَالْحُطُوطُ عَجَابُ
فَتَصَدَّعَتْ وَانْهَارَتْ الْأَطْنَابُ
حَقًّا رَفَعْتُ عَلَى السَّرَابِ دَعَائِمِي
لَا عَجَبَ إِنْ ذَابَتْ وَظَلَّ سَرَابُ

* * * *

(١) ألقاها في نادي جدة الأدبي مساء الأحد ١٢/١٠/١٤١٣ هـ في حفل تكريمه الذي غادر بعده للعلاج، وقد نعى فيها نفسه، وهي من عيون الشعر العربي في رثاء النفس.

وَجَدَاوُلُ الْوُدِّ الْحَمِيمِ عِذَابُ
وَدَّاعِ الْقِطَافِ وَطَابِتِ الْأَعْنَابِ
فَتَفَرَّقُوا وَكَأَنَّهُمْ أَغْرَابُ
وَمَضَى فَحَطَّمْ عُدَّةَ زُرِّيَابِ
فَطَفَى عَلَى الْفَنِّ الْأَصِيلِ غِيَابُ
فَإِذَا بِمَوْجِ الزَّائِفِينَ عُبَابُ

سَبْعُونَ كَمْ فِيهَا تَجَمَّعَ رَفَقَتِي
حَتَّى إِذَا وَشَى الرِّبْعُ رِيَاضَهُمْ
سَاقَ الزَّمَانُ السَّرْبَ نَحْوَ شَتَاتِهِ
وَحَلَّتْ مِنَ الْأَنْسِ اللَّيَالِي بَعْدَهُمْ
لِلْمُبْدِعِينَ الْجَزْرُ مَدُّ رُواقِهِ
وَالزَّيْفُ يَجْتَاحُ السَّوَاوِلَ مَدُّهُ

* * * *

فَبَيْنَمَا عَنْ آثَارِهِنَّ إِهَابُ
أَقْوَى وَأَعْنَفُ إِذْ يَحِينُ غِلَابُ
فَأَشَارَ يَسْخَرُ بِاللِّسَانِ حِسَابُ
بَيْنِي وَبَيْنَ أَطَايِبِي الْأَبْوَابِ
شَزْرًا إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ كِعَابُ

سَبْعُونَ تَغْتَالُ اللَّيَالِي صَفَحَتِي
إِنْ كُنْتُ كَابَرْتُ السَّنِينَ فَإِنَّهَا
وَزَعَمْتُ أَنِّي لَمْ أَقَارِقْ جِدَّتِي
تَعَبْتُ مِنَ الْأَلَمِ السَّنُونَ وَأَغْلَقْتُ
الشَّيْبَ لَا يُغْرِى الْحِسَانَ وَإِنَّمَا

* * * *

وَالنَّارُ قَدْ حَمَدَتْ ، وَلَيْسَ ثِقَابُ
لَا غَرَوْ يَشْتَاقُ التُّرَابُ تُرَابُ
جَفَنِي ، فَبِحَلَمٍ بِالْمَنَامِ طِلَابُ

سَبْعُونَ قَدْ وَقَدَ الشِّتَاءُ يَزُورُنِي
حَنَّتْ إِلَى عَبَقِ التُّرَابِ جَوَانِحِي
فِي يَقْظَتِي أَغْفِرْ ، وَقَدْ يَجْفُو الْكَرَى

* * * *

صَحِبَ الْكِتَابَ ، فَلَمْ يَخُنْهُ كِتَابُ
فَهُوَ الْهُوَى ، وَاللَّحْنُ ، وَالْأَحْبَابُ

إِنِّي - لَدَى التَّعْرِيفِ ، رُبُّ مُثَقِّفٍ
هُوَ فِي دَمِي عِشْقُ الطُّفُولَةِ وَالصَّبَا

تَتَكَسَّرُ الْأَحْلَامُ فِي شُطَّانِهِ
فَإِذَا انْتَسَبْتُ فَإِنَّ لِي فِي حَرْفِهِ
فَيَفِيضُ بِالْعَذْبِ النَّمِيرِ سَحَابُ
نَسْباً يُشَوِّقُنِي إِلَيْهِ إِيَابُ

* * * *

يَا لَائِمِي فِي الْعُمْرِ كَيْفَ أَضَعْتُهُ
مَا بَيْنَ بَيْنٍ ، فَمَا صَعِدْتُ إِلَى الذَّرَى
رَكَنْتُ إِلَى السَّفْحِ الْقَرِيبِ مَطَامِعِي
لَكَ أَنْ تَلُومَ فَمَا جَحَدْتُ مَسِيرَتِي
إِنِّي أَخَذْتُ مِنَ اللَّيَالِي صَفْوَهَا
وَحَمَدْتُ مَنْ أَسْدَى الرُّضَابَ فَطَالَمَا
طَوَّسِي لِمَنْ جَعَلَ الْمَحَبَّةَ جَدْوَلًا
لَا الْجُدَّ سَادَ ، وَلَا الْهَوَى غَلَابُ
أَوْ كَانَ لِي فِي الْقَانِعِينَ مَأَبُ
وَالسَّفْحُ لَا يَهْفُو إِلَيْهِ عُقَابُ
قَامَتْ عَلَى الدَّرْبِ الطَّوِيلِ صِعَابُ
نَزْرًا ، وَقُلْتُ : النَّزْرُ مِنْكَ رُضَابُ
لَمْ تَحْظَ مِنْهُ بِقَطْرَةٍ أَكْوَابُ
وَسَقَى أَحْبَبَهُ فُطَابَ وَطَابُوا

* * * *

سَبْعُونَ عِشْتُمْ مِثْلَهَا بَلْ ضَعُفَهَا
وَالْحَادِيَانِ : سَلَامَةٌ وَصَوَابُ

جدة - رمضان ١٤١٣ هـ .

* * * *

يا رب

سَلِّمهُ اللهُ

عزيزي الأستاذ / أنس عثمان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. جزاكم الله خيراً على ما بعثتم من دعاء مبارك سررت به جداً وكذلك أم علاء وأمتعني الشعر فلکم الشکر المضاعف، بدأتُ في الفحوصات، والنتيجة مساء الجمعة .. أدع لي في صلواتك .. هذه الرُّباعية من وحي بوسطن عنوانها (يا رب).

آبَ مِنْ ذَنْبِهِ إِلَيْكَ فَأُوبُ	فَتَقَبَّلْهُ فِي رَحَابِكَ يَا رَبُّ
يا بَدِيعَ الصَّنِيعِ ما يَصْنَعُ العا	جزْ إِنْ لَقَّاهُ مِنَ اللَّيْلِ غَيْهَبُ
عِنْدَمَا تُطْفَأُ الشَّمْسُ سَيَبْقَى	نُورُكَ الخَالِدُ اللطيفُ المحبُّ
فَاهْدِ قَلْبِي إِلَى سَنَّاكَ وَأُرْشِدْ	كُلَّ قَلْبٍ عَنِ الطَّرِيقِ تَنَكُّبُ

بوسطن في ٢٦ شوال ١٤١٣ هـ

* * * *

خذ بطوق النجاة^(١)

إلى شيخنا العزيز الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي عافاه الله من كل مكروه ، ورفع مقامه عنده ، وردّه إلينا سالماً غانماً .

كتبَ المحبّان حيدرُ الغدير والبراءُ الأميري بلسانِ الإخوةِ جميعاً :

خُذْ بِطُوقِ النُّجَاةِ يَا حَبِيبُ إِنَّا	قَدْ تَلَوْنَا مَا فِيهِ طِبُّ وَرَاحَةٍ
هُرَعِ الْأَوْفِيَاءِ يَتَلَوْنَ آيَا	مِنْ كِتَابِ أَسْرَارِهِ مُنَادِيهِ
بِخُشُوعٍ وَذِلَّةٍ وَانْكَسَارِ	قَدْ سَأَلْنَا الْكَرِيمَ نَرْجُو سَمَاحَةَ
لِعَبِيدِ الْعَزِيزِ مَنْ كَانَ مَهْوًى	لِقُلُوبِ تَهْوَى الْعُلَا وَالرُّجَا حَهُ
أَنْتَ فِيهَا طَيْبٌ وَتَوَرَّ مَصْفًى	وَوَدَادٌ وَسَمْنَةٌ قَوَّاحَهُ
يَا أَخَا الْفَضْلِ وَالنُّدَى وَالْمَعَالِي	انْظُرِ الْفَجْرَ وَارْتَقِبْ مِصْبَاحَهُ
هَـا هُوَ الدَّاءُ رَاحِلاً يَتَوَارَى	قُضِيَ الْأَمْرُ ، لَيْسَ ثَمَّ جِرَاحَهُ
وَإِذَا اللَّهُ مَدَّ لِلْعَبِيدِ حَبْلاً	هَمَّتِ الْبُشْرِيَّاتُ تُبْذِرُ نَجَاحَهُ

محبوك

* عبدُ الله بامقدم	* مشاري المعمر	* جميل الميمان	* صلاح الدين الإدلبي
* اليمان الأميري	* محمد البسيط		

* * * *

(١) دعا له أصدقائه بالشفاء في جلستهم، وأرسلوا إليه هذه القصيدة بالفاكس فرد بالمقطوعة التي بعدها.

طوق النجاة^(١)

عزيزي أبا سعيد وأصدقاء مساء الاثنين :
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد فهذه آخر رباعية دعائية .

أرم طوق النجاة يارب أني	في خضم ، ولا أجيد السباحة
تترامى الأمواج من كل صوب	لجأة فوق لجأة منداحة
في فمي من عبير ذكرك عطر	وبقلبي من عطر ذكرك راحة
حينما تطبق الدنيا جبر فوقي	أجد الفجر مشعلاً مصباحة

بوسطن في ٤ ذي القعدة ١٤١٣ هـ .

* * * *

شكوى

شكوت إليك وأنت الذي	وعدت بأن تسمع الشاكيا
إذا قلت: إنك أهملتني	فقد كنت في ذلك الباديا
ولكن وصفك وصف الرحيم	وكننت وفي الجنة العاصيا
فإنك أهل لكل الجميل	وما زلت في عفوك الرجيا

الأندلس - سهيل

١٦/١٢/١٤١٣ هـ .

* * * *

(١) رداً على القصيدة قبلها .

رُوَيْدُكُمْ^(١)

أخي سعادة الأستاذ أسامة السباعي رئيس التحرير الموقر لقد كان فقد أخي وصديقي
ورفيق دربي الأستاذ أحمد محمد جمال، حدثاً فادحاً ، ألجم قلبي فضاقت منه الكلمات ..
من وحي الفاجعة فيه كانت هذه الرباعية :

تَقَاطَرُ صَحْبِي يُبْحِرُونَ إِلَى الْغَيْبِ
فَمَا بِالْكُمْ خَلَفْتُمُونِي يَا صَحْبِي
وَكَانَ وَثِيقُ الْعَهْدِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
تَوَاصَلَ هَذَا الْحُبُّ فِي الْبُعْدِ وَالْقُرْبِ
وَبِالْأَمْسِ شَدَّ الرَّحْلَ أَحْمَدُ^(٢) تَارِكاً
شَذَاهُ عَبِيرَ الْمِسْكِ وَالصُّنْدَلِ الرُّطْبِ
رُوَيْدُكُمْ .. إِنِّي عَلَى الْإِثْرِ قَادِمٌ
فَشَأْنُكُمْ شَأْنِي ، وَدَرِيكُمُ دَرِي
١٤١٣/١٢/١٢ هـ .

* * * *

(١) نشرت في ملحق الأربعماء، الصادر عن جريدة المدينة، ١٩/١٢/١٤١٣ هـ.

(٢) المقصود هو فقيدنا الفذ الأستاذ أحمد محمد جمال تَغَشَّاهُ اللهُ بِفَيْضِ رَحْمَاتِهِ ..

مجلس الأمن^(١)

مجلسُ الأمنِ «يالدانا لدانا»
قد كفانا! لآته قد أدانا
زغردي يا مزارعَ القتلِ والغص
بِوردِي للهاريين الأمانا
كم أدنا، وكم شَجِنَا، وكُنَّا
نِصفَ قرنٍ نغادرُ الأوطانا
لغيةً نحنُ مُبدعوها.. ولكن
كيف بالله قد أجادوا لُفانا؟!

* * * *

(١) نشرت في ملحق الأربعاء الصادر عن جريدة المدينة يوم ٢٦ ذي الحجة ١٤١٣هـ الموافق ١٦ يونيو ١٩٩٣م.

مجلس الأمن^(١)

شعر : عبدالله بن حمد القرعاوي

استجابة لـ « رباعية » أستاذي الكبير : عبدالعزيز الرفاعي .. في عدد الأربعاء الصادر

بتاريخ ٢٦ ذي الحجة ١٤١٣ هـ . قلت :

مَجْلِسُ الْأَمْنِ قَدْ أَضَاعَ الْأَمَانَا

فَفَقَدْنَاهُ بَيْنَ " حَائَا وَمَانَا " ^(٢)

قَدْ أَدَانَ الْيَهُودَ أَلْفُ قَرَارٍ

لِحَسْتَهُمْ " مَائِيرُ " ثُمَّ " دَيَانَا "

وَأَتَانَا مِنْ بَعْدِ « بِيرِيز » « غَالِي »

فَإِذَا الْحَالُ « يَالِدَانَا لِدَانَا » !

حِكْمَةٌ قَالَهَا أَمِيرُ الْقَوَافِي

شَاعِرُ الْعُرْبِ .. وَالْفَصِيحُ لِسَانَا :

« وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدُ »

فَمِنَ الْعَارِ أَنْ تَمُوتَ جَبَانًا !! »

* * * *

(١) نشرت في ملحق الأربعاء الصادر ١٠ المحرم ١٤١٤ هـ ..

(٢) جولدا مائير، وموشي ديان، وبيريز، من زعماء اليهود الذين احتلوا فلسطين، غالي: هو بطرس

غالي مصري تولى منصب الأمين العام للأمم المتحدة، وكان متعاطفاً مع اليهود، وزوجته يهودية.

عشقت الصباحاً^(١)

أنا من قبل قد عشقتُ الصَّباحا
مثلما يعشقُ المحبُّ المِلاحا
وتَجَنَّبْتُ عُتْمَةَ اللَّيْلِ .. إلّا
أنْ يفرَّ الدجى إذا البدرُ لاحاً!
السُّنا صاحبي .. ومزهر ليلى
وشعاري جعلتُهُ المصباحا
إنّما ضيَّعَ الملامح عندي
عندما خالطَ الظلامُ الصُّباحا!!
ألمانيا ١٤١٤/٢/١ هـ

* * * *

(١) نشرت في جريدة المدينة في عددها ٩٥٦٤، الصادر في يوم الاثنين ٧ صفر ١٤١٤ هـ.

المفكرون

هُمْ يَجْمَعُونَ الثَّرِيًّا مِنْ مَنَابِتِهَا
وَيَقْطِفُونَ مِنَ الْأَحْلَامِ أَحْلَاهَا
وَيَمْلَأُونَ سَلَالَ الدَّهْرِ تَجْرِئَةً
مِنْ حُرِّ أَعْمَارِهِمْ مَا كَانَ أَغْلَاهَا
وَيَزْرَعُونَ بِدَوْرًا فِي غِيَاهِنَا
لَوْ لَا مَصَابِيحُهُمْ مِنْ كَانَ جَلَاهَا
أَمَنْتُ بِاللَّهِ أُعْطَانَا إِشَارَتَهُ
بـ «إِقْرَأْ» الْمُبْتَدَأُ كَيْ نَعْبُدَ اللَّهَ

* * * *

(١) لم أعثر على أصلها ، وقد نشرت في جريدة المدينة في عددها ٩٥٣٣ الصادر يوم الجمعة ٥ المحرم ١٤١٤هـ.

أيا محضراً^(١)

أيا محضراً طاب فيه الحديث كما فاح في المجلس العنبر
محدثنا فيه شيخ أديب يشقق في القول ما يبهر
فللشعر في فنه روضة وللنثر بستانه الأزهر

* * * *

وقفت ودمع عيني^(٢)

وقفت ودمع عيني الحبيس على أطلالهم قلبي يجوس
أسائل مجدهم أنى تولى وكيف يجيبني الأثر الطميس؟
أضعتم مجدكم فبكى عليكم وأبكانا وأجهشت الرؤوس
بنيتم منه ما يعلي رؤوساً وفرطتم فطأطأت الرؤوس
وكيف يفوتكم أن المعالي تفديها النفائس والنفوس
غرستم في مرابعها حصوناً ولإسلام ما ثبتت غروس
أثرتم بينكم حرباً ضروساً فألقتكم إلى البحر الضروس
وباتت في حجوركم الغواني ولم تنم الأغاني والكؤوس
وأشعلتم مع القمر الليالي فسارت في مواكبه الشمس

* * * *

(١) لم تؤرخ.

(٢) كتبت بخط الشاعر بلا تاريخ، ولعلها من أندلسياته في آخر حياته.

أَبْحَثْ عَنْ فَنَانٍ^(١)

أَبْحَثْ عَنْ فَنَانٍ
أَبْحَثْ عَنْ رَسَامِ
الْخَطِّ لَدَيْهِ حَيَاةٌ
وَالنَّقْطَةُ نَبْضٌ
هَذَا الْكُومَةُ وَجِدَانٌ
بِلِ تَارِيخٍ مُفْعَمٌ
بِأَحَاسِيْسِ الْإِنْسَانِ
أَبْحَثْ عَنْ فَنَانٍ يَرْسُمُ جَذْعَ الشَّجَرَةِ
لَمْ يَبْقَ عَلَى الشَّجَرَةِ أَوْرَاقٌ
أَيَّامُ الْجَدْبِ السَّوْدَاءِ
أَكَلْتُ حَتَّى الْأَغْصَانِ
هَذَا الْجَدْبُ الطَّاعِي
لَا يَتْلُوهُ رَبِيعٌ
قَرِيبُ النَّاسِ عَجِيبٌ
لَا كَالْأَشْجَارِ
فَهُوَ هُنَا أَجْيَالٌ

(١) لم أَعثر على تاريخها ، وقد كتبت بخط الشاعر.

تَتْلُوها أَجْيَالُ
حَتَّى تَقْفَ الدُّورَةُ

* * * *

هَذَا الْجِذْعُ الْمَائِلُ كَالْبَنِيانِ
يَنْتَظِرُ الدُّورَةَ
لَيْسَ عَلَى السَّدْرَةِ أَطْيَارُ
مَاعَادَ الْعَصْفُورُ يَطِيرُ
مَاعَادَ يَغْرَدُ..
اللَّحْنُ الشَّارِدُ لَا يَهْبِطُ
حَتَّى الْجِيرَانُ
مَا أَخْطَأَ مِنْهُمْ عَطْفُ
أَوْ كَلِمَةُ لُطْفُ
حَتَّى الْجِيرَانُ !!

* * * *

غَامِضَةٌ

حَبَّرْتَنِي
لَكُنِّي
أنا لا أريدكِ غَيْرَهَا ..
غَبِرَ الْفَتَاةُ الْغَامِضَةُ
حَدَّثْتَنِي
وَلَطَّالَمَا أَمْتَعْتَنِي
حَدَّثْتَنِي:
أَنْ الْهُوَى
مَا دَقَّ بِأَبْكَ ذَاتَ يَوْمٍ
وَأَنْ قَلْبَكَ مِنْ حَجَرٍ
وَفَرِغْتَ ..!
بَل ..
رَوَّضْتَ قَلْبِي
أَنْ يَمِيلَ إِلَى الْحَجَرِ
وَأَمَّالُهُ ..
رَقَّ الْهُوَى فِيهِ،
وَأَوْرَقَ غُصْنُهُ
وَنَمَّا الشُّمْرُ ..
أَفَمَا رَأَيْتِ
عَلَى الْجِبَالِ الشُّمَّ

مُخْضَرُ الشَّجَرِ ؟

لَكُنِّي

أَخْشَى أَقُولُ:

خَدَعْتَنِي

وَلَرُبَّمَا ..

مِنْ غَيْرِ أَنْ تَدْرِي

بِأَنَّكَ تَخْدَعِينَ

فَلَقَدْ لَمَحْتُ

عَلَى عَيْنِكَ أَسْطَرًا

فِي لَحْظَةٍ

ضَجَّ الْهَوَى فِيهَا

وَصَالَ .. وَسَيَّطَرَا

وَقَرَأْتُ

فِي تِلْكَ السُّطُورِ

صَبَابَةً حَيْرَى ..

صَبَابَةً لَا شُعُورَ

تُرَى ؟

هَلْ كَانَ ذَلِكَ

وَهُمْ شَاعِرٌ

أَخْشَى أَقُولُ

خَدَعْتَنِي

مِنْ غَيْرِ أَنْ تَدْرِي

بِأَنَّكَ تَخْدَعِينَ

لَكُنْتُ
أنا .. لا أريدكَ غَيْرَهَا
غَيْرَ الْفَتَاةِ الْغَامِضَةِ
وَمَضَيْتُ ..
لَمَلَمْتُ أَجْرَاجِي مَعِي
وَطَوَيْتُ ..
غُصَّةَ أَضْلَعِي
وَجَمَعْتُ
مَا نَثَرَ الْهَوَى
مِنْ أَدْمُعِي ..
وَسَأَلْتُ
أَيَّةَ دَمْعَةٍ حُرَى
تُلَالِي مَقْلَتَيْكِ
وَفُجِعْتُ
لَمَّا أَنْ وَجَدْتُكَ مِنْ حَجَرٍ
وَوَجَدْتُ
نَفْسِي فِي يَقِينٍ
بِأَنْ حُبُّكَ
خَدَعَهُ كُبْرَى
وَأَنْكَ تَخْدَعِينَ
كَلًّا ..
فَبِأَنْكَ .. غَامِضَةٍ

* * * *

حُبُّ .. وَحَدْبٌ

لا ..

أَنَا لَنْ أَقُولَ بِأُنِّي

أَعْطَيْتُهَا قَلْبِي

فَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ

بَلْ ..

إِنَّ ذَلِكَ لَنْ يَكُونَ

إِذَا أَنِّي

قَدْ صُنْتُ فِي أَغْوَارِهِ

حُبِّي

لِفَاتِنَةِ مَصُونٍ

أَعْطَيْتُهَا عَهْدًا

بِأُنِّي .. لَنْ أَخُونُ

لا ..

أَنَا لَنْ أَقُولُ

* * * *

لَكُنِّي

مِنْ أَجْلِ عَيْنَيْهَا

وَلَشَدَمًا تَسْبِي الْعُيُونُ

مِنْ أَجْلِ ثَغْرِ رَقٍّ

مِغْنَاجِ حُنُونٍ

ولأجل خصرِ دقِّ
ولأجل قامَتِها النُّحَيْلَهْ
ولكشَدَمَا أهْوَى الغُصُونُ
ولأجلِ ..
مَاذَا ؟

لَا ..
أَنَا لَنْ أَبُوحَ
بِكُلِّ أَسْرَارِ الْفُنُونِ
لَا ..
أَنَا لَنْ أَقُولَ

* * * *

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ ..
بَلْ
ولغير ذلكَ
أَعْطَيْتُهَا حَبِيبِي
أَنَا .. لَمْ أَقُلْ
أَعْطَيْتُهَا حُبِّي
فَإِنْ حُبِّي لَمْ يَكُنْ
بَلْ
إِنْ حُبِّي لَنْ يَكُونَ
لِغَيْرِ فَاتَتَنِّي الْجَمِيلَهْ
لَا ..
لَنْ يَكُونَ

* * * *

لَكُنِّي
سَاءَ لَتْ قَلْبِي
هَلْ تَفَرَّقُ بَيْنَ حُبِّكَ
بَيْنَ حَذْبِكَ؟
أَفَلَيْسَ يَجْتَمِعَانِ
عِنْدَكَ .. فِي مَعِينِ
أَفَلَا تَخَافُ
بِأَنْ يَكُونَ الْحَذْبُ حُبًّا ؟
فَأَجَابَ:
كَلَّا ..
لَنْ يَكُونَ
فَالْحُبُّ .. فِي أَعْمَاقِ أَغْوَارِي
أَعْطِيهِ مَنْ أَعْطِيهِ إِثَارِي
وَالْحَذْبُ ..
طَيْفُ سَحَابَةٍ سَارِي
يَمْضِي ..
فَلَا يَلْحَقُ أَسْرَارِي
لَا ..
أَنَا وَاثِقٌ .. مِنِّْي
لَا ..
لَنْ يَكُونَ

* * * *

الفهرس

١٣ المقدمة
١٦ لمحة عن حياة الرفاعي
١٩ ثقافته
٢١ تكريمه
٢٢ المؤقرات الأدبية
٢٣ عضوية اللجان والهيئات
٢٣ النتاج الثقافي
٢٧ النشر
٢٩ ندوة الرفاعي
٣١ النتاج الأدبي
	ديوان الرفاعي
٣٣ ما نشره الشاعر
٣٥ الظلال والأغصان
٣٥ جمع الشعر
٣٧ مصادر الشعر
٣٩ ترتيب الديوان
٤٠ تحقيق الشعر

القسم الأول من الديوان (بلا أغصان)

٤٥	١ - قصيدة السلام عليك
٧٣	٢ - ديوان ظلال ولا أغصان
٧٥ مقدمة
	(١) في ظلال الدعاء
٨١	- دعاء
٨٣	- ضراعة

(٢) في ظلال الوجدان:

- ٨٧ بقية -
- ٨٩ جراج -
- ٩٠ بعد ما بعد المارة -
- ٩١ تائه -
- ٩٣ تساؤل -
- ٩٤ كبد ضائعة -
- ٩٧ أغنية تمنع -

(٣) في ظلال الطبيعة:

- ١٠١ فراشة -
- ١٠٣ كومو -
- ١٠٥ صبارة -

(٤) في ظلال المناسبات:

- ١٠٩ تحية ندوة العلماء -
- ١١١ يا عبيد -
- ١١٦ كلمة إلى الجزائر -
- ١١٨ تحية تونس -
- ١٢٢ من يوميات مئذنة مكيّة -
- ١٣٠ تحية عُمان -

(٥) في ظلال الصداقة

- ١٣٤ أبا تراب -
- ١٣٥ ليلة من العمر -
- ١٣٨ تحية وتهنئة -
- ١٤٠ إن الهوى بهواء مكة يأسر -
- ١٤٣ يا شاعر الأغصان .. غصنك مورق -
- ١٤٦ يا شاعر الأزهار -
- ١٤٩ إلى الأستاذ عبدالله بن خميس -
- ١٥٠ قطرة -

١٥٢ تحية
١٥٤ عزاء

القسم الثاني من الديوان (الأغصان)

١٥٧	تحية المعهد العلمي
١٥٨	وقفت أناجي
١٥٨ أنا أشكركم
١٥٩ صورة
١٦٠	ناي الراعي
١٦١ ربي المثناة
١٦٢	إلى الفصن الأسمر
١٦٣ لا تأس
١٦٤	مع البلابل
١٦٦	ما كان ضر
١٦٧	جلنار
١٦٨	الياسمينه
١٦٩ حريق دار العرب
١٧٠ نشيد الجامعة
١٧٣ غضبه
١٧٤	ليهنك العيد
١٧٥	كل المفاخر
١٧٦	يا نبيل الإخاء
١٧٨	دنيا شاعر
١٧٩ وهبتك
١٨٠	وا عجبني!
١٨١	حلوة الوطفين
١٨٢	مع الأغصان
١٨٣ لمن؟

١٨٤	بين الرمل وشوشة
١٨٧	الحب والشعلة
١٩١	تحية
١٩٢	مركب الحسن
١٩٤	مذعورة
١٩٦	خداع الأمل
١٩٧	أخبار مصر
١٩٨	قد أذبت الفؤاد
١٩٩	فاتن المسيال
٢٠١	موعد العيد
٢٠٢	في الطريق إلى جدة
٢٠٤	رجاء
٢٠٥	شفة
٢٠٧	وداع
٢٠٩	وشوشة
٢١١	صورة ملونة
٢١٢	سأطوي غرامي
٢١٣	انتظار
٢١٦	نحب لبنان
٢١٨	غصنان
٢٢٠	شاعر وغصنان
٢٢٣	غصنان إلى شاعر الأغصان
٢٢٦	تُقَرِّبُنِي
٢٢٦	أفأنساك
٢٢٧	عصي الدمع
٢٢٧	إليها
٢٢٨	أخي، أيّ عبء
٢٣٠	عهد

٢٣١	سمراء
٢٣٣	موكب
٢٣٦	موكب وشاعر
٢٣٩	حلم
٢٤٠	يا عزيزي
٢٤١	إلى شاعر الأغصان
٢٤٣	بعد الصمت
٢٤٥	انتظرنى غداً
٢٤٧	عودة
٢٤٨	الهوى الأسمر
٢٥٠	يا سيدي
٢٥١	بردان
٢٥٣	بُنَيَّ
٢٥٥	حكاية حب
٢٥٧	من فينّا
٢٥٩	حقد
٢٦٣	هتف البشر
٢٦٤	جميلة
٢٦٨	وصدى عتاب
٢٧٠	صدى عتاب
٢٧٣	عجبت
٢٧٤	عجبت
٢٧٥	جدول
٢٧٦	بائعة الشذى
٢٧٩	إرما
٢٨١	رحلة
٢٨٣	الموسيقى المتجول
٢٨٤	ذات الرداء الأزرق

٢٨٦	لغة
٢٨٨	كانت جميلة
٢٨٩	خطاب
٢٩٠	تلقيت الخطاب
٢٩١	رد على الخطاب
٢٩٢	إلى مجهولة (حزنى)
٢٩٣	الآنسة عزّة الرفاعية
٢٩٤	هشام
٢٩٥	من وحي اللحظة
٢٩٦	أنا أهواه
٢٩٧	بي ظمأ
٢٩٨	نامي على الكتف
٢٩٩	أوراق قديمة
٣٠٠	عبدالعزیز الرفاعي
٣٠١	يا شعر
٣٠٢	عدت للشعر
٣٠٦	عنايه
٣٠٧	المرفأ الأخير
٣١٢	كلمة وداع
٣١٣	سوداء
٣١٦	في دارة عبدالعزیز الرفاعي
٣١٩	إلى الدكتور بدوي طبانة
٣٢٠	شاعر النيل
٣٢٢	ظمآن
٣٢٤	روضتي قد أمحلت
٣٢٦	اغرس غيرها
٣٢٨	أحث الخطى
٣٢٩	خال

٣٢٩	يا عصاماً
٣٣٠	مثال الوفاء والصدق
٣٣٢	سعى بالود
٣٣٣	تحية الأحساء
٣٣٤	رد التحية
٣٣٦	في غمرة الثراء
٣٣٧	تحية جازان
٣٣٨	حقوق الحلم بعد لأي زمني
٣٤١	يا شوق
٣٤٢	تاب ولم يتب
٣٤٤	لو كان لي قدرة
٣٤٥	تهنئة العيد
٣٤٧	تحية من العامودي
٣٤٨	إلى أبي عمر العامودي
٣٤٩	الحلم الأعظم
٣٥١	إلى الشاعر الفقيه
٣٥٢	تحية الشيخ بلخوجة
٣٥٢	قد قلت للمجد
٣٥٣	يا ويح جرحك
٣٥٤	لا عودة
٣٥٥	يا نذيراً
٣٥٦	رسالة زائر
٣٥٧	الفريسة تصيد
٣٥٩	أيتكلم الصخر
٣٥٩	المجد للشيب
٣٦٠	المجد للحب
٣٦٣	أنور العطار

٣٦٤	باقتان
٣٦٥	المعجمي
٣٦٦	أين نصيبي؟
٣٦٧	آخن
٣٦٨	شفق
٣٦٨	خضراوان
٣٦٩	كلمة حب
٣٦٩	عودة الجمر
٣٧٠	صباحان
٣٧١	سبعون
٣٧٤	يا رب
٣٧٥	خذ بطوق النجاة
٣٧٦	طوق النجاة
٣٧٦	شكوى
٣٧٧	رويدكم
٣٧٨	مجلس الأمن
٣٧٩	مجلس الأمن
٣٨٠	عشتت الصبا
٣٨١	المفكرون
٣٨٢	أيا محضرا
٣٨٢	وقفت وذم عيني
٣٨٣	أبحث عن فنان
٣٨٥	غامضة
٣٨٨	حبٌ وحذبٌ
٣٩١	الفهرس

هذا الديوان

كان عبد العزيز الرفاعي زاهداً في نشر شعره، ضئيلاً بإنشاده حتى لأصدقائه، وإن كان قد نشر شيئاً منه باسمه الصريح، وآخر بتوقيع شاعر الأغصان، لكن هذا التردد في جمع الشعر في ديوان رافقه طول حياته عدا نشره لقليل منه في ديوان (ظلال ولا أغصان) في آخر حياته عام ١٤١٣هـ، أما الجزء الأكبر الذي لم يرَ النور فهو ما زواه منه، وهو ما عناه بالأغصان، ولمَّحْ له في مقدمة (ظلال ولا أغصان) بقوله: «إنه مما ألفت الناس من العواطف والأحاسيس». كما قال عن الجزء المنشور - وهو القسم الأول من هذا المجموع الذي بين يدي القارئ - : «لن أتواضع فأقول: إنه ليس شعراً، ولن أدعي أنه شعر، ولكنه عمري».

ولأن الشعر عمر الرفاعي فقد جعنا كل شعره (ما نشره وما لم ينشره) من مصادره، فكان هذا الديوان الذي احترمنا فيه ذوق الشاعر، فصورنا القسم الأول منه وأبقيناه علي ترتيبه له، أما القسم الثاني فرتبناه حسب التاريخ ليكون عمراً للشاعر.

فإلى محبي الرفاعي وأدبه، وإلى مؤرخي الأدب، نقدّم هذا الديوان الذي ضم ما أمكن جمعه من شعر الشاعر، وفاءً بحقه، وتخليداً لشعره.